حرب المطاريـــد
غير التقليـديـة

- حـرب العـصابات طـويـلـة المـدى :
[المراحل ـ الإستـراتيجية ـ التكتيك ـ السيـاسـة ـ الإعلام]

- الثـورة الشـعـبـيـة :
[القيادة ـ البرنامج ـ الشعار ـ الصدامات المتدرجة]

- هل إنتهت الحروب بالوكالة ؟؟
" نظرية علماء البنتاجون وبغال التحميل " .

- المطاريد وأسلحة الردع غير التقليدية .

- الضربات فى عمق العدو : عمل إرهابى أم حق مشروع ؟؟ .

مصطفى حــامد

* بسم ا   الرحمن الرحيم *

[ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ـ ٥ ـ ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون ـ ٦] ـ سورة القصص

[وعد ا   الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى إرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ـ ٥٥] ـ سورة النور

****

فى السلم إستعد للحرب ، وفى الحرب إستعد للسلم .
إن فن الحرب ذو أهمية حيوية للدولة .
إنه مسألة حياة أو موت ، إنه طريق للسلامة أو طريق الهلاك.
لذا لايمكن تجاهله تحت أى ظروف .
" صن تسو "

****

تنبيه :

محتويات هذا الكتاب " ***حرب المطاريد غير التقليدية*** " ، لا يمكن ولا ينبغى تطبيقها حرفيا ، كما أنه من الخطأ تجاهلها كليا ، ولكن بالتأكيد يجب تأملها بعناية .
___________" المؤلف "

هذا الكتاب:

تتعرض بلاد العرب والمسلمين لغزوة كاسحة على جميع الأصعدة:
العسكرية والسياسية والإقتصادية والثقافية والإعتقادية.
وإذا مضت تلك الحملة إلى غايتها، فسوف تختفى هذه الأمة من الوجود، ولا يتبقى منها سوى مخلوقات هامشية تستعبدها القوى الغازية.
ونرى الآن إجتياحات عسكرية ممتدة من أفغانستان والشيشان إلى العراق ولبنان وفلسطين والسودان والصومال.
وإضطرابات داخلية تهدد بالإنهيار والتمزق مجتمعات إسلامية وعربية، فى باكستان والمغرب العربى وجزيرة العرب واليمن.
فى جميع الإجتياحات والفتن الداخلية، تجد الشعوب نفسها وحيدة ومطالبة بالدفاع عن نفسها وبلادها ودينها وثرواتها وكرامتها وحرياتها.
أما الأنظمة فهى فى أحسن الأحوال لم يعد يعنيها أمر الدفاع عن شعوبها.
وفى الأغلب فهى جزء من العدوان الخارجى ورأس حربة له.
لم تنتصر هذه الأمة خلال تاريخها الطويل ضد أى هجمة خارجية كاسحة سوى بعودة قوية إلى دينها، تستمد منه الطاقة والمدد المعنوى، الذى هو الأساس لكل نجاح فى أى حرب.
فالعودة إلى الدين لم تعد رفاهية ثقافية، بل هو ضرورة وجود.
والإلمام بأساليب الحرب، حرب المطاريد المستضعفين، هوالوسيلة الأوحد للدفاع عن التواجد المادى لهذه الأمة.
وهذا الكتاب (***حرب المطاريد غير التقليدية***) هو مجرد محاولة بدائية بسيطة، للإقتراب من هذا الموضوع الحساس، وذلك فى إنتظار مساهمات أكثر عمقا، نظريا وعمليا، من جانب المخلصين الخبراء من أبناء الأمة، التى كانت.. وسوف تعود مرة أخرى.. خير أمة أخرجت للناس.

(الكاتب)

الفهرس

الجـزء الأول

****

الجـزء الثـانى

****

الجـزء الثـالث

الـثـورة الـشـعـبـيـة

تعريفات خاصة بالمطاريد

فى هذا الكتاب مصطلحات لها طرق فهم متعددة. لذا رأينا أن نحدد فى البداية ماذا نعنيه بها.

السياسة:

هى إدارة الشئون العامة للناس، وقيادتهم.

القرار السياسى، والتصور الإستراتيجى:

●● نفترض أن صاحب قطعة أرض كبيرة إراد إستثمارها، ولديه خيارات متعددة لمشروعات، تجارية وسكنية وزراعية. فهو ينظر إلى الوضع الحالى والمستقبلى لهذه الأرض طبقا للمحيط بها من أراضى ونشاط إقتصادى. وبعد تفكير عميق يتخذ قرارا بأن يبنى على جزء من تلك الأرض بناية سكنية كبيرة يخصص جزئها الأسفل للنشاط التجارى.

هنا نقول أن صاحبنا قد إتخذ **قرارا سياسيا** يتعلق بمصير الأرض.

ونقول أيضا أنه وضع **تصورا استراتيجيا** لوضعها العمرانى والإستثمارى.

التخطيط الإستراتيجى:

●● يعرض الرجل مشروعه على أحد المكاتب الهندسية المختصة. فيقوم المهندسون بوضع التصاميم وإجراء الحسابات الكثيرة والمعقدة، ثم حساب التكلفة المالية الإجمالية.

عند إنتهائهم من ذلك يكون عملهم الأساسى المتعلق بالتخطيط، قد إنتهى.

وهنا نقول أن **التخطيط الإستراتيجى** للعمل قد إنتهى.

فكلمة **استراتيجية** تعنى: التخطيط طويل الأمد من أجل تحقيق أهداف كبيرة الحجم والأهمية.

ونختار لأنفسنا تعريفا للإستراتيجية العسكرية يقول:

الإستراتيجية العسكرية: هى الخطط الكفيلة بإستخدام القدرات العسكرية المتوافرة، لتحقيق الأهداف السياسية للدولة(أو الأمة ، أو حركة تحرير).

●● صاحب المشروع ينظر إلى التخطيط ويقترح تعديلات، إن وجدت، ثم يعتمد المشروع، بعد أن يرى أنه قادر على تمويله، أى أنه يمتلك الموارد اللازمة لتمويل خططه الإستراتيجية.

أى انه يمتلك **إستراتيجية إقتصادية** يمكنها تلبية مطالب توسعه وطموحاته السياسية(والعسكرية فى حالة الدول ، وحركات التحرير).

التكتيك:

●● المكتب الهندسى الذى وضع الخطط للبناية المذكورة، يكلف شركة مقاولات بتنفيذها، وإتخاذ الخطوات العملية التى تجعل التخطيط على الورق، مشروعا مجسدا على أرض الواقع.

بمعنى آخر: إتخاذ الخطوات التكتيكية لتنفيذ المشروع الإستراتيجى.

فى المجال العسكرى يمكن أن نعرف التكتيك بالقول التالى ـ

التكتيك: هو الإجراءات العملية فى ميدان القتال التى تحقق الخطة الإستراتيجية.

وعلى سبيل الإختصار الشديد ولكنه غير مخل، نقول بسرعة ما يلى:

عناصر التكتيك:

إجراءات التكتيك العسكرى لايمكن حصرها، ولكنها جميعا تقوم على المناورة بعنصرين فقط لاغير، هما: النيران و الحركة.

هدف التكتيك:

كما للتكتيك وسيلتان ، له أيضا غايتان، هما:

المحافظة على قواتنا و إبادة قوات العدو.

***

التعبئة:

٠٠ شركة المقاولات تضع قرب موقع البناء المواد اللازمة للعمل، ومكاتب للمهندسين ومساكن للمشرفين ، وبعض المرافق لخدمة العاملين فى المشروع.
نقول هنا أنه تمت عملية "**تعبئة**" للمواد الضرورية لبدء العمل "التكتيكى" أى التنفيذى.
فالتعبئة هى الحلقة الوسطى ما بين الإستراتيجية والتكتيك. وعسكريا يمكن القول بالآتى ـ
التعبئة هى تحريك القوات والمعدات إلى أماكن قريبة من مسارح العمليات المرتقبة وفقا لما جاء فى الخطة الإستراتيجية.

المراحل الإستراتيجية:

00 تبدأ عملية حفر الأساسات إلى العمق المناسب، وصب الأسمنت مع الحديد حتى تصبح الأساسات بالقوة والشكل المطلوب وحسب الخطة الموضوعة.
الإنتهاء من وضع الأساسات للمبنى تعتبر مرحلة رئيسية نحو إتمام البناء. ويعتبر هذا الإنجاز إتماما ل**مرحلة استراتيجية**.
وهكذا تتوالى المراحل الاستراتيجية حتى يتم إنجاز المبنى كاملا حسب التصميمات الموضوعة فى الخطة الاستراتيجية الكلية.

صلابة الاستراتيجية و مرونة التكتيك:

إجراء التعديلات أمر وارد فى كل الأحوال.
ولكن التعديل فى الاستراتيجة يكون فى التفاصيل غير الجوهرية إذا كان العمل قد بدأ بالفعل.
لأن إجراء تعديل جوهرى فى الاستراتيجية أثناء العمل التنفيذى، له نتيجة واحدة: هى الفشل.
ـ تعديل التكتيك أمر أكثر مرونة بل هو مطلوب دوما. وهناك أساليب فى التنفيذ التكتيكى شائعة يتبعها الجميع أى **تقليدية**. وهناك طرقا يبتكرها المنفذون المبدعون، وتسمى طرقا **غير تقليدية**.
ـ يمكن إحتمال الخطأ فى التكتيك مع تحمل الخسائر المناسبة لمقدار الخطأ. ولا يمكن تحمل الخطأ فى التخطيط الاستراتيجى لأنه يضرب المشروع فى الصميم، ويستحيل علاجه بعد الشروع فى العمل.
(يختلف الخطأ فى نوع الزجاج أو طلاء المبنى عن الخطأ فى نوع الحديد أو الأسمنت المستخدم.
ولنا أن نتصور لو أن حساب قوة الأساسات أو الأعمدة كانت خاطئة، فماذا يكون مصير البناء؟؟.
ذلك هو الفرق بين الخطأ فى التكتيك والخطأ فى الاستراتيجية) .
ـ يطلق العنان لرجال التنفيذ "التكتيك" كى يتخذوا ما شاؤا من مبادرات، تقليدية وغير تقليدية، على ألا يطال ذلك جوهر التخطيط الاستراتيجى.
لهذا لاتنتهى مهمة المخططين إلا بعد الإنتهاء من إنجاز المبنى. وتظل لهم سلطة الإشراف على العمل التنفيذى " التكتيكى". ولصاحب البناء (القيادة السياسية) سلطة الرقابة العامة على المشروع بأكمله، وصرف المكافآت أو إيقاع العقوبات.
فالسياسة توجه وتراقب الإستراتيجية، تخطيطا وتنفيذا ونتائج.
والاستراتيجية توجه وتراقب التنفيذ التكتيكى.
*****

التكنولوجيا:

هى التطبيق الصناعى للنظريات والإكتشافات العلمية. أى أنها الصناعات الحديثة المتطورة.
وتصبح التكنولوجيا متطورة على قدر ما تستخدم من إكتشافات علمية حديثة وترتكز عليه من قاعدة صناعية قوية ومتطورة واستثمارات مالية كثيفة .

مجهودات إكتشاف الفضاء أتاحت التوصل إلى أرقى درجات التكنولوجيا، أو التكنواوجيا فائقة التطور. وقد إستخدمت جميعها فى صناعات التسليح ضمن المنظومات الحديثة باهظة التكاليف التى بلغت ذروتها فى الولايات المتحدة.

*****

صن تزو:

جنرال وحكيم صينى(٥٥١ ـ ٤٩٦ ق م) قاد الجيوش وحقق الإنتصارات العظيمة. كتابه المعنون "فن الحرب" يعتبر مرجعا لاغنى منه لأى دارس أو ممارس لأمور الحرب أو السياسة.

***

ماوتسي تونج:

أبرز زعماء الصين الحديثة. أسس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ بعد حرب عصابات طويلة الأمد ضد الإحتلال اليابانى والحكم الوطنى بزعامة " شان كاي شك" الذى ساندته الدول الغربية.

له مؤلفات عسكرية هامة، ويعتبر مؤسس علم حرب العصابات فى صورته الحديثة، وماكتبه فى ذلك لايستغنى عنه المهتمون بذلك الموضوع الحيوى.

يعتبره الدارسون تلميذا فى مدرسة "صن تزو" الفكرية. أعرب "ماوتسى تونج" عن إعجابه بالزعيم المغربى المجاهد "عبد الكريم الخطابى" وإعتبره من أساتذته الذين تأثر بهم.

****

المطاريد:

منذ السطور الأولى فى هذه السلسلة تكلمنا عن المطاريد. وقلنا أنهم فئة من الناس تعاديهم حكومات بلادهم وتطاردهم، فلجأوا إلى الجبال.

وخلال هذه السلسلة "من أدب المطاريد" إتسع مفهوم المطاريد بشكل كبير، وأصبح شاملا لطيف أوسع من مفهوم التمرد والثورة ضد "نظام" قمعى ظالم، محلى ودولى. تمرد متوقد بالفكر والوسائل والغايات، بما يصعب تحديدة بشكل قطعى، حتى الآن على الأقل.

لهذا إذا أردنا الآن تعريفا محددا لمصطلح المطاريد فإننا نقول: المطاريد.. هم المطاريد.

ثم نترك للقارئ كى يتخذ لنفسه مفهومه الخاص لهذا المصطلح، على قدر ما تيسر له من الإطلاع على آداب المطاريد.

وعلى سبيل المثال ربما يفهمهم شياطين "حكماء صهيون" على نحو ما جاء فى البروتوكول الخامس:

{ ..عرقلة نشاط أى شخص يقف فى طريقنا. وليس هناك أضر من نشاط الأفراد بصفتهم المستقلة الشخصية. فهؤلاء إذا كانت وراءهم مادة العبقرية فيبلغ نشاطهم من الضرر بنا مبلغا تقصر عنه الملايين من الناس الذين مزقنا كلمتهم}.

***

بروتوكولات حكماء صهيون:

تحتوى على جزء من الدستور العملى للحركة الصهيونية العالمية. وهى أوراق تبقت من دراسة قدمت لإجتماع قادة الحركة الصهيونية فى سويسرا عام ١٨٩٧.

{{ **الفقرات التى إقتبسناها منها،مأخوذة من كتاب المؤرخ "عجاج نويهض"، المعنون "بروتوكولات حكماء صهيون" الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت**}}.

وهو كتاب لاغنى عنه لأى دارس للسياسة أو ممارس لها. بل لاغنى عنه لأى إنسان كائنا ما كان.

مقدمـ ـ ـ ـة

أول الحرب كلمـ ـة

قالت العرب قديما : آخر الدواء الكى .

والمثال يحتاج إلى وقفة لأنه يتعلق بموضوع هام نود الحديث عنه وهو **قرار الحرب**.

ـ فالكى علاج مؤلم جدا ـ لذا لا يلجأ إليه الطبيب ، ولا يقبله المريض ، إلا اذا كانت الوسائل الآخرى كلها قد تم تجربتها ، وفشلت .

ـ الكى علاج مؤلم جدا ـ لذا لا يقرره إلا طبيب خبير يعرف ما يفعل ، وهو يقرر العلاج وهو يجربه بيديه .

ـ والكى علاج مؤلم جدا ـ لذا لا يقبله المريض إلا من طبيب يثق به جيدا وبحكمته وقدرته على تنفيذ العلاج بنجاح .

ـ والكى علاج مؤلم جدا ـ لذا يحتاج إلى يد خبيرة تنفذه ، فلا يجب أن يزيد الكى عن الموضع المحدد ـ فيزداد الألم بلا مبرر وقد يتسبب فى ضرر إضافى ، كما لا يجب أن يقصر الكى عن المكان المحدد ، فلا يؤدى الغرض المطلوب منه .

ـ ولأن الكى آخر الدواء ، فقبله تكون كل الادوية الآخرى أخذت فرصتها ولأن الكى هو الدواء الأخير فليس بعده إلا العطب أو الموت .

أى أن بتأخيره عن موعده يكون الوقت قد فات ، والقادم لا يكون الشفاء بل الموت وعندها حتى إذا حدث الكى، فإنه قد يعجل بالموت لا بالشفاء .

ـ الكى علاج صعب جدا وخطر. لذا تكون ثقة المريض فى طبيبة هامة جدا كى يكون واثقا أن الأوان قد حان للعلاج بالكى ، وفى هذا التوقيت بالذات قبل فوات الأوان ، وبعد إستنفاذ العلاجات الآخرى .

توقيت العلاج بالكى هام جدا ، فإذا تردد الطبيب يكون مسئولا عن ما يحدث للمريض من عطب أو موت .

وإذا تردد المريض فإنه مسئول عن دمار نفسه ، ولن يجديه طاعة الطبيب بعد ما فات وقت العلاج .

تحدثنا إذن عن علاج مؤلم وخطير يحتاج إستخدامه إلى توافر عده شروط هى :

١ ـ إستنفاذ كل الوسائل الآخرى للعلاج .
٢ ـ طبيب ماهر يقرر العلاج وينفذه بنفسه .
٣ ـ ثقة تامة من المريض بالطبيب .
٤ ـ إستعداد المريض لتحمل ألم العلاج بالكى ، لأنه يعلم عواقب التأخير ، ويثق بالطبيب المعالج ، ويطيع أوامره .
٥ ـ العلاج بالكى له " توقيت محدد" لا يتقدمه ولا يتأخر عنه .
٦ ـ العلاج بالكى له "موضع محدد" لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

نحن نتحدث إذن عن مثلث ذو ثلاث أضلاع :

المرض ـ المريض ـ الطبيب
وحتى تحدث عملية علاج ناجح بالكى، نستنتج مما سبق الشروط التى يجب توافرها فى كل ضلع من الثلاثة ، نلخصها فى التالى .
المرض :
مؤلم جدا ـ متفاقم ـ يفضى إلى الموت
المريض:
يعلم أنه مريض بالفعل .
يعلم خطورة مرضه .
يعلم عواقب التأخير فى العلاج .
يعلم مصاعب العلاج وتكاليفه .
يثق فى حكمة الطبيب فى إتخاذ القرار .
يثق فى قدرة الطبيب على إجراء عملية ناجحة .
ينفذ إرشادات الطبيب بدقة .
لديه الشجاعة للقبول بالمخاطرة .
وصلت آلامه إلى درجة لا تحتمل بحيث يرى أن الكى لن يزيده ألما .
الطبيب : يتوافر به الصفات التالية
تقوى " لا يبحث عن مال أو شهرة "
علم " عليم بعلاج الأمراض "
خبرة " مارس عمليا علاج الأمراض "
حكمة " يعرف متى يتخذ القرار المناسب وكيف يكسب ثقة المريض"
حزم " يتخذ القرار المناسب فى الوقت المناسب "
شجاعة " لا تثنيه المخاطر أو آلام المريض عن المضى فى العلاج إلى غايته "

نعود إلى المقصود من ذلك كله وهو قرار خوض حرب شعبية، أو عصيان مدنى وثورة شعبية، ضد عدو أقوى وأكثر جهوزية ، ويطلق على تلك الحروب أسماء عديدة ، مثل حرب العصابات ، حرب الأنصار ، حرب التحرير ، حرب الشعب ، ويمكن لنا أن نضيف لها إسماً آخر هو "حرب المطاريد" على إعتبار أن من يخوض تلك الحرب، أو يكون مرشحا لخوضها، يكون مطلوبا للقتل من طرف أعدائه . وبعد النصر يصبح هو الطالب .

هذا النوع من الحروب مؤلم جدا ، ومكلف ، ويستغرق زمنا طويلا . ومن مزاياه أنه حرب شعبية بمعنى الكلمة :
أى أن الشعب هو الذى يتخذ قرار الحرب وهو الذى يقود ويدفع التكلفة كاملة .
وهى تكلفة عالية جدا تستمر وقت الحرب، وما بعد الحرب، أي يدفع أيضا تكلفة الإنتصار والحفاظ على ثماره ونتائجه. أو تكلفة الهزيمة وهى أعلى بمراحل من تكلفة الحرب ومن تكلفة الإنتصار

فإذا لم يكن الشعب هو صاحب القرار بالفعل ، أى أن أحدا لم يفتعل الحرب ويحاول إقتحام الشعب فيها ، حتى لوكان قرار الحرب صائبا ولكن الشعب لم يكن مقتنعاً به أو أنه يرى وسائل أخرى أقل تكلفة قد تكون مفيدة ، أو أنه لايثق فى "الطبيب " أى الجهة أو القيادة التى أشعلت الحرب وبدأتها .

كل ذلك سيجعل الشعب "محايدا" فى الحرب ـ هذا إن لم تجذبه القوى المعادية له فى صفها ـ وعندها سيكون قرار الحرب كارثة على من أشعلها وأيضا سيدفع الشعب تكلفة عالية ـ رغم أنه لم يوافق ولم يشارك . وعندها لن يستطيع الشعب خوض الحرب إلا بعد زمن طويلا نسبيا حتى لو أدرك ضرورتها .

إن الشعب لا يعقد مؤتمرات يناقش فيها قرار الحرب ثم يوافق عليه أو يرفضه ولكن "الطبيب" أو القيادة ، إذا كانت قيادة حقيقية من بين الشعب وتعيش ظروفه وتعرف مشاعرة وتفكيرة ، بل مزاجياته ونزواته وعيوبه، إيجابياته وسلبياته . وكانت تلك القيادة تتمتع بمزايا "الطبيب" التى تحدثنا عنها آنفا . عندها يمكن أن تتخذ القرار المناسب نيابة عن الشعب ، وهى تضمن إستجابته .

وكأن الشعب يتكلم على لسان الشاعر الذى قال:

مختصر الكلام:
إنى إذا ما خطر الحاكم لى
لا أشتهى الطعام !!
هذا نظام معدتى
ولن يعيد صحتى
إلا طبيب حاذق
يفهم نظامها
.. فيقلب النظام !!

"أحمد مطر"

ولابد أن يكون لهذا "الطبيب" ،القيادة ، سابقة تعامل عميقة من الشعب أكسبته ثقته. فليس هناك من شعب يسير إلى الحرب خلف مجاهيل لا يعرف من هم ولا قدراتهم العملية والنفسية والفكرية .

إن جماهير أعماها الغضب ممكن أن تنساق إلى العنف فى مظاهرة قادها وحركها مجهوولون ـ ولكنها أبدا لا تسير إلى الحرب بهذه الطريقة .

وإذا حدث وأن أشعلها أحدهم فى غمرة سياق أحداث معينة ، سريعا ما يتجنبها الشعب ، ويجد من أشعل الحرب أنه يخوضها وحيدا فينهزم فيها وحيدا ـ ولكن كما قلنا يدفع الشعب أيضا تكلفة كبيرة وتتعرقل مسيرته .

لكن يظهر هنا حالة إستثنائية . وهى كون القيادة "الطبيب" يتمتع بالمزايا المطلوبة ، وكذلك المريض ، ولكن الأخير يعانى من خوف وتردد ، ويمتنع عن التفاعل الإيجابى مع الطبيب .إنه يرى ويتوهم أن العملية أكبر من طاقته على التحمل ،

وربما أكبر من حكمة الطبيب وقدرته ، ويرى أن العدو أكبر وأقوى من حقيقته فيتوهم أن الإنتصار عليه مستحيلا .
فإذا قرر الطبيب/ أى القيادة الحقيقية / أن أى تأخير سيكون ضارا بحياة المريض ، وأن المرض قد يستحيل علاجه بعد ذلك ، فإنه يبدأ العملية ويشرع فيها ، بشكل يهدف إلى رفع معنويات المترددين فى أوساط الشعب ـ حتى لو كانوا هم الأكثرية ـ هذه العمليات هى ما يطلق عليه "**الدعاية المسلحة**" ـ والهدف منها رفع معنويات الشعب وإقناعه أن الإنتصار ممكن ، وأن القيادة متمكنة من عملها . وأن العدو أضعف فى حقيقته مما هو فى ظاهرة .
هذه العمليات غاية الحساسية والأهمية والدقة ، بحيث تؤدى هدفها المطلوب تماما ـ وليس غيره ، وليس عكسه .
إن قائد أو تنظيم ـ معزول عن شعبه ـ أو مجهول مغمور، لا يمكنه إعتساف قرار الحرب . سواء كانت تلك الحرب ضد عدو خارجى مستعمر أو عدو داخلى مستبد و فاسد متسلط .
لا يكفى أن يكون الظلم واقع ، بل لايكفى أنه لا يطاق . إذ لابد أن يدرك الشعب ذلك ، ويكون مستعدا للعمل على إزالته .
ولا تصلح لذلك أى قيادة . بل يجب أن تكون كفؤه ، وموثوقه من الشعب ولها تاريخ سابق ومشهود فى التعامل معه .
* أى حرب أو ثورة لها شعار. الشعار هو تلخيص غاية التركيز للمعتقدات والمشاعر والمصالح الحياتية .. جميعا فى آن واحد .
إنه ليس مجرد كلمات براقة وليس لغوا .
لذا كان شعار المسلمين فى معاركهم هو جملة "ا اكبر" .
ـ لأنها شعور بالحياة وإتصال بواهب الحياة ومالكها والمتصرف فيها كيفما شاء.
ـ لأنها إستعانة بالقوة المطلقة الخالقة ، فى مقابل قوى الطاغوت الظالم والمتجبر.
ـ ولأنها ثورة على المتألهين ظلما وعسفا على البشر .
ـ ولأنها إستعلاء بالأعلى الحق ، على المستعلى بالعدوان والطغيان .
ـ ولأنها ثقة تامة بنصر ا الأكبر من كل شيئ ومن كل حقير مستكبر متجبر طاغ.
ـ ولأنها إعلان بأن الموت فى سبيل ا هو الحياة الحقة .
ـ وأن الحياة فى عبودية الظالمين الطغاة هى الموت الأكيد الذى لا يرضاه الخالق لنا ، بل يعاقبنا إن قبلناه بإرادتنا أو تقصيرنا وتقاعسنا .
* وعلى الجانب الآخر، فإن القيادة الحكيمة قد تؤجل إتخاذ القرار بالحرب، إذا كان التأجيل يعطى فرصة ليقظة الشعب إلى حقيقة أوضاعه، وحتى تنضج قناعاته بأن جميع الحلول الأقل ألما قد تمت تجربتها، وأن آلامه وصلت إلى حدها

الأقصى الذى لامزيد عليه ولا طاقة له بتحملها. وحتى يتحقق الشعب من أن القيادات المناسبة لمرحلة الصدام أصبحت موجودة بالفعل.
الزمن هام جدا لفرز الشعارات والمبادئ والأشخاص. فالأصوات الصاخبة والألوان والدعايات والبهارج، تسحر الألباب لفترة من الوقت، ثم يذهب الزبد جفاء ويبقى فى الأرض ما ينفع الناس، فيدركون وقتها أنه لابد مما ليس منه بد، ولابد من الكى للحصول على الشفاء.{{ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ...**}} ـ **الآية**
أو كما قال صن تزو: (إن فن الحرب له أهمية قصوى للدولة. إنه مسألة حياة أو موت. إنه طريق للسلامة أو طريق للهلاك).
وطالما أن أنظمة دولنا المستعبدة تخلت عن واجبها فى الدفاع عن شعوبها فقد وقع ذلك الواجب على عاتق أبناء الأمة أنفسهم. إن دراسة طرائق حروب المستضعفين أى حروب المطاريد أصبحت هى سفينة النجاة التى تتعلق بها الشعوب المستباحة. وهى الحروب التى تخوضها شعوبنا الآن فى فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان. والشعب الذى يتخلى عن واجبه فى الدفاع عن نفسه فإنه هالك لا محالة.
****

هذى البلاد سفينة
والغرب ريح
والطغاة هم الشراع
والراكبون بكل ناحية مشاع
إذا أذعنوا .. عطشوا وجاعوا
وإذا تصدوا للرياح
رمت بهم بحرا .. وما للبحر قاع
وإذا إبتغوا كسر الشراع
ترنحوا معها وضاعوا
دعهم
فلو شاؤوا التحرر لاستطاعوا
هم ضائعون لأنهم
لم يدرسوا علم الملاحة
هم غارقون لأنهم
لم يتقنوا فن السباحة
هم متعبون لأنهم .. ركنوا لراحة
" الشاعر أحمد مطر"

****

فصل:

حرب الإيمان ضد حرب التكنولوجيا

إن حروب العصابات (أوالمطاريد ـ أوحروب التحرير والأنصار .. إلخ) والتى يطلق عليها (**حرب غير تقليدية**) فى مقابلة الحرب المعروفة لدى الجيوش والتى هى (**حرب تقليدية**) .

حرب المطاريد ـ غير التقليدية ـ ميزتها الأساسية ليست فى إستراتيجيتها غير العادية ، وغير التقليدية . ولا تكتيكاتها المبتكرة والمقدامة .

ولكن ميزتها الأساسية هو الإنسان العقائدى المقاتل . فهو الذى يعوض النقص فى السلاح والعتاد والطعام والتدريب والخبرة .. وكل شيئ تقريبا .

لأنه هو كل شيئ .

ذلك الانسان المؤمن هو عماد الحرب وعنصرها المتفوق والمنتصر . فليس على ظهر الأرض غير الإسلام ، الذى يستطيع أن يزود أتباعة بتلك القوة الدافعة القاهرة ـ تلك القوة المستمدة من قوة الخالق المطلقة التى لا يصمد أمامها شيئ فى الأرض ولا فى السماء .

هى القوة التى تقوم بالفعل كله ، وما على الإنسان سوى بذل جهد طاقته البشرية كلها .. فقط لا غير .

لهذا توجهت الحرب الكافرة كلها ضد الإسلام كدين ، لقطع علاقات الإنسان بخالقه ، فينقطع عنه ذلك المدد من القوة المطلقة القهارة .

فيعود الإنسان خائر القوى ضعيفا مستعبدا لخنازير وأفاعى الأرض المسيطرين على مقدارات الكوكب المقهور والمنهك المنتهك .

بغير الإسلام لن يعود هناك الإنسان الحقيقى الذى يعارض الظلم ، ويقارع الظالمين ويقهرهم بقوة ا ، وليس بقوته كإنسان .

ونظرة إلى ما يحدث حاليا فى بلاد المسلمين من فلسطين إلى أفغانستان مرورا بالعراق ولبنان .. والقادم أعظم وأخطر .. يدرك بسهولة تلك الحقيقة .

سيهزم هؤلاء الذين رفضوا العبودية ، وعبدوا شهواتهم الشريرة وحاولوا تعويض خواءهم النفسى والروحى بالتكنولوجيا .

وحاولوا تغير القانون الأزلى للحرب الحقيقية ـ صراع الحق مع الباطل . الحق وجنوده المؤمنين ، مع الباطل من جند إبليس أجمعين .

حاولوا جعل الحرب تكنولوجيا : أشعة ليزر وأقمار فضاء وأسلحة رقمية وإشعاعية ونووية تكتيكية واستراتيجية وجراثيم وكيمياء .

وإعلام فضائى وإمبراطوريات إعلام، لتشويه العقول ومسخ الفطرة البشرية . وصفقات سياسية، وإفساد بسلاح الدولار الساحق ، ذهب بنى إسرائيل المعبود والمرتجى، الذى من أجل تكديسه .. ثم تكديسة بلا نهاية، تشن الحروب تعقبها حروب.. بلا نهاية أو حتى أمل فى نهاية. ويقتل مئات الملايين من البشر. وتئن

الأرض والسماء حتى يكاد أن ينفطر الكوكب المسحوق من فرط الظلم والفساد ، وطغيان حثالات وشياطين البشر .
حرب المطاريد ـ الحرب غير التقليدية ـ هى حرب الإنسان المؤمن .
ومع سقوط العقائد ـ والأيدلوجيات فى عالم اليوم ، فالحروب من الآن وإلى يوم القيامة هى حرب الإنسان المسلم المجاهد فى سبيل ا ، ضد المستكبرين فى الأرض من متجبرين وطغاة .
فهل نفهم الآن سبب حربهم المسعورة على الإسلام ؟.
وهل نفهم الآن سبب حربهم المسعورة على المسلم المجاهد ؟.
ـ "يريدون أن يطفئوا نور ا بأفواههم " .
لذا يظنون أنه بمجرد التلاعب بالكلمات وصك المصطلحات الرنانة يمكنهم خداع المسلمين خاصة والبشرية عامة .
فالإسلام أسموه "أصولية" ـ والجهاد، "إرهاب" ـ والمجاهدين، "إرهابين"ـ والشريعة "تطرف" و"عدوان على حقوق الإنسان" .وأخطر ما يواجه العالم ـ ليس "هم" وما أحدثوه من دمار فى حياة البشر ومستقبل الإنسان ، وخراب فى الكوكب نفسه وثرواته وطبيعته ـ بل الخطر هو "الإرهاب" الإسلامى!! .
* إن طوق النجاة للإنسان فى هذه الأرض هو الإسلام ، وهو حبل ا المتين الذى يعتصم به الإنسان فينجو من طوفان الظلم والفتن الذى أغرق الظالمون به العالم كله .
ولكنهم ، بمهارة شيطانية ، يظنون أنها ستنج طول الوقت ، وضعوا البشر جميعا فى حرب على الإسلام ، أى حرب على ا .
وأرادوا إلغاء حقوق ا على عباده ، بأكذوبة أسموها حقوق الإنسان . وكأن الظلمة الذى إستعبدوا وقهروا وسرقوا ونهبوا وأبادوا حضارات وإغتصبوا قارات من ساكنيها ، هؤلاء المتجبرون المستكبرون يعرفون للإنسان حقوقا (!!).
وأرادوا تزوير دين جديد أسموه "ديموقراطية " وخلعوا عليه من الصفات الكاذبة التى لا تعرف طريقها إلى أى نظام إبتدعوه .
فهذه الديمقراطية هى أكذوبة أصحاب المليارات ، يكذبون بها على شعوبهم التى أتخموها بالفتات من بقايا أسلاب المستعمرات من نفط وذهب ومواد خام ثمينة .
ولو نقص هذا الفتات عن حد معلوم ، سنرى هذه الديموقراطية كيف تتحول ـ كما تحولت عندهم قبلا ـ إلى فاشية ونازية وشيوعية .
حتى هم أصبحوا لا يخجلون من وضع ذلك المعيار المالى لدينهم الجديد . فالشعب لايكون عندهم ديموقراطيا إلا إذا كان دخل الفرد فيه يزيد فى السنة عن ألف دولار!!.
ومع هذا تسرح جيوشهم الحديثة بكل الخيلاء التكنولوجى الفاجر كى تقهر شعوب المسلمين تحت شعار نشر الديموقراطية فى العالم .

فكيف لا يفكرون فى رفع يدهم عن ثرواتنا وأسواقنا ونظامنا السياسى وتعليمنا وثقافتنا ـ حتى نوفر لأنفسنا مستوى الدخل اللائق بالإنسان ـ وليس ثقافة قردة أو خنازير لا تفكر أوتتحرك إلا بأحط غرائز الحيوان .

إن جيوش الطغاة المتجبرين التى تجتاح العالم وبلاد المسلمين، أتخمتها التكنولوجيا ، ودفعتها إلى الغرور والفجور .

وبالفعل أصبحت الفجوة التكنولوجية بينهم وبين ضعفاء العالم ـ وعلى رأسهم المسلمين فجوة واسعة بل تاريخية لم تتكرر سابقا .

ذاك يلفت النظر إلى ضرورة ردم تلك الفجوة بسلاح الإيمان أولا والإيمان الدينى بشكل خاص ، فهو الذى يزود الإنسان بطاقة هائلة كافية لأن تجعله يتحدى أعتى القوى "الكبرى" أو "العظمى" لأن تلك صفات زائفة بالفعل فالأكبر والأعظم هو ا وليس أى قوى أرضية مهما كانت .

وأن القدرة الحقيقية هى بيد ا الذى يمكنه تدمير هؤلاء ، بأى سبب كان بل وبأيدى أضعف عباده وأهونهم فى عيون الناس ، إذا توفر لديهم الإيمان وبذلوا غاية جهدهم ، صغيرا كان أم كبيرا .. كل الجهد .. من كل مايملكون لا يدخرون شيئا .. ولا يبخلون بشئ . عندها يأتيهم النصر حتما .. لايتخلف أبداً . تلك قاعدة أزالية ثابتة .

فجيوش التكنولوجيا ـ بل وحضارات التكنولوجيا كلها ـ تحمل فى جوفها عذرة فنائها وهزيمتها .

١ ـ فالإنسان عندهم خاو مجوف بلا إيمان، سوى متع الحياة المحسوسة البهيمية. ولا يؤمن إيمانا حقيقيا بالبعث وحساب يوم القيامة وبالحياة الأبدية فى الدار الآخرة .

القضية هنا ليست فلسفية ، بل قضية فارقة فى ميدان المعركة لأن الحرب فى جوهرها هى القبول الإختيارى بالموت .

فالجندى عندهم لا يقاتل إلا "فى قرى محصنة أو من وراء جدر" على حد الوصف القرآنى لهم ولإنسان حضارتهم .

تلك الحصون والجدر توفرها التكنولوجيا فى صورتها العصرية، التى تخيف المجوفين. لكن الإنسان المؤمن يحسب لها حسابها بقدر حجمها الحقيقى، لكن لايخشاها ولا تقعده عن المواجهة والقبول بخيار الموت ، الذى يقرره الخالق زمانا ومكانا ولا تحدده التكنولوجيا مهما بدت "سوبر متفوقه"، والموت هو الموت، سواء كان بسلاح من العصر الحجرى أو كان بأحد أسلحتهم للدمار الشامل.

٢ ـ المال .. هو حياتهم وربهم المعبود. يعلقون عليه مصيرهم وآمالهم. ولأجله يعانون ويحاربون ويكذبون ويقتلون. هو حياتهم وموتهم، سلمهم وحربهم. هو الموت والحياة والإله المعبود.

فى يدهم ثروات الأرض.. نعم، ولكن فى ذلك نقطة ضعفهم أيضا. لأن ذلك المال الذى هو عصب كل حياتهم ومحورها، كله منهوب من كنوز وبلاد الآخرين، خاصة المسلمين. فإذا إستيقظت تلك الشعوب يوما، وهى حتما سوف تستيقظ، ثم إستعادت ثرواتها المنهوبة، وهى حتما سوف تفعل، فإن هؤلاء المستكبرين سيفقدون كل العظمة والبذخ الذى يتمتعون به من دماء وبؤس الآخرين.
إن تهديم إنتفاشهم الشيطانى المغرور لايستدعى بالضرورة غزو بلادهم، بل يكفى فقط إستعادة حقوقنا التى إغتصبوها وأسموها بكل وقاحة "مصالحهم الحيوية".
إن مصالحهم الحيوية الحقيقية هى تلك المنافع الموجودة داخل أراضيهم لا فى أراضى المسلمين وباقى شعوب الأرض المستضعفة. وما سوى ذلك يجب أن يقوم على التعامل المتبادل على أساس العدل والمساواة الكاملة بين الطرفين، وبمعيارر الأخلاق الإنسانية المتعارفة، لابمعيار القوة والتفوق التكنولوجى للسلاح.
وتلك النقطة جوهرية أيضا وليست بحثا فلسفيا أو حقوقيا مجردا، بل إنها تدخل فى صلب التخطيط للمواجهة الشاملة مع هؤلاء المتجبرين فى حربهم معنا، المواجهة الثقافية والسياسية.. والعسكرية الجهادية.

المال وجيوش التكنولوجيا:

التسليح التكنولوجى باهظ التكاليف بالنسبة لدول الطغيان"العظمى" . وإذا بدأت تلك الجيوش فى شن الحرب فإن التكاليف تتصاعد بشكل غير مسبوق فى التاريخ.
ولعلنا نلاحظ أن "التكاليف المعلنة" للجيش الأمريكى فى العراق لمدة شهر واحد تزيد كثيرا عن تكلفة الغزو السوفيتى لأفغانستان لمدة عام.

{{ بلغ الدين الأمريكى العام ٦٥ ترليون دولار!!، ويزداد سنويا بمبلغ ٤٠٠ مليار دولار، مع نسبة عجز فى الميزانية بلغت ٦٥،٥% ـ أرقام عام ٢٠٠٧ }}.

وكذلك كانت حرب إسرائيل ضد حزب ا فى لبنان والتى إستمرت٣٣يوما فقط، ولكن تكلفتها أيضا زادت عن تكلفة حرب السوفييت فى أفغانستان لمدة عام.
مع العلم أن تكاليف الحرب الأمريكية فى العراق وأفغانستان تزيد كثيرا عن ما هو معلن. كما أن التكاليف غير المباشرة للحرب هى أضعاف تكلفتها المباشرة. وكذلك الحال بالنسبة لحرب إسرائيل ضد حزب ا .
نضيف هنا نقاطا جوهرية فى حروب المواجهة بين الجيوش المتخمة تكنولوجيا والمطاريد المستضعفين الذين يخوضون حربهم الخاصة(حرب المطاريد غير التقليدية أو حرب العصابات).
من الحيوى جدا دراسة حروب أمريكا فى البلاد الإسلامية التى إتخذتها مسرحا لتجربة حربها التكنولوجية، ومختبرا للقدرات التدميرية لأسلحتها الجديدة، وآثارها المادية والنفسية على الشعوب. دراسة تلك الحروب مسألة حيوية جدا لكل الشعوب المسلمة والمستعبدة. مع الإنتباه إلى العلاقة بين إستدامة المقاومة الجهادية وبين الإستنزاف الإقتصادى للعدو.

تلك الحروب هى:

١ ـ حرب تدمير العراق"١٩٩١": (أو حرب تحرير الكويت كما أسماها الأمريكان).

٢ ـ حرب إحتلال أفغانستان (حرب الأفيون الثالثة)٢٠٠١م: والتى أسماها الأمريكان حرب مكافحة الإرهاب.

٣ ـ حرب تهويد العراق٢٠٠٣م: وتمت تحت ذريعة البحث عن أسلحة موهومة للدمار الشامل.

٤ ـ الحرب الإسرائيلية على حزب ا لبنان ٢٠٠٦: والهدف كان تدمير حزب ا ، من أجل فتح الباب أمام إعادة تفتيت المنطقة ووضعها تحت السيادة الإسرائيلية و الأمريكية المطلقة.

٥ ـ الحرب الإسرائيلية الدائمة على الشعب الفلسطينى والمنطقة "١٩٤٨ ـ ....":
وهى حرب تقف أمام وخلف كل الحروب التى شهدتها المنطقة العربية والإسلامية.

....

* لا يمكن لأيا كان أن يخوض حربا ناجحة بعد تلك التواريخ بغير دراسة متعمقة للغاية لتلك الحروب الخمس، وإستخلاص النتائج منها على كافة الأصعدة، العسكرية والسياسية والدينية والإقتصادية.

ولابد من ملاحظة أن هذه الحروب مازالت ممتدة ودائرة على أشدها. وحتى حرب لبنان حيث توقفت المدافع، مؤقتا، ولكن وسائل الحرب الأخرى دائرة بأبشع صورة، توطئة لضربة قاضية على الساحة اللبناية المحدودة، التى هى جزء من ساحة حرب متكاملة تبدأ من فلسطين وتعبر لبنان والعراق كى تصل إلى أفغانستان.

وحاليا تجمع العاصفة قوتها ثانية كى تقتلع وتدا أساسيا فى إيران، إما بحرب محدودة منفصلة أو فى إطار حرب عالمية شاملة ، تحقيقا لنبوءة صهيونية عن معركة "هرمجدون".

* الملاحظة الأولية على تلك الحروب السابقة أنه لم تكن هناك أى ضرورة عملياتية تستدعى إستخدام ذلك المستوى المتطور جدا من الأسلحة ولا قوة النيران المبالغ فيها، وبالتالى الإنفاق العسكرى الباذخ والذى يكفى لحل مشكلات جميع الفقراء فى العالم.

المبرر الوحيد هنا هو التأثير النفسى على شعوب المنطقة وباقى الشعوب بالطبع، وإقناعها "بالرعب" أن لا جدوى من المقاومة، وأن الإستسلام بلا قيد أو شرط هو الطريق الوحيد المتاح أمامها.

ومن سؤ حظ هؤلاء المستكبرين أنهم إصطدوا بجدار الإسلام المنيع فى منطقة هى قلب الإسلام على ظهر الأرض. كان الإسلام هو الجدار الصلب الذى إصطدموا به فى منطقتنا، لذا لم يكسبوا الحرب بالضربة القاضية الفنية من الجولة الأولى. وتأكدوا الآن أنهم لن يكسبوها ولو بعد ألف جولة. ومصاريف الجيوش تتزايد بمعدلات فلكية. والخندقة خلف جدران التكنولوجيا، أصاب الجنود بمرض الخنادق الشهير،الذى يأخذ

الجنود إلى الإنهيار النفسى والجنون. وميزانية الدولة الأعظم/أوالأكذوبةالأعظم/فى التاريخ تترنح وتعالج الإفلاس بإستدانة، هى أيضا الأعظم فى التاريخ. ذلك التاريخ المسكين يجهز أوسع مزابله لإستقبال ذلك البغى الشيطانى المسمى أمريكا.

حربى تدمير وإحتلال العراق (١٩٩١ ، ٢٠٠٣)

لقد خدعتهم حربهم الأولى "حرب تدمير العراق" لأنهم إستخدموا قوتهم التكنولوجية كاملة ضد جيش تقليدى منهك ماديا ونفسيا بعد حروب جدباء مع جيرانه وبعد تصفيات لا تتوقف لتطهير الجيش من المشكوك فى ولائهم. ثم أن المستوى التكنولوجى لأسلحة الجيش العراقى أصبحت متخلفة بمعايير ذلك الوقت تحديدا.

ومع ذلك، ولضمان التأثير الكامل، خدعوا القيادة العراقية ، وأقنعوها بسحب قواتها من الكويت فى نظير إنهاء الأزمة ـ التى إستدرجوها إليها بأنفسهم ـ وأثناء إنسحاب الجيش العراقى من الكويت ، وعلى طول طريق صحراوى طويل جدا إنتشرت عليه الآليات العراقية ، وجهوا لها ضربة جوية ساحقة . كان يكفى فيها سلاح جو تقليدى وذخائر من الحرب العالمية الثانية . ولكنهم دفعوا طاقتهم التكنولوجية القصوى لتصوير أكبر مشهد دمار مرعب وقاتل. لا يرعب فقط جيش وشعب العراق ، بل كل شعوب المنطقة العربية المستهدف الأساسى ، وكل مستضعفى العالم المنهوبين ، وإفهامهم أن اللعبة الدولية الجديدة ـ بعد الحرب الباردة ـ يحتوى المشهد الدولى فيها على لاعب أعظم أوحد متفرد ـ يمتلك تكنولوجيا تسليح يستحيل مجرد التفكير فى مقاومتها.وأن المطلوب من تلك الشعوب هو السجود وليس فقط الخضوع.

ليس هذا فقط، بل أن الطاقة النووية أصبحت ضمن الإستئناس التكتيكى فى الحروب من الآن فصاعدا ، ضمن منظومة القتل التكنولوجى فائقة التطور والضراوة .

كان ذلك هو الدرس ..

ولتأكيدة .. تحولت آله الدمار إلى بغداد المستسلمة بلا دفاعات تقريبا. فى مقابل تكنولوجيا التدمير الفضائى. وبدأت هيستيريا التدمير ضد كل شيئ وأى شيئ . تساندها آله دعايه فضائية بالغة القسوة والضراوة هى الأخرى ..

ليس هذا فقط هو كل الدرس.

بل إستمر تدمير العراق بحصار إقتصادى لمدة ١٢ عام، قتل ٢مليون عراقى أكثر من نصفهم أطفال إضافة إلى ضربات جوية مزاجية حسب ما ترى أمريكا وحليفتها الصورية بريطانيا . مع مناطق حظر طيران شمال وجنوب العراق ، قلصت حيز السيادة العراقية إلى شريط صغير فى وسط العراق .

لكن لماذا توقفت الحرب عند هذا الحد ؟.

لأن الشعب العراقى عندما شعر بهزيمة جيش النظام بدأ ينتفض على السلطة الحاكمة محاولا أخذ زمامة بيده.

{{ وكان فى ذلك إشارة متجددة إلى حقيقة أن الأنظمة العربية ليست معنية إطلاقا بالدفاع عن الوطن والشعب. وأن واجب الشعوب الآن هو تولى زمام الأمور للدفاع عن نفسها وأوطانها ضد جميع الأعداء القتلة، وعلى رأسهم النظام الحاكم نفسه}} .

ولكن ليس مطلوبا أن يكون الزمام فى يد الشعوب المسلمة فهو إما فى يد أمريكا أو إسرائيل أو أنظمة تعينها وترضى عنها أمريكا وإسرائيل معا.

لذا ساعدت أمركا نظام عدوها صدام حسين فى تجميع قواته وقمع الثائرين حتى أحبط ثورتهم .

هل هذا يكفى؟؟ .. لا بالطبع ..

لقد إستمر العدوان بعد أن فهم الجميع الدروس المطلوبة، الأنظمة والمعارضون لها.

لذا تحول الجميع لطلاب الصفح والغفران والعون ، وشيئا من فتات السلطة السياسية من اليد الأمريكية القادرة التى تمتلك كل شيئ ، فتعطى من تشاء وتمنع من تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء. أنهم بالنسبة للمتعطشين للمال والسلطة، ليسوا سادة الأرض الجدد ، أو مجرد المحافظين الجدد ... بل الآلهة الجدد !!.

المعارضة العراقية / عن بكرة أبيها / بدون أى إعتبار "للتنوع" العرقى أوالمذهبى أو العقائدى أو الأيدلوجى .

الكل توجه إلى أمريكا باحثا عن دور له فى خريطة العراق الجديد وظلوا يلهثون خلف مؤتمرات التنسيق العلنى والسرى التى تعقدها المخابرات الأمريكية لبحث وضع العراق بعد إسقاط النظام القائم .

ليس إسقاطه على يد الشعب العراقى ، بل على يد القوات الأمريكية ـ حتى يظل الشعب بعيدا عن الساحة ـ وأمريكا تحكم العراق ـ وفق الرؤية الإسرائيلية ـ وبمساعدة الأحزاب العراقية وسياسيو العراق ، جميعا وقولا واحدا !! .

ومن هذه النقطة بدأت "حرب تهويد العراق" .

وما تحدثنا عنه بالنسبة للأحزاب العراقية "المتنوعة" والعرقيات "المتنوعة" والمذاهب والأيدلوجيات "المتنوعة". ذلك /التنوع المتصارع/ والمستقوى بالإحتلال، يجرى تشكيله وتكريسة وفقاً للمنظور الإسرائيلى لدولة إسرائيل الكبرى (من النيل إلى الفرات). نفس الإصطفاف /المتنوع المتصارع/ حدث بدرجات متفاوته، لدول المنطقة جميعا ، المجاورة للعراق والبعيدة عن حد بسواء .

***

ـ هل لكل ذلك صلة بموضوعنا الرئيسى وهو حرب المطاريد غير التقليدية ؟ .

نقول : نعم بالتأكيد . هذه موضوعات حرب . وهل السياسة إلا الوجه الآخر للحرب بل هى وجهى الحرب معا، الناعم منهما والملتهب ؟!! .

هذا درس عظيم من دروس حروب العراق الأولى والثانية، تريد أمركا تلقيننا إياه وهو:

فى ظل النظام أحادى القطب ، والعصر الأمريكى المظلم : على كل من يريد ممارسة السياسة ـ بشكل علنى ـ سواء فى قيادة دولة ، أو قيادة حزب "أو حتى الكتابة السياسية فى "صحيفة حائط" عليه التنسيق،المباشر أو عبر وسيط، مع الولايات المتحدة وأخذ موافقتهاعلى دوره المحدد الذى تعينه له . هذا وإلا فإنه سوف يوضع فى القائمة السوداء ويعاقب ويستبعد من اللعبة إن عاجلا أو آجلا ، إلا إذا ..!!
إلا إذا تغيرت قوانين اللعبة سياسيا وعسكريا ، وذلك هو دور الشعوب العربية و المسلمة تحديدا وإدارتها للصراع والمواجهة طبقا لفلسفة حروب المطاريد، أو الحروب غير التقليدية .
على هذه الشعوب أن تعيد حساباتها السياسية والعسكرية من جديد. وأن تسقط من حسابها تماما، وإلى أجل غير مسمى، كل الجهات دولا كانت أو أحزابا أو زعامات من الذين خضعوا وتعاونوا مع الولايات المتحدة وقوانينها الجديدة فى عصر الإستفراد المجرم بالعالم .

<u>حرب إحتلال أفغانستان ٢٠٠١ :</u>

مارست أمريكا للمرة الثانية عربدتها التكنولوجية بشكل فاق كل ماسبقه ـ حتى ذلك الوقت .
وأيضا لم يكن هناك مبرر لكل ذلك ولا حتى بعضه ، فلم يكن هناك أى نوع من الأهداف التى تستحق الذكر فى أفغانستان، أى هدف يساوى ثمن صاروخ كروز واحد سوى مبنى فندق انتركونتننتال فى كابول، وهم ـ أى طالبان ـ كانوا فى غنى عنه.
فى هذه الحرب ظهر أيضا بشكل غير مسبوق فى أى حرب آخرى "الإجماع " الدولى والأقليمى على مساندة الإحتلال الأمريكى لأفغانستان ، وإعادة تدميرها ، أو تدمير مانسيه السوفييت من جبال .
لقد أعطت عملية ١١ سبتمبر ٢٠٠١ غطاءا جيدا لذلك الإجماع. على أن أمريكا هى الطرف المعتدى عليه والضحية . ولم يكن ذلك صحيحا، وكان ذلك الإجماع سيحدث على أية حال حتى بدون عاصفة الطائرات فى منهاتن نيويورك .
والدليل بسيط للغاية، وهو أن أن نفس الإجماع حدث بعد ذلك بعامين فى العراق ولم يكن هناك أى سبب على الإطلاق ـ سوى ضجة إعلامية أمريكية ، ودفق عال من قرارات مجلس الأمن ضد العراق ، وجميعها قرارات أمريكية ممهورة بالختم الدولى " لمجلس الحرب الدولى" كما أطلق البعض عليه .
نتكلم هنا عن إجماع رسمى لحكومات ـ رغم معارضة حقيقية واسعة لشعوب إسلامية وغير إسلامية ، وحتى شعوب الدول المعتدية نفسها . هذا الضغط الشعبى غير المسبوق فى مرحلة الإستفراد الأمريكى بالعالم ـ دفع العديد من الأحزاب والحكومات إلى النفاق وإخفاء موقفها الحقيقى الذى ظهر بعد ذلك بشكل أو آخر.
لم تكن أمريكا فى هذه الحالة ضحية ، وتزييفها لدوافع العدوان كان فجاً مفضوحاً.

ومع ذلك فالإجماع الحكومى: العربى والإسلامى والدولى، كان موجودا .. ببساطة لأنه أحد سمات العصر الجديد عصر الإستفراد الأمريكى بالعالم .

لذا فإن حروب المطاريد ستكون محاطه بذلك الوضع السياسى المعادى والفريد. وعليها أن تتصرف فى حدود معطياته ، التى يشهدها العالم لأول/وآخر/ مرة فى تاريخه .

(سنذكر لاحقا خصوصية حالة حزب ا فى لبنان الذى عثر له على حلفاء إقليميين فى سوريا وإيران ـ فى إستثناء نادر للغاية) .

فى حرب أفغانستان ٢٠٠١

ـ كانت الضربات الجوية مذهلة ، وبالمثل كان ذلك الإجماع السياسى الدولى ـ والإجماع الداخلى على تأييد الحرب. فلم يعد هناك فوارق بين عرقيات أو مذاهب بل وحدة رائعة ما كانت لتحدث قبل هذا العهد .

الملفت للنظر، والهام جدا للمسلمين فى المستقبل، هو ذلك الإستبدال المزلزل للقانون الإسلامى بالقانون الدولى .

فهناك قادة "جهاديون أصوليون" فى أفغانستان، قاتلوا مواطنيهم المسلمين تحت الراية الأمريكية . وعملوا فى خدمة جيش الإحتلال، وضمن المؤسسات السياسية والتشريعية الجديدة، على أنقاض النظام الإسلامى الذى أقامته حركة طالبان (أو على الأقل حاولت تطبيقه بكل جدية).

هؤلاء القادة عندما واجهتهم بعض وسائل الإعلام بهذا التناقض فى موقفهم ما بين الغزو السوفيتى لبلادهم والغزو الأمريكى ، قالوا: قاومنا الغزو السوفيتى لبلادنا لأنه كان معتديا علينا، أما الجيش الأمريكى فقد جاء بقرار من مجلس الأمن الدولى "أى الولايات المتحدة" .

فماذا يعنى ذلك ؟ .

يعنى أن هناك إستبدالا لمفاهيم الإسلام الجوهرية ، والمعتقدات التى يقوم عليها . إنها ببساطة إعادة صياغة الإسلام وفقا للرؤية الأمريكية ـ أى أنه بشكل مباشر : تهويد للإسلام كما سبق أن حدث للمسيحية ، بل واليهودية نفسها .

ليس هذا كل الخطورة .

بل أن هناك شبه إجماع بين القيادات الإسلامية الكبرى ـ رسمية وشعبية ـ على قياس قامة الإسلام ، بالديموقراطية .

وكأن هذة "الديموقراطية" مرجعية بالنسبة للإسلام، كما فعلوا سابقا مع الشيوعية والإشتراكية .

إنهم يحاولون إدخال الإسلام بكل عظمته من ثقب إبرة الديموقراطية. بل و تحكيم مفاهيم الغرب ـ المفتقد لأى شرعية سوى شرعية الجشع والعدوان ـ تحكيمها فى الإسلام وشرائعة. والحصول من الوحوش المعتدية على صكوك براءة ، لشرائع الإسلام وعقائده .

لهذا الدرك من المهانة وصلوا.. وبكل صلافة وبدون أن يرمش لهم جفن .
إن الإضطراب "والفوضى الخلاقة" التى إجتاحت المنطقة العربية بشكل خاص والإسلامية معها بالضرورة ـ والعالم كله بحكم الترابط المستحدث فى شئونه . كل هذا الإضطراب والفوضى بدأ ينقشع بشئ لا بأس به من وضوح الرؤية .
ـ فالمعسكر المعادى للشعوب العربية والمسلمة أصبح واضحا تماما .
ـ والمعسكر الرمادى الذى يبارك سرا ويستنكر علنا . ثم يبارك علنا ويستنكر سرا .. فقد قدرته على الإخفاء والتمويه ، وألوانه الرمادية تذهب أكثر نحو السوداء .
هذا بلا شك مفيد للغاية ، فتحديد المعسكرات وألوانها مهم جدا قبل شروع المطاريد فى وضع خطط حروبهم غير التقليدية .
* * *
والجدير بالذكر أن التخطيط الدقيق يحتاج إلى رؤية سياسية دقيقة فالألوان ليست متجانسة وليست كتلة واحدة . فهناك تشققات داخل كل لون . لأن كل المعسكرات ليست متجانسة ، والتشققات متواجدة فيها جميعا .
المعسكر الأسود تشققاته تتزايد ، مع علامات على تصدعات مكتومة أو قادمة .
والرمادى يتصارع مع خطوط بيضاء داخله ، والعناصر السوداء فيه تخلع برقع الحياء تارة ، وتتدثر به تارة أخرى .
والمعسكر الأبيض تنسلخ منه عناصر بإستمرار لترتدى ألوانا آخرى تناسبها ـ وتتقاص مساحته بشكل عام ـ لكنها أيضا يكتسب عناصر جديدة أكثر صلابة وأقل عددا .
ومقاعد المتفرجين على المشهد مرشحة للتناقص فمشاعرها مع المقاومة ولكن رغباتها فى السلامة ولقمة العيش تقعدها عن الفعل، فتعجز أحيانا عن رؤية مصالحها الحقيقية على المدى الطويل، والتى تستوجب التصدى للخراب الحادث والهجوم الهمجى عليها من المعسكر الأمريكى الإسرائيلى وحكومات الإستعباد المحلى .
إن الدواء بالكى هو الخيار الأخير الذى سيفرض نفسه على الجميع. لأن ألم الكى هو بالتأكيد أهون من ألم الموت البطئ بالإذلال والقهر والتجويع المفروض على الشعوب العربية والمسلمة .
إن الصراع الأساسى بين المطاريد "المقاومين" وبين أعدائهم هو صراع على إكتساب "عقول وقلوب" قطاع المتفرجين المترددين .
هذا القطاع المتفرج يمكنه أن يحسم المعركة لصالح المعسكر الذى يميل إليه .
ويكفى الأعداء أن يقبع معسكر الأغلبية المتفرجه ساكنا متفرجاً فقط.
بينما يحتاج المطاريد تجاوبا إيجابيا بالعمل والقول معا أو بأحدهما على أضعف الأيمان .
ولكسب قلوب وعقول "معسكر الأقلية الصامتة " من المتفرجين ، يبذل طرفى الصراع جهودا جبارة .

* * *

<u>الزمن كسلاح ضد الجيش التكنولوجى</u>

تكلمنا عن الكنولوجيا وأنها باهظة التكاليف . فما دخل ذلك بالحروب غير التقليدية للمطاريد ؟.

والإجابة هى أن الزمن أصبحت له هنا فعالية مضاعفة .

فالمجاهدون فى حروبهم غير التقليدية يسعون إلى كسب الوقت ـ والمقايضة عليه بالأرض ـ لبناء قواهم الذاتية التى تمكنهم من تطوير حربهم إلى درجة التوازن ومن ثم الحسم العسكرى "فى الحروب طويلة الأمد ـ وسنتحدث عنها لاحقا ".

الآن والعدو يحارب بتكنولوجيا متطورة تنهكه إقتصاديا لدرجة غير مسبوقة .

وقد <u>كان تصور العدو ليس أن يستخدم تلك التكنولوجيا فى حرب إستنزافية طويلة الأمد ـ بل فى حرب خاطفة مدمرة ترعب النفوس وتهد العزائم .</u>

كان تقديره سيكون صحيحا لو أنه حارب شعوبا غير إسلامية، وشعوب ليس لديها هذا الدين فائق الحيوية الذى يحض ويأمر أتباعه بجهاد الطغاة والإستشهاد فى سبيل ا ، وهنا كانت المفاجأة صاعقة له. <u>فالإستعمال طويل الأمد لتلك الأسلحة فى حرب لا نهاية لها، سيؤدى إلى نتيجة معلومة سلفا هى: إنهيار إقتصادى مؤكد للخصم، بل وإنهيار نفسى لجنوده الذين دخلوا الحرب وهم مطمئنين إلى أنهم يقاتلون من خلف أسوار وجدر تكنولوجيا مشيدة ومستحيلة الإختراق .</u>

فإذا بالمجاهدين يصمدون أمام الجدر ويخترقونها بأجسادهم وأسلحة منخفضة التكنولوجيا ، ويصلون إلى أجساد المعتدين . ومن هنا كانت نسبة الإنهيارات النفسية والجنون والإنتحار عالية جدا فى صفوف الجيوش الأمريكية والإسرائيلية وحلفائهم فى كل الميادين التى ذكرناها، من أفغانستان إلى فلسطين مرورا بالعراق ولبنان .

<u>وليس من المستبعد أن يكون الإجهاد الإقتصادى والنفسى دافعا لإخراج إسرائيل والأمريكان وحلفائهم من ميدان المعركة، حتى قبل أن يستكمل المطاريد بناء قواهم الذاتية الجديدة</u>. ولكنهم سيستبدلون جنودهم بجنود المستعمرات من غير الجنس الأبيض. وسيجادلون من أجل طمس الطابع الدينى للحرب والتمويه على الشعوب المسلمة بأنها حروب مذهبية أو عرقية أو ضد الإرهاب، وليست جهادا فى سبيل ا . وبهذا يعزلون المسلمين عن مددهم المعنوى الذى لاينفذ، ويغرقونهم فى قاذورات مسلحة تدور حول تطهير مذهبى وعرقى، ولذلك شواهد واضحة فى العراق. والتجهيزات دائرة من أجل التحضير لمستنقع مماثل فى لبنان، وحتى أفغانستان وفلسطين إذا تمكنوا.

ذلك هو الحل الأنجع المتاح أمام الصليبيون الجدد والصهاينة القدماء .

ـ لقد خذلتهم التكنولوجيا فائقة الجودة والكلفة .

ـ لقد صدمهم صبر المجاهدين فى جهادهم فى سبيل ا .

ـ لقد أصبحت التكنولوجيا مصدر إنكسار المستكبرين بعد أن كانت باعث غرورهم وعدوانهم .
أليس فى ذلك آية من ا لعبادة المستضعفين فى الأرض والمطاردين فى أرجائها . وما ذلك إلا تحقيقا للوعد الإلهى بجعلهم مستخلفين فى الأرض وأن يجعلهم فيها أئمة .. إن هم أخلصوا عملهم لوجهه تعالى .
قلنا أن الحل أمام أمريكا وإسرائيل بعد ورطاتهم ونكساتهم العظمى فى الميادين الجديدة المشتعلة فى أفغانستان والعراق ولبنان هو إلزام قوى داخلية محلية، ودول الجوار بقتال المجاهدين، أو خنقهم بالحصار والمطاردة.

فى أفغانستان :

فى الداخل هناك تحالف الشمال ـ و بعض قادة المجاهدين السابقين.
وفى الجوار هناك مئة الف جندى باكستانى يطاردون المجاهدين والمتعاطفين معهم فى الداخل الباكستانى وعلى الحدود .

فى العـراق :

فى الداخل هناك معظم الأحزاب الشيعية والسنية، وفى دول الجوار هناك تعاون أمنى علنى وخفى ، لضرب المجاهدين ولتحويل مسار الحرب إلى الفتنة المنتنة على أسس مذهبية وعرقية .

فى لبنـــان :

فى الداخل اللبنانى هناك فريق "متنوع" من كل الفرق يقف فى مواجهة مجاهدى حزب ا . ويتم تجهيزهم لإكمال الحرب التى بدأتها وفشلت فيها إسرائيل ـ ولم تعد تستطيع إعادة تجربتها لأن ذلك يهدد وجودها ذاته .
وهناك الجوار العربى القريب والبعيد " فيما عدا سوريا، حاليا"، يؤيد ويدعم بكل جهد ممكن إنهاء حالة حزب ا وتحويل الصراع إلى غير وجهته الإسلامية وأهدافه الوطنية .

فى فلسـطين :

فى الداخل هناك " السلطة الكرتونية الوطنية " ومعها فصائل كانت "مكافحة " قديما وتحولت الآن إلى العمل مع إسرائيل ـ تماما كما حدث فى أفغانستان حيث تحول مجاهدون قدماء إلى ميليشيات أمريكية . وفى الجوار هناك كل الدول العربية "ماعدا سوريا،حاليا" تسعى إلى تدمير المقاومة "إسلامية أو غير إسلامية " وعلى رأسها حركة حماس والجهاد الإسلامى . وتحويل الجهاد إلى قتال داخلى على أساس:
مناطقى: جهاد "ضفة ضد قطاع"ـ ودينى: "علمانية ضد إسلام "ـ وسياسى: "فتح ضد حماس" . ولو وجدوا تفرقة أكثر من ذلك لإستغلوها وحولوها إلى وقود للحرب .
ʘ ولو إستطاعت أمريكا وإسرائيل ـ بعد ورطتهما التكنولوجية ـ لألزمت الدول الإسلامية "والعربية" بقتال المجاهدين فى ميادين الحرب الساخنة: (أفغانستان/ العراق/ لبنان/فلسطين) وهم يفعلون ذلك فى مجال الحرب الأمنية ـ التى إنخرط فيها العالم كله

تحت مظلة قرارات مجلس الأمن والمنظمات الإقليمية المختلفة مثل الدول العربية ومؤتمر شنغهاى والآسيان ... الخ
ولا ننسى منظمة الأمم المتحدة وقواتها لحفظ السلام " أو فرض السلام" والتى تستخدم كمظلة دولية للحروب الأمريكية بدماء شعوب المستعمرات وهذا ما يحدث حاليا فى الصومال والسودان .
وقد يحدث مستقبلا فى العراق أو أفغانستان مع التحويرات الملائمة لكل حالة .
****
إذن القوى الإستعمارية ـ بضغط من ثقل التكنولوجيا الإقتصادى والنفسى ـ قد تحول حروبها الخارجية إلى حروب بالوكالة يخوضها أطراف داخليون وإقليميون ، ومعهم مجلس الأمن الذى يزودهم "بالشرعية" الدولية التى أضحت أكثر قدسية لدى بعض المسلمين من شريعتهم الدينية .
خطورة الحروب بالوكالة هو سهولة إنزلاقها إلى حروب "تطهير"عرقى أو مذهبى كما هو حادث بالعراق حاليا . ويصبح المستعمر مصدر حمايه يتشبث بوجوده كلا الطرفين متوسلين إليه عدم الرحيل (!!) وحمايتهم من إخوانهم فى الدين والوطن .
وغنى عن القول أن المحتل يزود الطرفين بكل ماهو لازم لإدامة القتال بينهما بل ويشارك فيه بعمليات سرية ينسبها مرة لهذا الطرف وآخرى للطرف الآخر.
وذلك نشاط تشارك فيه "الموساد" الإسرائيلية ، وأكثر من مئة وخمسين ألف من المرتزقة ، أو" المتعاقدين" مع الجيش الأمريكى لأداء العمليات الخطرة والقذرة . وهم ضمن شركات كبرى أضحت معروفة الآن وتعمل بشكل علنى ومحترم فى أمريكا ودول الغرب .

" النصر صبر ساعة "

صبر المسلمين وثباتهم فى القتال ، جعل سلاح العدو يرتد إلى نحره وجنودهم المنتفشون غرورا بمناعتهم التكنولوجية ، وثقتهم "المطلقة " فى النصر السهل السريع قد تحولوا إلى دجاج مذعور يصرخ ويفر وينهار ويصاب بالإنهيار النفسى والجنون .
الصبر يدفعهم إلى خيار المواجهات طويلة المدى . فالحرب مع الباطل والجهاد ضده هى مستمرة إلى يوم القيامة ، حتى لايستعبد الباطل الناس ويتحكم فيهم ويرغمهم على الفساد وخسارة الأولى والآخرة .
الصبر..والمواجهة الطويلة .. تنعكس فى استراتيجية المجاهدين فى مراحلها المختلفة ـ وأساليب العمل وتكتيكاته كما سيمر علينا فى إستعراض مراحل حرب العصابات " أو المطاريد" طويلة المدى .
فلكل مرحلة سماتها الخاصة والواجبات المتعلقة بها، حتى تصل إلى درجة نضج معينة تنتقل بعدها إلى المرحلة التالية .. وهكذا حتى الحسم النهائى والنصر .
وما سيرد معنا ليس خطوطا ثابتة لا محيص عنها ، بل هى مبادئ عامة لابد من تطويرها بما يتناسب مع خصوصية المكان والزمان والبشر . وبغير ذلك لا تنجح .

فليس هناك أسوأ من تجاهل قواعد الحرب ، سوى الإلتزام الحرفى بها ، بدون إعتبار للظروف المستجدة والخصوصيات التى تميز كل تجربة قتالية .

التسليح والتحالفات

الإيمان صديق للتكنولوجيا ، لإنها جزء من الأسباب المأمور بها المسلم.

والإيمان صديق التدريب الراقى على إستخدام الأسلحة والمعدات وتكتيكات القتال .

والإيمان صديق المعرفة بمعناها الشامل والواسع ، لأن المعرفة كلها أصبحت من أدوات الحرب ، والإحاطة بها هى جزء أساسى من الأخذ بالأسباب .

كل ذلك يقود إلى حقيقة أن الحرب لابد أن يقودها "جنرال كفء" وجهاز سياسى عسكرى على أعلى قدر من الكفاءة .

و بدون أى تساهل أو تجاوز أو محاباه ، أو إذعان لضغوط فى تشكيل تلك القيادات بمعايير آخرين يريدون الهيمنة على مجريات الأمور لمصالحهم القطرية أو الخاصة .

وكلمة جنرال لا تعنى بالضرورة أن يكون خريج أحد الجيوش ، بل من الأفضل غالبا ألا يكون كذلك . لأن حرب الجيوش التقليدية مختلفة "جذريا" عن جيوش المطاريد غير التقليدية . وإن كان الجنرالات يمكن أن يكون لهم دور كبير فى مراحل متقدمة من حرب المطاريد ، ولكن ليس القيادة المطلقة لتلك الحرب ، بل دور خلف الصف القيادى الأول، لا لشئ إلا لأن تأهيلهم المهنى والنفسى والأخلاقى قد تشكل ضمن مؤسسة عسكرية مغايرة تماما .

التصالح بين الإيمان والتكنولوجيا المتطورة :

التطبيق النموذجى لتلك الفقرة هى حالة حزب ا لبنان وتطبيقاته فى حرب ٢٠٠٦ جنوب لبنان . وهى تجربة سنعود إليها مرارا .

فالحصول على السلاح العادى أو المتطور تكنولوجيا ، وكذلك التدريب فى مراحلة المتقدمة ، والتمويل بشكل عام .. كل ذلك يرتبط وثيقا بشبكة التحالفات السياسية الخارجية التى تبنيها قيادة المطاريد . خاصة مع دول الجوار ، ومع المحيط الدولى إن امكن .

هذا العمق السياسى حيوى ومؤثر جدا ـ سلبا وإيجابا ـ ولكن يمكن النجاح والمضى بدونه ، ولذلك سوابق تاريخية ـ كما سنذكر فى موضع لاحق.

ويمكن أن يكون للتحالفات السياسية الخارجية آثارا مدمرة للغاية ، كما حدث مع تجربة المسلمين فى أفغانستان. إذ كان التدخل الإقليمى والدولى عامل تخريب للمسيرة الإسلامية للجهاد وطمس نتائجة ، بل جعله مجرد حرب بالوكالة لمصحة قوة دولية بعينها ، وجار إقليمى بعينه . والذين قاتلوا (أو جاهدوا !!) بالوكالة لصالح أمريكا وباكستان ، إحترفوا ذلك العمل وقاتلوا ضد شعبهم لصالح أمريكا عندما غزت جيوشها بلادهم.

إذن تزود المجاهدين "المطاريد" بأسلحة متقدمة تكنولوجيا أمر له إيجابياته العالية ، وأيضا محاظيره الخطيرة ـ سياسيا .

فالتكنولوجيا التسليحية ، تزيد من القدرة على مجابهة العدو وأسلحته الحديثة وإيقاع خسائر عالية به . وبذلك يتضاعف التأثير الإقتصادى السلبى على العدو ـ والأهم هو التأثير النفسى على جنوده. لأن الفرد فى الحضارة الحديثة لم يعد يتقبل "خيار الموت" فى ميدان الحروب نظرا لفلسفة المتعة والإستغراق فى الرفاهية وضمور أو إختفاء الجانب الدينى ، وإنزواء شبه كامل لعلاقة الإنسان بربه .

وضاعف ذلك الحصانة التكنولوجية الهائلة التى توفرها الأسلحة الحديثة للجندى بحيث تحول فى معظم عمله إلى مجرد "عامل تشغيل " لمجموعة من الأزرار. مع يد مطلقة فى قتل الخصم والقضاء عليه عن بعد وبلا مشقة وبأمان كامل .

فإذا تشقق ذلك الجدار التكنولوجى فإن نفسية الجندى لا تتشقق، بل تنهار .

وكان ذلك واضحا بشكل لا لبس فيه فى ميادين الحروب المعاصرة التى ذكرناها من أفغانستان إلى العراق إلى لبنان ـ وبالذات فى النموذج اللبنانى بشكل خاص . حيث تمكن المجاهدون المسلمون من التزود بأرفع مستوى ممكن فى الأسلحة المتطورة المناسبة لرجال العصابات. مع تدريب متطور أيضا وقيادة غاية فى المقدرة والكفاءة.

نلاحظ هنا أيضا أن حزب ا فى لبنان قد إستفاد من تحالفاته الإقليمية فى حدها الأقصى، من ناحية الإمداد بالأسلحة المتطورة والتدريب عليها. وحدوده الطويلة مع سوريا التى يصعب السيطرة عليها مكنته من ذلك.

وفى العراق توفرت التكنولوجيا التسليحية والتدريب عليها من الجيش العراقى الذى تفكك بعد هزيمته أمام جيش الغزو الأمريكى ـ وكذلك من بقايا أجهزة النظام الأمنى ـ والتى تولت فيما يبدو بقدر من النجاح إدارة "حرب إرهاب" داخل المدن . وسنعود إلي ذلك فى موضع لاحق .

المجاهدون فى العراق من سنة وشيعة ـ تلقوا عونا من دول الجوار فى الأموال والسلاح والأفراد . ولكن على ما يظهر حتى الآن أنه عون مرتبط بمصالح هذه الدول وحساباتها السياسية، وليس بمصالح حركة المقاومة ـ وهذا شيئ طبيعى .

ولكن مقاومة العراق حتى الآن لم تفرز قيادة موحدة ، ولا حتى قيادة ذات وزن داخل كل فصيل .

والأسوأ من كل ذلك هو تلك الشرزمة المبالغ فيها داخل المقاومة وإنزلاقها إلى الطائفية والحرب المذهبية والعرقية ، وذلك نجاح للعدو لا شك فيه. وهو إنعكاس لرغبة إسرائيل فى تفتيت العراق تحديدا والمنطقة كلها بشكل عام إلى شرائح متصارعة تلجأ إلى أمريكا "حاليا" وإسرائيل "فى المستقبل القريب" كحامى لها ومصرف لشؤنها.

لهذا عندما نقول أن إسرائيل ترمى إلى إحتلال العراق ، فهو إحتلال بهذا المنظور ، أى بأيدى أبنائه ـ فكل فئة تحكم نفسها وتقاتل غيرها وتستعين بإسرائيل فى إطار حرب طوائف تستنزف شعوب "الشرق الأوسط الكبير" كله. فتصبح إسرائيل هى الحاكم والمتصرف بالثروات، وصاحبة السيادة المطلقة فى الإقليم.

ويبدو أن حكومات المنطقة ـ ورغبة منها فى إسترضاء أمريكا ومن أجل الإبقاء على إستمرارية نظمها المتهالكة ـ تتعاون مع أمريكا وإسرائيل فى تطبيق تلك الرؤية. وهكذا تجد فئات العراق المتصارعة دعما إقليميا من دول جوار العراق .

إن أفضل مالدى المقاومة العراقية ، هم مقاتليها من المجاهدين المؤمنين الصادقين. وأسوأ مالديها تلك القيادات الضعيفة التى تتولى إدارة العمل الجهادى المقاوم ، وضعفها السياسى والفقهى ، الذى ورطها فى حرب مذهبية طائفية عرقية تحقق مخطط أعدائها فى نهاية المطاف .

وهذا ما حدث فى حرب أفغانستان ضد السوفييت عندما تولت قيادة المجاهدين أسوأ وأضعف العناصر السياسية، فقاتلت تحت شروط أمريكية باكستانية سعودية أضاعت بطولات ودماء وتضحيات المجاهدين والشعب المسلم فى أفغانستان.

**

ومن ناحية القيادات ، وخضوعها للحلفاء من دول الجوار للعمل ضد مصالح شعبها . نشير هنا إلى الفرق بين النموذج العراقى والنموذجين اللبنانى ، والأفغانى " أى طالبان فى الحروب الحالية ضد أمريكا وحلف الأطلنطى" .

فى لبنان حزب ا ـ هناك توافق كبير جدا بين رؤية الحركة الجهادية وبين رؤية حلفائها ـ وهناك تفاوتات يتغاضى عنها الطرفان حاليا وموضوعة فى مرتبة ثانوية بعيدا عن الإستخدام.

فى أفغانستان فإن تحرك طالبان السياسى مع الجوار يبدو مريحا وبسيطا .

فجميع الجوار بلا إستثناء ـ يعمل ضد الحركة الجهادية وبالتوافق التام مع المصلحة الأمريكية الأمنية والسياسية. والبوابة المفتوحة أمام طالبان هو التحالف مع القبائل البشتونية على الحدود المشتركة مع باكستان . وهى للعلم كانت قبائل أفغانية قبل أن تقوم بريطانيا بسلخ تلك المناطق عن أفغانستان طبقا لإتفاقية " ديورند " التى أعقبت الحملات البريطانية الثلاث على أفغانستان وإنتهت فى بداية القرن العشرين ـ وهذا الإنسلاخ كان محدداً بتسعين عاما.

وكان من المفروض أن تعود بعدها تلك المناطق إلى السيادة الافغانية. المهم أن تلك القبائل ذات النزعة الإسلامية القوية والروح القتالية المتوثبة، قدمت للشعب الأفغانى، الذى هو شعبها أيضا، معونات كبيرة فى جهادة ضد السوفييت سابقا، وضد الإحتلال الأمريكى الأطلنطى حاليا. تلك القبائل تمثل منفذا لتوريد الأسلحة ، التى هى ليست متطورة بالشكل المتوفر فى العراق أو لبنان، ولكن الشجاعة الأفغانية التقليدية كافية لتحويل حتى سكاكين المطبخ إلى أسلحة للدمار الشامل.

العمليات الإستشهادية

الفقر التكنولوجى فى التسليح هو السبب الأساسى فى لجؤ المجاهدين إلى سلاح العمليات الإستشهادية.

فالعدو تحيطه أسوار منيعة من التكنولوجيا الأمنية والتسليحية. فإذا كانت الوسائل المتاحة فى أيدى المجاهدين غير موائمة تكنولوجيا، فإن الحل المتاح يكون فى العمل الإستشهادى. وفيه يقوم المجاهد بدور وسيلة نقل المواد المتفجرة إلى المكان المناسب، خلف الأسوار التكنولوجية للعدو وتفجيرها هناك.

٠٠ ولعلنا نلاحظ ، تأكيدا لتلك الملاحظة، أنه رغم ضراوة الحرب فى جنوب لبنان "فى يوليو/أغسطس٢٠٠٦"، فإن المجاهدين لم يلجأوا إلى السلاح الإستشهادى.

(رغم أن حزب ا هو أشهر من إستخدم العمليات الإستشهادية فى مطلع الثمانينات الماضية ضد قوات الإحتلال الإسرائيلى، وضد قوات المارينز الأمريكية).

والسبب ببساطة أنهم لم يكونوا بحاجة إليها، لكفاية الوسائل التسليحية المتطورة التى بحوزتهم. فى تلك الحرب حدث الكثير من القتال المتلاحم، وإقتحامات غاية الجرأة قام بها مجاهدوا حزب ا ، واستشهدوا فيها. ولكن ليست تلك هى العمليات التى يطلق عليها فنيا إصطلاح العمليات الإستشهادية.

٠٠ فى حربه ضد إسرائيل عام ٢٠٠٦ أغرق حزب ا ثلاث سفن حربية إسرائيليه حديثة بواسطة صواريخ أرض بحر متطورة. بينما إحتاج مجاهدو اليمن إلى عملية إستشهادية كى يضربوا مدمرة أمريكية فى ميناء عدن عام٢٠٠٠.

وفى ذلك مثال آخر للعلاقة بين الإفتقار إلى التكنولوجيا وإستخدام السلاح الإستشهادى.

لايمكن مقارنة المستوى التكنولوجى لتسليح حزب ا ، مع ذلك الموجود لدى المجاهدين فى العراق أو أفغانستان. لهذا فإن العمل الإستشهادى فى هذين البلدين له حضور أساسى لتعويض العجز والفجوة التكنولوجية مع العدو.

٠٠ فى حرب المجاهدين داخل المدن (حرب الإرهاب حسب الإصطلاح الغربى المستخدم) تكون للعمليات الإستشهادية ضرورتان:

الأولى، إختراق الحواجز الأمنية والوصول إلى الهدف.

والثانية، التخلص من مآسى الوقوع فى الأسر والتعرض للتحقيق والتعذيب، الذى أصبح يطال الأهل والأقارب، رجالا ونساء وأطفالا.

٠٠ للعمليات الإستشهادية تأثيرها المدمر على نفسيات العدو. فهو المتمسك بالحياة بكل جوارحة، يشعر باليأس بل والرعب وهو يقابل عدوا يعشق الموت كما يعشق هو الحياة. وتلك أول خطوة للعدو صوب الهزيمة الشاملة، التى تبدأ أولا فى مجال المعنويات.

العدو يرى فى التكنولوجيا حماية له من الموت، وهلاك مؤكد لخصومة. لذا يتوقع منهم إستسلاما غير مشروط. وإستنتاجهم هذا صحيح لو أنهم يواجهون عدوا له مثل

ثقافتهم المادية، ولكن ذلك لاينجح فى بلاد المسلمين .. والسبب الأوحد هو الإسلام. لذا فالعدو الأكبر لهؤلاء الوحوش المفترسة هو الإسلام وعقائده. لذا يبذلون غاية جهدهم لإنتزاع الإسلام من ميدان المواجهة وتفريغ قلوبنا وعقولنا وبلادنا منه، حتى نستسلم لهم ونتخذهم أربابا من دون ا .

لاشئ يشعر العدو باليأس مثل العمليات الإستشهادية، لذلك يحشدون لمقاومتها، ليس فقط قدراتهم التكنولوجية، ولكن الأهم منها هو أسلحتهم الفكرية والثقافية المتمثلة من فصيلة "علماء البنتاجون" من مشايخ الإفتاء النفطى ومتنسكى البترودولار. إضافة إلى مثقفى المارينز العرب، ونجوم الشاشات الفضائية من غلمان وإماء العولمة.

فالماكينات الإعلامية العملاقة لدى العدو يساندها الإعلام العربى المستنسخ، يحصر العمليات الإستشهادية فى مفهوم الإرهاب لاغير. وأنضم إلى هؤلاء القطاع الشيعى فى العراق ومناصروه، حيث أن إنحرافا خطيرا حدث لدى القطاع السنى فى إستخدام العمليات الإستشهادية إستخداما بغيضا فى إطار الحرب الطائفية.

والخطأ له هنا مصدرين:

المصدر الأول: هو قيادات غير كفؤة تدير العمل الجهادى من منطلق فئوى يناسب فكرها الضيق، أومصالحها.

والمصدر الثانى: هو المنطلق الفكرى السلفى الذى يصيب صدور أبناء الأمة قبل أعدائهم. وينحو بطبيعته إلى الصدام "العقائدى" مع باقى مذاهب المسلمين.

مع إعتماد مفهوم مغلوط للشهادة نتج عنه تبذير لامبرر له فى حياة شباب يندر إيجاد نظير لهم فى عالم اليوم، من حيث الإخلاص والشجاعة والرغبة فى خدمة الدين والدفاع عنه. ذلك التبذير ناتج من توجيه هؤلاء إلى عمليات قتال داخلى ضار ومجدب، أو عمليات لاتستوجب، فنيا، العمل الإستشهادى. ثم هناك الهدر فى أرواح المجاهدين الإستشهاديين نتيجة قصور شديد وإهمال من جانب القيادة فى نواحى الإعداد الفنى أو إختيار الأهداف، مكتفين بلقب شهيد الذى يحمله المنفذ للتغطية على إهمالهم وتقصيرهم. والوسط الإسلامى عامة لايعتمد أسلوب البحث والمساءلة، وبشكل أخص للقيادات.

ذلك الخلط يؤدى إلى النيل من القيمة المعنوية والعملياتية العالية للعمليات الإستشهادية.

***

الأرض الصديقة: مزايا ومخاطر

الحصول على الأسلحة بأنواعها، العادية والمتطورة. وكذلك التدريب عليها، والإمداد بالذخائر، هى من المزايا التى يمكن أن توفرها الأرض الصديقة لحرب العصابات. وتوفر كذلك الدعم الإعلامى والسياسى، وتوفير مقار إدارية وقيادية وخدمات طبية وإيواء للمهاجرين.

أصعب ما فى الحرب ليس معاركها العسكرية، بل معاركها السياسية.

والتحالفات الداخلية والخارجية هى جزء من تلك الحرب السياسية. والخطأ فيها يكلف الكثير جدا من الدماء إما بسبب مباشر للخطأ أو لمحاولة علاج نتائجه.
وما يقال عن التحالفات يقال أيضا عن المفاوضات مع العدو. وكثيرا ما أهدرت دماء غزيرة سالت فى معارك ضارية بسبب خطأ سياسى فى المفاوضات.
{{ فى تاريخنا الحديث هناك حرب١٩٧٣ والمفاوضات التى أعقبتها حيث أهدر الرئيس المصرى السادات إنتصارات جيشه فى بداية المعركة، وحولها إلى هزيمة سياسية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ صراع العرب مع إسرائيل. ومن سياق أحداث تلك الفترة يظهر أن ذلك التفريط كان متعمدا، وطبقا لإتفاق سرى بين السادات وصديقة المفضل هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا وهو صهيونى متعصب لإسرائيل. أما قادة المنظمات "الجهادية" الأفغانية فى فترة الجهاد ضد الغزو السوفييتى فقد باعوا تضحيات شعبهم فى مقابل مكاسب شخصية تافهة ضمن صفقة سياسية شاركوا فيها بعد سقوط النظام الشيوعى فى البلاد وتسبب ذلك العمل فى سلسلة حروب داخلية إنتهت بالغزو الأمريكى للبلاد والذى كان هؤلاء القادة من أدواته الفاعلة}}.
* أكثر ما يهم حرب العصابات "المطاريد" هم حلفاء الجوار. فالحدود معهم تصبح الرئة التى يتنفسون منها، لذا يبذلون غاية جهدهم/ السياسى والعسكرى/ لإبقائها مفتوحة طول الحرب.
فمن تلك الحدود تدخل الأسلحة والعتاد والأموال، والإمدادات بمختلف أنواعها، العسكرى منها والمدنى. ويدخل الإعلاميون والمتطوعون والأصدقاء. وفيها تكون مقار للقيادة والخدمات الإعلامية والصحية.
مع ذلك السيل يأتى أيضا الخطر الداهم على حركة العصابات "المطاريد" وأهدافهاالسياسية عندما تحين، أو تقترب، ساعة الإنتصار. فالحلفاء يضعون مطالبهم فى المقدمة. وهم يعرفون كيف يحصلون عليها حتى قبل الإتفاق النهائى على الوضع السياسى القادم. فالإتفاق بين قادة حرب العصابات وحلفائهم ، فى الجوار أو فى المحيطين الإقليمى والدولى هو إتفاق سياسى قائم كما هى العادة على تبادل المصالح. أى عملية حل وسط بين مصالح بينها إختلاف كما بينها إتفاق.
وتخطئ أى حركة حرب عصابات إن هى ظنت أن هناك إتفاق يمكن عقده مع أى دولة، قريبة كانت أو بعيدة، على أساس المبادئ، فهذا خطأ شائع لدى المبتدئين. فالدول ـ أى دول ـ لا تفكر بالمبادئ والشعارات التى ترفعها، بل تفكر بمقتضى مصالحها التى قد تتفق أو تختلف مع مبادئها وشعاراتها المعلنة ـ فليس لذلك أى أهمية لديها . ويمكنها إصلاح أى خلل شكلى يحدث عند مخالفة المبادئ والشعارات ، أن تعالجه بشئ من المجهود الدعائى القائم على المهارات الكلامية والتلاعب بالمصطلحات .
واذا كان الخلاف فادحا فيمكن علاجه بوسائل متصاعدة من العمل السياسى أو العسكرى أو الأمنى .

مثلا : يمكن جعل العدوان على دولة معينة معادية أو صديقه أو شقيقة عملا أخلاقيا مبرراً إذا تم إفتعال حدث معين يظهر تلك الدولة بصورة المعتدى الجائر الذى ينبغى ردعه . ومن ذلك المنوال يعطينا التاريخ أمثله لاحصر لها .
* *
لا ترى الدولة ـ فى بداية الأمر ـ أن حركة مقاومة مسلحة تجرى على حدودها سوى فرصته للإستفادة للتمدد فى مجالها "الجيوسياسى" وتعاظم دورها الإقليمى على كافة المستويات الإقتصادية والسياسية والعسكرية .
وهى تضع منذ البداية حدودا لتعاملها مع تلك الحركة بما يحقق أقصى عائد ممكن . بعد ذلك الحد توجد نقطة الإفتراق ، وعادة ما تكون نقطة الفراق هى نقطة العداء ذاتها . وحركة المقاومة وقيادة حرب العصابات من واجبها أن تحدد لكل حليف ـ قريب أو بعيد ـ نقطة الإفتراق وأيضا نقطة العداء ـ وهى تلى نقطة الإفتراق بقليل. بالطبع عليها أن تجد لنفسها بدائل وحلول قبل وصول نقطة الفراق. ومن المهارة ألا تدع الأمور تصل إلى نقطة العداء .
وربما كانت حركة المقاومة التى تشن حرب عصابات "غير تقليدية ـ مطاريد " تدفع عدوان يمثل خطرا عليها وعلى جيرانها ـ كما كان جهاد الأفغان ضد الجيش الأحمر السوفيتى. وعندها كان جهاد الشعب الافغانى وحربه الجهادية هى دفاعا حقيقيا عن "الأمن القومى" لجارتهم باكستان ـ بل وجيرانهم الأبعد فى الخليج . بل وعن القوة الدولية الآخرى : الولايات المتحدة .
كان ذلك الوضع يجعل كفة المجاهدين الأفغان هى الأعلى عند عقد تحالف سياسى مع تلك الأطراف الخارجية .
لولا أن نماذج القيادات الأفغانية كانت هى أسوأ ما يمكن أن يبتلى به شعب من الشعوب. فقد باعوا أنفسهم لباكستان بأبخس الأسعار . ولم يكن لهم ثقل قيادى غير قدرتهم على التصنع والكذب وتوزيع المعونات الخارجية من سلاح وأموال على حثالات الأتباع فى الداخل .
وهكذا تحول جهاد مثالى نشب تلقائيا فى داخل البلاد ، تحول بفعل تلك الزعمات وسلوكياتها المنحرفة إلى مجرد حرب بالوكالة أضاعت أفغانستان فى متاهات لم تستطع الخروج منها حتى الآن .
ونشير هنا إلى تجربة حزب ا الذى إستطاع أن يعقد تحالفه الإستراتيجى مع جاره القريب فى سوريا والحليف الأبعد نسبيا فى إيران، على أساس الأمن المشترك ضد عدو يهدد الوضع الأمنى والجيوسياسى لجميع الأطراف.
ولكن القيادة الواعية والمقتدرة لحزب ا حافظت لنفسها بالوضعية الصحيحة داخل ذلك التحالف، فكانت ندا للأطراف الأخرى، بل ومتميزا عليها نظرا لأمكاناتها على الفعل وتميزها بالجرأة والحيوية، بحيث يمكنها فعل ما لا يمكن لحلفائها فعله، رغم

الفارق الكبير فى الإمكانات بينها كحركة مقاومة وبين حلفائها كدول مستقرة ذات قدر من القوة.
لذا لايمكن القول بأن حزب ا يخوض حربا بالوكالة عن حلفائه كما فعلت التنظيمات الأفغانية نيابة عن أمريكا وباكستان. بل أن الحزب يعطى/ حتى الآن/ مثالاجيدا على قدرة حركة جهادية مقاومة على أن عقد تحالفات خارجية مفيدة ومتكافئة.
ولكن إذا وصل حلفاء حزب ا ، أو أحدهما إلى نقطة يرى نفسه عندها فى غير حاجة إلى ذلك التحالف، أو أن ذلك التحالف قد يشكل عليه عبئا أو خطرا، فإن الوضع عندها سيختلف تماما. وعندها قد يفقد الحزب أحد حليفيه أو كليهما.
عليه فى هذه الحالة أن يجد حلفاء جدد ، أو أن يعتمد على قواه الذاتية ويبدأ مرحلة جديدة قد يكون فيها وحيدا. وهذا سينعكس على أدائه السياسى والعسكرى. بل ربما تطلب الأمر قيادات جديدة واستراتيجيات جديدة.
ونلاحظ أن البرنامج السياسى لحزب ا ، وكذلك أى حركة مقاومة أو حرب عصابات، لايمكنها تجاوز برنامج حلفائها، بل يكون فى حده الأقصى حلا وسطا بين الحركة وحلفائها. لذى نرى أن الشعارات الإسلامية لحزب ا لاتكاد تتخطى التعبئة المعنوية لجمهورها ومقاتليها. لهذا إختفى من قاموسها الدينى والسياسى ذلك الخطاب الشائع لدى الحركات السنية عن تطبيق الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية. يرجع ذلك إلى طبيعة حلفاء الحركة من جهة، وإلى الوضع الخاص جدا للدولة فى لبنان، وتركيبتها الطائفية الحرجة المعقدة وإرتباط تلك الطوائف برعاة وحماة إقليميين ودوليين. لذا فإن لبنان هى مشروع دائم للفتن بأنواعها الطائفى والسياسى، وجميعها قابل للتفجير فى أى لحظة، صدفة أو بفعل فاعل.
وهنا تتجلى براعة حزب ا فى تقدير خصوصيات موطنه، السياسية والدينية والإجتماعية ودوره، أو وظيفته، الجيوسياسية.
وهذا بالضبط ما يجب أن تفعله أى حركة تقود حرب تحرير من أى نمط كان، حرب تحرير أو إنتفاضة "ثورة" شعبية.
والخطاء الشائع لدى معظم الحركات الجهادية، هو تجاهل الواقع من حولها فتتصرف وكأنها تعيش فى مجتمع المدينة المنورة فى صدر الإسلام. وحتى ذلك المجتمع المثالى غير مفهوم لديهم إلا بطريقة مغرقة فى الأوهام المفصولة عن حقائق الواقع كما كانت فى ذلك الوقت البعيد.
فالتحالفات السياسية السياسية فى ذلك العصر الذهبى الأول كانت تعقد مع أطراف غير إسلامية بالطبع، لأن الإسلام كان له طرف واحد وقتها، هو المدينة المنورة نفسها.
لانتكلم على تحالفات داخل مجتمع المدينة، مع ساكنيها من اليهود. وهى تحالفات قائمة على سيادة الإسلام وصيانة المصالح المشتركة وأمن باقى الطوائف.

بل نتكلم عن تحالفات مع قبائل من المشركين حول مكة، قائمة على الدفاع المشترك عن الأمن ، ضد أى عدوان خارجى .
ولذلك نشبت الحرب بين المسلمين ومشركى مكه الذى إعتدوا على حلفاء المسلمين.
وأدت الحرب إلى فتح مكة بواسطة أقوى جيش شهدته قريش وكان إسلاميا، ولم يقاوم منهم أحد ذلك الجيش بشكل جدى ، سوى إشتباكات صغيرة .
إذن التحالفات مع القريب والبعيد ، فى الداخل والخارج جزء جوهرى لأى طرف سياسى فى العالم القديم والحديث .
ولكن التحالف كما يعطى قوة إضافية ، يمكنه أن يعطى أثار سلبية للغاية ، أذا كانت القيادة السياسية التى تشرف عليه عديمة الكفاءة أو أنها صنيعة للآخرين ولا تمثل شعبها .

نعود إلى حرب العصابات "المطاريد" فنقول أن تحالفهم مع الجيران له مزايا كبيرة وله مخاطر جمة. وذلك يعتمد على أهمية قيادة المطاريد وسندها الشعبى الذى يعطيها وزنا فى كل حركتها السياسية والعسكرية وبدون ذلك السند ، تتحول تلك القيادة إلى العمالة والإرتهان بالخارج وفى تاريخنا الإسلامى الحالى والماضى أمثلة لا تحصى على ذلك .
ونكرر القول أن هذا التحالف شيئ ضرورى وجيد ، ولكن يمكن العمل والنجاح بدونه على شرط توفر المساندة الشعبية القوية. والطاقة المعنوية التى تبعثها القيادة المقتدرة فى صفوف شعبها .
وإذا كانت التحالفات الخارجية يمكن الإستغناء عنها، وكذلك العمل بدون أرض صديقة مجاورة للحدود ، فإن الذى لا غنى عنه هو التحالفات الداخلية بين فئات الشعب، بكل تنوعاتها الدينية والعرقية والسياسية، وإيجاد ميثاق مشترك للتعاون ورسم آفاق التعايش وهذا ما فشلت فيه الحركة الجهادية إلى الآن، بل والحركة الإسلامية وفروعها الكثيرة فى أنحاء الدنيا . فلم تعد قادرة علي القيادة أو التغير أو إستنهاض الشعوب من أجل الحياة العادلة والحرة والكريمة التى أرادها الخالق لجميع البشر .

فن التحالف السياسى أعقد من فن الحرب وأخطر ـ لذا إتفق البشر أجمعون على أن الحرب عمل سياسى عنيف يقوده جنرالات ولكن تحت توجيه القيادة السياسية .
والخطير أن يحدث العكس، أى أن يصبح العمل السياسى فعلا عسكريا يوجهه جنرالات بعقلية عسكرية تؤمن بالقوة فقط. يمكن أن يتمتع عسكريون بمواهب سياسية وعسكرية معا ولكن لكل عمل أصوله التي تميزه. والسياسة كما إتفق العقلاء هى فن الممكن ـ وبالقطع ليست فن الخيالات وأحلام اليقظة. والقوة وسيلة أساسية لمساندة السياسة وحمايتها وفتح الطرق المستعصية أمامها .
فالسياسة بدون قوة ، نوع من الهوان الحقير الذى لا وزن له ولا يمكن أن يحترمه أحد . والقوة بلا سياسة حكيمة، نوع من الجنون الأحمق الذى لا يقود سوى إلى الدمار، دمار أصحابه قبل غيرهم ـ حتى ولو كانوا قوة عظمى على مسرح العالم .

"فما بالك إذا كانوا قوة "ميكروسكبية" مثل قوى جهادية تسلم قيادها بعلم أو بدون علم لقادة سياسيون لا يتفقون معهم فى كثير أو قليل من الأهداف . فقط يعملون معهم بنظرية "بغال التحميل" التى تقدم خدماتها للعدو لقاء طلقات فى الرأس بعد إنجاز العمل كنوع من العرفان بالجميل لصديق أحمق ، يقاتل ولا يفكر .

لا بد من الإشارة إلى أن أى تحالف لا يعطى حق أو إمكانية السيادة لوجهات نظر طرف واحد. بل أن هناك مراعاة من كل طرف لمصالح باقى الأطراف .

أما إذا كان هناك طرف واحد يفرض وجهات نظرة فقط ، فمعنى ذلك أن باقى الأطراف هى مجرد مرتهنون أو مرتزقه أو عملاء أو .. الخ .

كما نرى مثلا فى "تحالفات " الولايات المتحدة مع غيرها من الدول ، خاصة دول العالم الثالث . فكلمة تحالف هى لمجرد تضليل الشعوب ، وإستبدال لكلمة عمالة بكلمة "تحالف" .

والتحالف الحقيقى يستدعى توازنا أو تكافئا فى القوى . أوتقاربا فيها . فإذا كان هناك تفاوتا كبيرا فى الميزان المادى للقوى ـ كما فى حالة تحالف حركة تحرير مع جوار إقليمى أو طرف دولى ، فالتعويض هنا من أجل العلاقة المتوازنة يأتى من أهمية العمل العسكرى للمقاومة أو حركة التحرير ، بالنسبة للأمن القومى لحلفائها أو دورهم الجيوسياسى الإقليمى أو الدولى .

فقد ظهر ـ خاصة فى أيام الحرب الباردة ـ ثم ماتلاها من حروب التخمة التكنولوجية التى تخوضها أمريكا وإسرائيل ، وعلى ضوء نتائج حرب أفغانستان ثم العراق ثم لبنان وفلسطين قبلا وبعدا، ظهر أن حركات المقاومة المسلحة تمتلك من قدرة المواجهة وكبح جماح جيوش التكنولوجيا أكثر مما يمتلك أى جيش تقليدى. فحروب التكنولوجيا لأمريكا وإسرائيل يمكنها تدمير أى جيش تقليدى فى المنطقة فى غضون ساعات قليلة ـ سواء ذلك فى سوريا أو فى إيران "حلفاء المقاومة فى لبنان وفلسطين". ومن هنا يأتى التكافؤ فى التحالف بين مقاومة شعبية مقاتلة ودول إقليمية مهمة أو كبيرة .

{{ محدودية تجربة فلسطين القتالية يأتى من حقيقة الحصار العربى المضروب عليها من جيرانها فى مصر والأردن . بل ومن عملهم الأمنى النشط لضربها والتآمر عليها عسكريا وسياسيا .
وكون نظامى البلدين هى أنظمة مفروضة بالقوة الأمريكية الإسرائيلية وبشرعية مستمدة منهما وليس من شعوب البلدين }}.

* * *

لابد من إعادة الأشارة إلى حقيقة أن الدول التى تساند مقاومة مسلحة فى بلد آخر تكون مدفوعة بمصالحها "الجيوسياسية" وليس بأيدولوجيتها بل يمكنها أن تتغاضى عن تلك الأيدولوجية أو حتى تضرب بها عرض الحائط عند الضرورة. وعندما تفترق المصالح.

ولكن التغنى بالروابط الأيدلوجية والعقائدية يفيد دعائيا فى مرحلة التحالف.

• مساندة المقاومة فى لبنان يعتبر نقطة قوة فى صالح المفاوض السورى والإيرانى فى مقابل المفاوض الأمريكى "وربما الإسرائيلى مستقبلاً" للحصول على شروط أفضل لممارسة دور "جيوسياسى " معقول داخل المنطقة التي تسميها أمريكا وإسرائيل بالشرق الأوسط الكبير . وتلك المساندة تعتبر أيضا رادعا أمنيا لصالح كل منهما فى مقابلة العربدة العسكرية لأمريكا وإسرائيل. فلاشك أن قدرة حزب ا العسكرية وإمكاناته للرد بل الردع، فعاله بما يكفى، وأكثر أمنا لأن ردات الفعل ستظل محصورة جغرافيا بمواقع حزب ا وما حوله من أراضى لبنانية .

فإذا ما حصل البلدان أو أيهما ـ سوريا وإيران ـ على الدور الإقليمى الذى يرتضيه وكفالة أمنية مناسبة إزاء التهديد الأمريكى الإسرائيلى . فإن تحالفهم مع حزب ا سوف يلغى تلقائيا وتظهر علاقة جديدة .

فإما أن يتلائم حزب ا مع الوضع الجديد ويتعايش معه أو يعارضة معتمدا على قواه الذاتية، إن كان يستطيع ذلك، أو أن يبحث عن تحالفات جديدة .

وربما فى ظروف خاصة جدا، نتمنى ألا تحدث، قد يجد نفسه فى نفس موضع مشابه لتنظيم القاعدة وحركة طالبان ـ بأن تطعنه من الظهر جيوش جيران أصدقاء ، أو مطاردا فى أرجاء لبنان وفى أصقاع العالم ، أوداخل الأقفاص الحديدية والسجون السرية والعلنية التى تديرها الولايات المتحدة وإسرائيل .

* * *

إذن من الهام جدا لدى قيادة "المطاريد" أن تكون خريطة المصالح داخل تحالفاتها واضحة للغاية . حتى تعرف مجالات التحالف ومزاياه ومضاره ومصالح كل طرف من أطرافه ، ودوافعه من التحالف . ونقطة الإفتراق لكل طرف، أى النقطة التى سيخرج منها ذلك الطرف من التحالف قبل أن تتحقق أهداف "حركة المطاريد". والأهم فى كل ذلك هو بناء القوة الذاتية الكافية للإستمرار وتحقيق الأهداف، حتى بدون تحالفات خارجية. بل وتحديد سقف جديد من الأهداف فى حالة ما إذا إنفضت التحالفات وكانت القوى الذاتية " لحركة المطاريد " غير كافية لبلوغ الأهداف التى أعلنت عنها عند بداية الحركة . مع العلم أن ذلك عمل لايخلوا من أضرار قد تكون كبيرة. لذا من الأفضل أن تحدد الحركة أهدافها منذ البداية عند الدرجة التى يمكن تحقيقها بقوتها الذاتية، وليس بقوتها التحالفية. وبهذا تتجنب الظهور بمظهر المهزوم أو المتخاذل أو المرتهن لتحالفات خارجية.{{ لعلنا نلاحظ هنا السقف السياسى المتواضع جدا الذى حدده حزب ا لبنان لنفسه، والذى هو أقل بكثير من قدراته العسكرية التحالفية}}.

من هنا ندخل فى باب المرحلية والعمل المرحلى ، فالحركة التحريرية "الجهادية " تبدأ بهدف يناسب المرحلة الأولى من العمل . ولا تبدأ بهدف أقصى لا يمكنها تحقيقه بقواها المتاحة أو الممكنة فى مرحلة الإنطلاق الأولى .

فلا يمكن مثلا للمجاهدين فى فلسطين " الحماس والجهاد " فى بداية العمل المسلح من طرح شعار دولة إسلامية على كامل التراب الفلسطينى . فلا إمكاناتهما الحالية أو

الممكنة داخل فلسطين يمكنها من ذلك . ولا هناك أى إمكان للتحالف إقليمى مجاور أن يدعمها فى ذلك البرنامج . ولا إمكانية دعم لبرنامج مثل ذلك فى العالم الإسلامى ، وحتى أن وجد فالحصار الكامل المضروب على فلسطين من اليهود الصهاينة واليهود العرب المجاورين الحاكمين المتحكمين سيجعل ذلك الدعم ـ إن وجد غير ممكن عمليا . "ويمكن فى البداية طرح شعار تحرير القطاع والضفة بالقوة المسلحة ، وهو ما نجحوا فيه بالفعل فى غزة وتعرقل تحرير الضفة بفعل أخطائهم أنفسهم. ولا يمكن لمجاهدى العراق طرح شعار دولة عراقية إسلامية ، فى ظل القتال الطائفى والعرقى الدائر والمتفاقم تحت رعاية إسرائيل والمحتل الأمريكى ودول الجوار جميعها .

بل أن شعار مجرد عراق موحد "تحت أى حكم كان " يبدو الآن نوعاً من الخيال . وجميع القوى العراقية تتحمل ذلك الوزر بلا إستثناء ـ ونخص بالذكر "السلفية الجهادية" التى رفعت شعار تنظيم القاعدة الذى أصبح ملاذا دعائيا آمنا لكل حالات الفشل أو حتى الإنحراف الجهادى والإنحراف الحركى والفكرى فى بلاد المسلمين .

ولا نعفى بالطبع التيار الشيعى فاقد الشرعية الذى إستدعى وساند وتمسك بالإحتلال، ورأى فى الفتنة الطائفية سبيلاً أسهل لإرعاب الطائفة الشيعية وإقناعها بجدوى برنامج الفتنة وخطورة برنامج التحرير.

***

إختراقات الأرض الصديقة

ذلك العنوان هو واحد من أهم مخاطر الأرض الصديقة. ولنأخذ ماحدث فى أفغانستان فى حربها ضد السوفييت مثالاً.

فعندما تنشب الأزمة مخالبها داخل بلد منكوب، ويبدأ القتال ضد غزاة متحالفين مع أطراف داخلية، حتى تبدأ سيول المهاجرين فى التدفق على دول الجوار. وأول الفارين تكون القيادات السياسية الباحثة عن دعم الجيران وأطراف دولية أخرى.

باكستان دولة الجوار، سعت منذ الوهلة الأولى إلى السيطرة على مسار الأحداث وتوجيهها بما يتوافق مع مصالحها من ناحية، ويجنبها الأخطار من جهة أخرى. فبدأت تشكيل الهياكل القيادية لجماعات المقاومة. وحرصت على إبقائهم متفرقين حتى يسهل التحكم فيهم. وأستبعدت القيادات من غير المتوافقين مع مصالحها. ثم تقدمت باكستان إلى الولايات المتحدة كى تعرض خدماتها فى المجال الأفغانى بما صارت تملكه من أوراق، فى مقابل عمولة مناسبة.

الثمن كان موضع خلاف بين باكستان وأمريكا. فقد حاول الرئيس الباكستانى ضياء الحق إبتزاز أمريكا، نظرا لخطورة الأزمة الأفغانية، التى أصبح يمتلك مفاتيحها الرئيسية، مع إحتمال تطور الأزمة إلى فتيل إشعال لحرب عالمية ثالثة، ستكون بلادة أول ضحاياها.

فى النهاية، وعندما حقق المجاهدون الأفغان نصرهم التاريخى، إغتالت أمريكا حليفها ضياء الحق. واستعادت من باكستان ما نالته من ثمن فى الصفقة الأفغانية، ووضعت

الدولة كلها تحت الإحتلال المباشر تحت ذريعة مكافحة الإرهاب فى حرب٢٠٠١ ضد أفغانستان.
لم تترك أمريكا لباكستان ميزة الإنفراد بالتأثير على المشهد "الجهادى" !! فى أفغانستان وتحريك بيادقه، بل أشركت معها السعودية بهدف إضعاف الدور الباكستانى ولإحداث مزيد من الشروخ فى الجبهة الداخلية الأفغانية المجاهدة أو المساندة للجهاد.
فبدلا عن التوحد المذهبى للأحناف ـ دخلت السعودية وإشترت قادة سلفيون.
وبدلا عن قيادة العلماء المدعومين من قيادات القبائل ظهرت لأول مرة فى المجتمع القبلى الأفغانى "بدعة" الأحزاب الإسلامية !! . فتمزقت كل قبيلة بعدد تلك الأحزاب الإسلامية الجهادية الجديدة وبتأثير الأسلحة الى توزعها على من تشاء ـ وهى أسلحة أحضرتها أمريكا.
مزيد من التعقدات أضيفت على المشهد بدخول جماعات إسلامية عريقة ذات شعبية وثقل فى الشارع الإسلامى. دخلت لتلعب دور المساعد ، للمساعدين الباكستاني والسعودى.
فالجماعة الإسلامية الباكستانية عملت ذراعا لضياء الحق داخل المنظمات الجهادية الأفغانية وتبنت حكمتيار "الزعيم الأصولى" الذى أصبح خيارها المفضل وخيار زعيمها "المؤمن" ضياء الحق .
ثم دخل التنظيم الدولى للإخوان المسلمين ليعمل ذراعا سعوديا داخل المنظمات الإخوانية الأفغانية والتى أطلقوا عليها لقب "الأصوليين" . وإختارت منهم عبد الرسول سياف الذى أصبح مندوب التنظيم الدولى فى أفغانستان وأصبح خيارا سعوديا مفضلا بل محسوبا كرجل السعودية الأول فى " الجهاد الأفغانى" .
ودخل التيار السلفى السعودى "الوهابى" وتمكن من تصنيع زعامة سلفية محدودة التأثير فى كونار الأفغانية وهو مولوى جميل الرحمن .
إذن نحن أمام تنظيمات إسلامية كبرى . تقدم خدمات لحكومات إقليمية فى قضية كانت هي الأولى دوليا لعقد ونصف من الزمان . وذلك تحت ستار إسلامى .
بالطبع أحرزت تلك الجماعات الإسلامية مكاسب حزبية كبيرة بل أحرزت أهمية دولية مرموقة لأول مرة ـ أثارت حسد قيادات سياسية فعالة فى باكستان، مثل حزب الشعب برئاسة بينظير بوتو، وحزب الرابطة الإسلامية بزعامة نوازشريف " وكلاهما عمل عندما تولى الحكم لاحقا على إضعاف الجماعة الإسلامية وتغريمها ثمن ذلك الصعود الكبير على حساب قضية دولية حساسة .
حدث شيئ أبشع للإخوان المسلمين وقيادتهم الدولية فى مصر . فبينما النظام المصرى كان هامشيا جدا فى قضية أفغانستان كان دور الإخوان المسلمين فى صدارة الداعمين للمشروع الأمريكي فى أفغانستان، من تحت العباءة السعودية الفضفاضة. فبدأ النظام المصرى سياسة أكثر توجسا وتضييقا على الإخوان خوفا من أن تختارهم أمريكا

بديلا له فى ظروف معينة ـ أو شريكا ونداً فى ظروف آخري . ووصل الأمر بالنظام أن إغتال "السنانيرى" موفد الإخوان للأحزاب الجهادية فى أفغانستان .
وبالمثل ، بعد إنتهاء الجهاد فى أفغانستان وبدء الحكومة المصرية حربا إستئصالية على المجاهدين العائدين إلى أرض الكنانة، قدم الإخوان عونا معنويا لحكومة بلادهم فى إدانة من شاركوا فى الجهاد فى أفغانستان بدعوى أنهم متطرفون ـ رغم أن أكثرهم جاؤا تحت تأثير الإعلام الإخوانى والدعاة من الإخوان من أمثال الدكتور عبد ا عزام وغيره كثيرون .
وقدم الإخوان أنفسهم كبديل إسلامى معتدل ، ومقاوم للتطرف الإرهابى لهؤلاء "العائدين من أفغانستان" الذين قاوموا بالسلاح فى مصر،عمليات تصفية جسدية مارستها الأجهزة الأمنية ضدهم ، فورطتهم السلطة فى حرب مواجهة مفتوحة مكنتها من تصفيتهم فى حرب صورها الإعلام الحكومى والدولى على أنها خطر إسلامى إرهابى أصولى يهدد العالم والأنظمة العربية المعتدلة .. وإسرائيل !! .
وتراقص الإخوان على المسرح المحلى والدولي طالبين إعتمادهم لاعبا إسلاميا معتدلا على نمط الأحزاب التركية العلمانية/ إسلامية.

إذن دول الجوار كما أنها تفسد حركات المقاومة المهاجرة إليها كلما وجدت إلى ذلك فرصة كبيرة أو صغيرة ـ فإنها فى نفس الوقت تستخدم تيارات إسلامية محلية تقدم الدعم فى نفس الطريق مقابل مزايا تحصل عليها .
والإفساد هنا مزدوج تمارسه الحكومات على الجانب المهاجر وعلى الجانب المحلى فى آن واحد .
والجماعات الإسلامية الكبيرة تتصرف كما الدول ، أى بمنطق المصالح وليس بمنطق الأيدلوجيات والعقائد. ويجرى تغطية ذلك بمصطلحات فضفاضة مثل "مصلحة الدعوة"، تماما كما تفعل الدول عندما تطلق شعارات، مثل المصلحة الوطنية أو مقتضيات الأمن القومى ، أو تطبيق قرارات " الشرعية الدولية " الخ .

ورأينا عام ١٩٩٤ كيف إستولت حكومة كابول "الجهادية " على حركة النهضة الطاجيكية . وكيف أن أحمد شاه مسعود رجل النظام الأقوى فى كابول أختطف حزب النهضة بواسطة فرد واحد هو رضوان /المجرم العادى/ الذى عينة مسعود "وزيراً للدفاع" فى تنظيم النهضة . وكيف أن رضوان بمسدسه "الذهبى" أرهب كل "النهضة" من زعيمها الأعلى " عبدا نورى " إلى قادتها الميدانيين ورؤساء اللجان .
وقتل العديد منهم ميدانيا بلا محاكمات ولمجرد إختلاف فى النقاش أو عند مجرد الإستفسار عن أمر عادى أثناء إجتماعات حزبية عالية المستوى حضرها "نورى" نفسه . بهذا الإرهاب "الرضوانى" بدأت النهضة حركة "تفاوضية" أعادت المهاجرين إلى قراهم المهدمة ، ودخلت هى إلى دواوين الحكومة وقطعت صلتها بالشعب .
وتلك هى الصورة الأكثر فجاجة لتأثير الأرض الصديقة على حركة مقاومة لجأت إليها .

وقد أخبرنى السيد عبد ا نورى فى حديث خاص، أن أحدى الدول الإقليمية الصديقة للنهضة جاءت، تماشيا مع الرغبة الأمريكية، تطلب من النهضة بإلحاح أن تقبل بالتفاوض مع حكومة "دوشنبه" فى طاجيكستان وتوقف العمليات العسكرية وتشارك فى السلطة وتعيد المهاجرين إلى ديارهم. وأنه لما لاحظ ذلك الإلحاح الضاغط ، قال لهؤلاء الأصدقاء :

" أنتم لم تساعدونا بشئ حتى الآن، فساعدونا أولا وإعطونا شيئا حتى يمكنكم الضغط علينا".

إذن الرجل أدرك بذكائه ، واحدة من قواعد "لعبة الأرض الصديقة" وهى قاعدة: "المعونات مقابل الضغوط". فلا يمكن لأى طرف أن يمارس ضغطا جافا "على الناشف" غير مشفوع بشحومات المعونة التى تلين المواقف. لهذا فشل دور الإخوان فى طاجيكستان رغم أن حزب النهضة هو ضمن المنظومة الدولية للإخوان. فلم يكن لدى الإخوان مايقدموه للنهضة كى يساوموه عليه، ولم يعطهم أحد هذا الشئ كما حدث معهم قبلا فى أفغانستان.

وهذا درس آخر وقاعدة جديدة لدور الأحزاب السياسية الإسلامية فى تعاملها مع الحروب الجهادية للمطاريد. إنة دور الضاغط بالنيابة، والمخترق بالنيابة، والمساعد الأصغر لدولة صغيرة فى إطار لعبة دولية كبيرة. والمقابل مكاسب "لمصلحة الدعوة" وتحسنا فى وضعها السياسى والمالى. وهى غالبا مكاسب مؤقتة تستفيد منها الحركة آنيا، ويجرى سحبها فى وقت لاحق. وذلك هو الأسلوب الأمريكى المعتاد الذى تمارسه مع كل حلفائها ماعدا الحليف الإسرائيلى.

***

حرب المطاريد حرب الشعب

الشعب هو الموضوع الأساس لحرب المطاريد. فلأجل الشعب تنشب الحرب، وهو الذى يدفع ثمنها كاملا ويتحمل كل تبعاتها. فالشعب يدفع خيرة أبنائه لخوض الحرب مضحيا بهم فى ساحات الموت ومهالك السجون.

وتجارب الشعوب تقول أنه من المستحيل هزيمة حرب مطاريد يحتضنها الشعب.

والعكس أيضا صحيح، أى إستحالة نجاح حرب مطاريد لايوافق عليها الشعب.

أى أن أسلوب التوريط غير جائز وغير ناجح. فليس هناك من جهة يمكنها فرض حرب شعبية لايوافق عليها الشعب وغير مستعد لها.

وقد رأينا كيف إنفض الشعب الأفغانى عن حركة طالبان عندما ورط بن لادن البلد فى حرب مع الولايات المتحدة، فإنهزمت الحركة رغم أن الشعب هو الذى حملها بسلاحه إلى سدة الحكم.

وعندما قررت منظمات جهادية عربية خوض حرب ضد أنظمة الحكم بدون إعتبار لإستعداد وإرادة الشعب، فهزمت شر هزيمة من أنظمة عاجزة عن كل شئ، إلا عن إذلال شعبها والتنكيل به.

وحسب أساتذة حرب العصابات فإن الشعب بالنسبة لمقاتلى العصابات له أهمية الماء بالنسبة للأسماك. فبدون الماء تموت الأسماك وبدون الشعب ينهزم مقاتلو العصابات.
لهذا كانت سياسة الأرض المحروقة، وترويع السكان وتهجيرهم خارج مناطقهم، أو تجميعهم وعزلهم فى مناطق محاصرة بعيدا عن نشاطات المقاتلين، كلها أساليب فعالة فى مقاومة حروب العصابات.
الشعب هو خزان القوة البشرية لحرب المطاريد، وهو الذى يزود المقاتلين بالمال والطعام والمعلومات عن تحركات العدو ونواياه. وفى المقابل يخفى عن العدو أى معلومات تضر بالمقاتلين من أبنائه. وهو الذى بتحمله وصبره يوقع اليأس فى نفوس الأعداء. وهو الذى يمد مقاتليه بكافة أشكال الدعم المادى والمعنوى من بداية الحرب حتى نهايتها.
بدورها فإن قيادة المطاريد تراعى مصالح الشعب فى كل قراراتها العسكرية والسياسية، بحيث تجنبه أى معاناه لاضرورة له، وتجلب له أكبر ما يمكن من فوائد. بل ويتحمل كوادر المطاريد كل مايمكن من آلام وتضحيات لتجنيب الشعب أى معاناه يمكن تفاديها، أو إجراءات إنتقامية قد يشنها العدو. وإذا ما حدث ذلك فإنهم يبادرون بشن عمليات إنتقامية لردع العدو، كى يشعر الشعب بالإطمئنان بوجود مدافعين عنه.
من أهم واجبات قيادة المطاريد أن تحقق أوسع إتفاق سياسى بين عناصر الجبهة الداخلية، بحيث لايبقى خارج تلك الجبهة سوى الفئات الإجتماعية المعزولة أو المتعاونين مع العدو الخارجى ويمثلون إمتدادا داخليا له.
ويتفق الشعب تلقائيا على ما يحقق النطاق الأوسع من مصالحه المشتركة. فإذا كان الشعب رازح تحت إحتلال أجنبى موضع الإجماع يكون التحرير. وإذا كانت الكارثة الوطنية متمثلة فى وجود نظام حكم مستبد وجائر ومرتهن بصالح الأعداء، يصبح برنامج الأجماع الوطنى هو إسقاط النظام وإستبداله بنظام نقيض، أى نظام حكم يحقق العدالة والمساواة بين المواطنين.
***

الجهاد وأزمة الفتوى

وإذا لم يكن البرنامج المطروح يحقق مطالب معاشية ملحة لأوسع فئات الشعب، فلن يتحقق الإجماع الكافى لخوض النضال المسلح أو النهوض بثورة شعبية وعصيان مدنى شامل بهدف إسقاط نظام حكم الطغاة، أو شل إدارة الإحتلال وطرد جيوشها.
ولا يكفى هنا مجرد إصدار فتوى فقهية صرفة. كالقول مثلا:"أن حاكم البلاد كافر" أو أن "النظام لايحكم بما أنزل ا "، أو أن الدولة المحتلة المسيطرة على مقدرات المسلمين وثرواتهم هى " دولة صليبية كافرة". فلابد من مراعاة الفوارق بين زماننا هذا وبين العصور الزاهرة للمسلمين. فلم يعد المفتى هو نفس المفتى ولم تعد الفتوى هى نفس الفتوى ولم تعد علاقة الناس بدينهم هى نفس العلاقة. وبالتالى فإن هذه الفتاوى "الأكاديمية" لم تعد تصلح لتحريك الشعوب حتى وإن كانت صحيحة.

لابد من الربط إذن بين الفتوى والمصالح المباشرة للناس. أي توضيح تأثير الحكم الفاسد المستبد على معايش الناس ومصالحهم الحياتية ومستقبل أبنائهم.
وكذلك موقف تلك الدولة المحتلة أو المهيمنة على حياة البلد ومعتقداته وثقافته وثرواته، وأضرار ذلك كله على حياتهم فى الحاضر والمستقبل.
فالإسلام ليس نصوصا فقهية مجردة ، بل هو دين سماوى، عظيم الإرتباط بحياة الناس على الأرض. وليس به من شعيرة عبادية أو نص إعتقادى واحد إلا وله تأثير عظيم على حياتهم ومعاشهم.
فالتوحيد: يعنى الإستقلال السياسى عن أنظمة حكم صممها الطغاة لإستعباد الضعفاء ولسرقة ثرواتهم وحقوقهم الطبيعية، التى جعلها الله للناس جميعا.
والصلاة: توجه إلى الله رب الناس جميعا، والمصدر الوحيد للرزق والحياة والسلام والقانون الأخلاقى.
والصيام: وحدة للشعور الإجتماعى والترابط الإنسانى بين الأفراد.
والزكاة: هى أمن إقتصادى للفرد والمجتمع، وتكافل إنسانى بين أفراد المجتمع.
والحج: إعلان واقعى لوحدة الأمة، على الصعيدين الإعتقادى والعملى، وإتحادها وتكافلها وتبادل العون والمنافع فيما بين عناصرها.
والجهاد: نظام دفاعى جماعى عن الأمة المسلمة/**كلها**/ شرائعها وأراضيها وثرواتها، ضد أى عدوان خارجى، أو إنحراف داخلى يخرج عن المسار الإسلامى الصحيح ويعتدى على حقوق الأمة ويعرض مصالحها للخطر بالعدوان على حقوقها، أو بالتواطؤ عليها مع أعدائها وأعداء دينها.
وهكذا فهناك تأثير إيجابى واقعى للشرائع والعبادات والأحكام الدينية. بحيث لايتأتى الإنتماء الحقيقى للإسلام أو الإدعاء بالإنتماء إليه إلا بظهور تلك التأثيرات فى حياة الناس ومسيرة والمجتمع.
فالطقوس والإعتقادات الدينية فى الإسلام ليست أعمالا منفصلة عن الحياة العملية، بل تؤثر فيها تأثيرا جوهريا.
وكذلك هى أيضا الفتاوى الدينية، فإنها تنبع من صميم الواقع الحياتى المتجدد للناس.
* ومن هنا تأتى عبثية الفتاوى المنقولة من كتب التراث القديم، بدون مراعاة الواقع المعاش. والناس فى أغلبهم يحركهم واقعهم المعاش أكثر من أى شئ آخر، حتى أنهم يتجاوزون عن الفتاوى الدينية إذا شعروا أنها مفصولة عن واقعهم، وجاءت من بطون كتب الفتاوى العتيقة، أو صدرت عن أناس غير موثوقين، او منفصلين عن الواقع كما يكابده الناس.
* وقد كان درسا بليغا لجماعات سلفية حاولت إسقاط أنظمة حكم فى بلادها بمجرد إصدار الفتاوى التكفير ضدها، فلم يتحرك الناس رغم أن بعض تلك الفتاوى كان مدعوما بتوقيع علماء من الأراضى المقدسة.

فإلى جانب أن تلك الفتاوى هى من المنقولات التاريخية المفصولة عن الواقع، فإن شخصية صاحب الفتوى هامة جدا عند الناس. فالثقة فى صاحب الفتوى هى الأساس لديهم فى إعتمادها. يمتلك الناس حاسة سادسة مرهفة للغاية تجعلهم يرفضون فتاوى شيوخ السلاطين وفقهاء قمع الدولة وعلماء البنتاجون.

ولدى الناس حساسية تجاه النجومية الدينية التى تسطع بقوة من شاشات الفضائيات، أو أجهزة الإفتاء التى تقيمها الدول الإمبريالية والشركات متعددة الجنسيات، وشيوخ البترودولار، والسادة أصحاب فضيلة الحداثة وتطوير الإسلام طبقا لمتطلبات ونوع العملة المدفوعة للفقيه.

وليس من إعتبار لفتاوى حساسة مثل الدعوة إلى حمل السلاح ضد عدو خارجى أو متسلط داخلى ، تصدر عن مجهولى الحال. فالتاريخ الشخصى للمفتى هام جدا بقدر أهمية متانة تحصيله العلمى. فليس كل صاحب مكتبة دينية يمكنه ممارسة الإفتاء لمجرد قدرته على تقليب كتب الفتاوى القديمة.

ولعل من أهم الأسباب التى تعوق إنبعاث تحرك جهادى صحيح يمس وجدان الأمة ويفجر الطاقات الهائلة الكامنة فيها، هو غياب العالم الحقيقى، العامل والمجاهد.

فضاعت بذلك المرجعية الدينية التى تجتمع عليها الأمة عن جدارة وثقة. فأصبح لكل فئة صغيرة مرجعيتها، والكثيرون أصبحوا فقهاء أنفسهم ، وكثيرون جدا إغتصبوا موقع الإفتاء بلا أدنى أحقية. فإنحدرت قيمة الفتوى وقدستها وتأثيرها في المجتمع المسلم. لذلك إستحال إجتماع الناس،أو حتى أغلبهم، على رأى واحد حول أى مسألة. وكثر الخلاف والصراع والفوضى التى زكاها العدو وحكومات السؤ التى فرضها على رقاب المسلمين. فتصدى للجهاد، والفتوى فى قضايا المجاهدين ، من تيسر تواجدهم فى ساحة الصراع، كل منهم حسب قدراته وإمكاناته. وليس اللوم على هؤلاء بل اللوم يقع على من فروا من ساحات الجهاد، ثم وجهوا سهام الإفتاء ضد من تصدوا قدر إمكاناتهم لأداء فريضة الدفاع عن دينهم وأمتهم.

المسئولية الأكبر تقع على هؤلاء الذين يسمون عرفا بالعلماء. الذين إتخذوا من العلم وسيلة لإكتساب الإمتيازات المعيشية والتقرب من حكام البغى وطغاة العالم.

فى غير زماننا الحالى لم يشاهد المسلمون جهادا بقودة غير العلماء. ولكن حقبة الإستعمار الطويلة التى مرت بها البلاد الإسلامية خلفت وراءها صفوة إجتماعية لا دينية، مرجعياتها وثقافتها غير إسلامية، سلمها المستعمر زمام قيادة المجتمع والدولة.

كما خلف المستعمر مدارس وجامعات إسلامية، ضعيفة المستوى العلمى، تخرج منها غير المؤهلين علميا و نفسيا للقيادة أو التصدى أو الإصلاح.

لقد سلبنا المستعمر مضمون العلم الدينى ومضمون العالم، ولم يترك لنا/ فى الأعم الأغلب/ سوى مجرد اشكال وهياكل، لاتقوم بالوظيفة المقدسة للعالم، بل تقوم بوظيفة الموظف فى جهاز الدولة. أى دولة وأى حاكم وأى جهاز حتى لو كان جهازا متخصصا فى تعذيب المسلمين. وحتى لو كان رئيس الدولة مندوبا للإحتلال الأجنبى

فلا يأمرنا ذلك العالم، خريج المعاهد الدينية المؤممة، سوى بالسمع والطاعة لكل طاغوت داخلى أوخارجى، ولايتكلم إلا بإذن الطاغوت اللعين.
إن العودة إلى إنتاج العلماء، إجتماعيا وعلميا، يجب أن تصبح مطلبا شعبيا ذو أولوية، فهؤلاء هم قادة المجتمع المسلم طول تاريخة. وبالتالى لابد من تحرير التعليم الدينى من سيطرة طواغيت الحكم فى البلاد الإسلامية. يجب أن يعود التعليم الدينى شعبيا بعيدا عن طغيان وهيمنة الحكومات التى أفست على الناس دنياهم بإفسادها دينهم.
قد يكون ذلك المطلب خياليا فى الظروف الحالية، ولكنة حيوى الآن ومستقبلا ودائما.
وبشكل عملى: فقد لايمكن تحقيق ذلك المطلب إلا بعد إستبعاد السيطرة الأمريكية الإسرائيلية عن بلاد المسلمين، وإقامة حكم إسلامى صحيح.
ولكن تحرك السلمين صوب ذلك الهدف دونه خرط القتاد.

كيف نحكم بالإسلام؟؟

لابد من مجهود كبير جدا لتحديد معانى الحكم فى الإسلام.
فما كان من أساليب الحكم بإسم الإسلام طوال قرون، لم تكن فى معظمها مقبولة. وماكان مقبولا من أساليب حكم فى الماضى لم تعد صالحة الآن ولا ممكنة.
- فما هى المبادئ الثابتة للحكم الإسلامى؟؟.
- وماهى الأساليب التى يمكن تطويرها كى تناسب إنسان هذا العصر؟؟.

فالإستبداد السياسى ومصادرة ثروات المسلمين "بيت المال"، والإستيلاء على الحكم بدون رضى الناس إعتمادا على قوة الظفر والناب أو عدد الدبابات وقطعان مسعورة من الشرطة والإستخبارات، أو جيوش أعداء الأمة، لايمكن أن يكون ذلك مقبولا فى أى وقت ولا بأى حال، حتى لو تم تحت شعارات دينية وبفتاوى مشايخ الطغيان.
- ماهى مواصفات السياسة الإسلامية فى الواقع المعاصر؟؟ .
- ماهى فلسفة الإقتصاد، وموقف الدولة فى العلاقة بين الطبقات التى أصبحت عظيمة التفاوت بحق أو بدون وجه حق؟؟.
- من سيطبق الإسلام؟ وتحت أى مرجعية ؟.

كل ذلك مطلوب وبوضوح كامل. وبشكل عملى تطبيقى على ظروفنا الراهنة.
فلا يعقل إلتزام الصمت بذريعة أن التفاصيل والحديث عنها سيجلب الخلاف إلى داخل الصف الإسلامى نفسة!! وكأن ذلك الصف قد إتحد يوما واحدا منذ قرون.
ولا يكفى الآن مجرد شعارات عامة، ناهيك عن التهويمات غير المفهومة التى تحتمل عشرات التفسيرات. أو القول للناس: نرجوكم فقط أوصلونا إلى الحكم وعندها ستجدون ما يسركم!!.
فماذا لو أنهم وجدوا ما يضرهم، لا ما يسرهم؟؟. ومن يضمن أنهم لن يجدوا أن العباءه التى ظنوها إسلامية، إنما تخفى وراءها نسخة جديدة ومنقحة من لورنس العرب أو بيرسى كوكس؟؟.

إن الحكم الإسلامى عند بعض المدارس الإسلامية الشائعة حاليا هو العودة إلى شكل الحياة الإسلامية القديمة وإلى بعض المظاهر الإجتماعية والسلوكية .

ولكن جوهر الإسلام هو المطلوب، مع إحياء مبادئه وقيمه وقوانينه بروحها الأصلية. أما إعادة إستنساخ مجرد أشكال لعصر قد مضى، فهذا غير ممكن لأن مسيرة الإنسان مستمرة وأنماط الحياة تتغير.

* أن ننشد إتحاد المسلمين فهذا أمر ضرورى وجوهرى . ولكنه غير ممكن إلا على برنامج الحد الأدنى الذى هو موضع إجماع فيما يخص العناوين الرئيسية الثلاثة :

ا (الخالق) ـ الرسول(المبعوث) ـ القرآن(الرسالة).

فهناك أرضية تشمل هذه العناوين هى موضع إجماع لا شك فيه، وكاف جدا ويسع الجميع على أرضية إسلامية راسخة ورحبة.

وهناك خلافات أخرى كثيرة لا شك فيها. ولكنها خارج إطار المسائل الجوهرية، وهى تبقى فى نطاق النقاش الفقهى بين العلماء الثقاة العاملين. وخارج ساحة الإثارة الجماهيرية ودواعى إحياء الفتن والنعرات الضارة المفرقة للصف الإسلامى .

ولكن القاعدين من خوالف المتخلفين يريدون إبقاء الأمة معهم جالسة فى القاع. فيبقونها فى دائرة خلافات فرعية عقيمة غير قابلة للحل .

فهذا يناسب مستواهم الهابط ويضمن لأمثالهم زعامة فى دنيا الفتن العمياء . التى لم تعد تخدم إلا أعداء الإسلام الذين يعلنون عن أنفسهم صراحة بالكلام الواضح ، وبالقوى العسكرية الساحقة التى تعصف بالمسلمين شعبا وراء آخر .

{{ وعلى سبيل المثال رأينا أواسط الثمانينات فى أفغانستان والحرب على أشدها وآله الدمار السوفيتية تعمل بأقصى طاقتها. إذا بموفد إسلامى من السعودية ـ وهو مصرى من جماعة جهادية مشهورة ـ جاء كى يجتمع فى جلسة موسعة من شباب عرب مجاهدين ومعهم عالم أفغانى بارز ثم يطرح قضية "إنحراف عقائد الأفغان " ثم يتحدى العالم الأفغانى قائلا :

أجب على سؤالى: " أين ا " ؟ .

كان العالم الأفغانى ـ حسب مذهبه الحنفى ـ يرى أن ا فى كل مكان وكان الشاب العربى ـ حسب مذهبه السلفى ـ يرى أن ا فى السماء .

وهكذا حكم بفساد عقائد الأفغان وحرمة الجهاد إلى جانبهم. رغم أن أفغانستان وقتها كانت تحت التدمير السوفيتى وحكم شيوعى لا يعترف بوجود ا أصلا }}.

فهل يعقل أن يكون تباين الرأى فى مسألة خلافية تعايش المسلمون معها قرونا طويلة، سببا فى إهدار جوهر الإسلام، وتمكين الملحدين والكافرين من السيطرة على حياة وأوطان المسلمين ؟؟.

من الصعب أن نقتنع أن ذلك يتم فقط بدوافع الجهل أو حسن النية .

إن البحث عن الخفايا والغرائب من الخلافيات التى لا تقدم ولا تؤخر ، مسألة ليست عفوية ـ بل إنها برنامج يدار بمهارة، وميدان له فرسانه من جهابذة الخلافات الفقهية والعقائدية، الذين نجد صعوبة كبيرة فى الإقتناع بنزاهتهم أو حسن نواياهم .

***

الخلاف الفقهى والوحدة الإسلامية:
لا نقول أن الخلافات إنتهت أو يمكن حسمها فى جلسة تصالحية، ولكنها بالتأكيد لا تمنع وحدة المسلمين بالذات أمام المخاطر الإستئصالية الرهيبة التى تعصف حاليا بمستقبلهم وبمصير الإسلام نفسه .
إن الخلافات يمكن إحالتها ببساطة إلى البحوث الفقهية المعمقة بين العلماء الحقيقيين وليس خبراء الفتنة والهياج الجماهيرى. وليس من المفروض ولا من العاجل حل تلك الخلافات المزمنة حتى يعمل المسلمون ضد عدوهم الصائل.
لقد كان ظهور تلك الخلافات مرهوناً بظروف سياسية وإجتماعية معينة. فإذا توفر الحكم الإسلامى، العادل والصحيح، فإن معظم تلك المسائل سوف يختفى ويذوب تلقائيا. ليس بقرار أو سيف أوسوط، بل بمناخ صحى سياسى وعلمى وإقتصادى تسودة العدالة. وبدون ذلك سيكون الحوار دائر فى حلقة مفرغة بالنسبة لأكثر المسائل الخلافية بين المسلمين. فما معنى بحث الخلافات الإسلامية، مهما كان نوعها، فى ظل سلطة مستبدة وفاسدة تعادى الإسلام وتحاربة بل وتسعى إلى إقتلاعه من الجذور؟؟.
إن أنظمة الحكم الفاسدة ، التى تحترم الإسلام شكليا وتخالف شرائعه بسطوة السيف والتعذيب والذهب، هى نفسها التى عملت على تفريق كلمة الأمة وتزكية الخلاف ، حتى يبقى الفاسدون فى موضع السيادة .
وهذه قاعدة صحيحة إلى الآن. ليس فقط بالنسبة للحكام الذين يعملون على تفريق كلمة شعوبهم دينيا وسياسيا وعرقيا ومذهبيا، ولكنها قاعدة صحيحة بالنسبة للعديد من التيارات الدينية وعلماء السلاطين والعولمة ، الذين يرون الخطر فى توحيد كلمة المسلمين والعودة إلى جوهر الإسلام وليس شكلياته ـ وإلى النقاط الجوهرية الجامعة الواضحة والتى لا يختلف عليها أحد . فيعملون على جر الأمة إلى تفاصيل التفاصيل الخلافية فى كل ما هو غير جوهرى .

الجهاد للجميع:
إن الإسلام هو رسالة الخالق لخلقه أجمعين. والمجتمع المسلم يوفر الحماية لكل من فيه. سواء إعتنقوا هذا الدين أم ظلوا خارجه. فالعدالة وصيانة الحقوق مكفولة للجميع. والدفاع عن كرامة وحقوق الضعفاء المضطهدين، من أى جنس ولون ودين، ضد طواغيت الأرض هو تكليف يقع على عاتق المسلمين جميعا .
والجهاد فى الإسلام هو عبادة مفروضة على الأمة الإسلامية جميعها، مهما تعددت العرقيات والأوطان أو المذاهب الفقهية والإجتهادات .
الجهاد إذن فرض عبادى على أمة . وإن قامت به مجموعة محددة فى مكان محدد تبقى المسؤلية ملقاة على الأمة كلها حتى يكون الأداء كافيا لدفع البلاء، وإلا فالمسئولية لا تسقط عن أحد .
والآن نرى توطينا لمفهوم الجهاد بأن يبقى مقتصراً على وطن له حدود سياسية فرضها الطغيان الإستعمارى فى مراحل معينة .

ولا يمكن أن يكون ذلك التعريف صحيحا ولا ملزما لأحد . تماما كما هى الحدود السياسية والأنظمة المستبدة الحارسة لها. جميعها تفتقد إلى الشرعية الحقيقية أى الشرعية الإسلامية وإن تمتعت بشرعية الطاغوت الدولى ممثلا فى مؤسسات أو دول أصبحت "عظمى" بالقهر والعدوان .

إن توحيد الأمة ـ وعلى الأقل قواها الفاعلة ـ وتصالح القوى النشطة الفاعلة مع المجموع العام للمسلمين المستضعفين، هو أمر جوهرى للغاية. فإذا أخفق المسلمون فى توحيد صفوفهم فلن يستطيعوا تحرير أنفسهم أو إستعادة حريتهم فى ممارسة صحيحة لشرائع دينهم. فإن عجزوا عن تحرير أنفسهم فهم عن تحرير الآخرين أشد عجزا.

لابد أن نواجه أنفسنا بحقيقة أننا نعيش بإسلام منتقص، غيبت شرائعة عن ميدان الحياة بطغيان السلطات الشيطانية لأبالسة الداخل والخارج .

وبدون السعى لإستكمال شرائع ديننا وأحكامة وإلقاء نير العبودية عن كواهلنا ، كيف يتأتى لنا الإدعاء بأننا مسلمون؟؟.

وإن لم يكن الموت أو القتل فى سبيل تلك الغاية هو الشهادة، فماذا تكون الشهادة إذن؟؟.

إن عملية تقسيم الأمة وتجزئتها، وتحويلها إلى معسكرات متصارعة، هو عمل يضر بمصالح المسلمين ويهدد وجود الإسلام نفسه. ولا يخدم سوى الطغاة المستكبرين الذين أفسدوا فى الأرض وأهلكوا الحرث والنسل.

والذى يقوم بذلك العمل، إما أن يكون شديد الجهل بحيث لايستطيع التمييز بين النافع والضار، أو أنه يقف فى صفوف الطغاة والمستكبرين، ويعمل على تمهيد الأرض لهم بتفتيت قوى المقاومة الإسلامية. فلا مقاومة بلا وحدة، ولا وحدة بدون إتفاق على برنامج الحد الأدنى من المصالح المشتركة التى لاغنى للجميع عنها.

ولا هدف أوشعار يمكن أن يجتمع الناس أجمعين حوله، فى داخل البلاد وخارجها مثل مطلب العدالة، بعد طوفان الظلم والطغيان الذى إجتاح العالم كله تحت رعاية النظام الأمريكى العدوانى، الذى نشر الظلم والخوف والحروب فى العالم أجمع، وطبقته بكل وحشية أنظمة الحكم الخاضعة له.

فالإسلام لايرى فى مخالفيه أعداء ، بل يراهم ميدانا للدعوة، ولهم الحرية فى قبول أو رفض مايعرض عليهم، بدون أن ينتقص ذلك من حقوقهم أو كرامتهم.

ولكن الإسلام يرى أن أعداءه هم الذين يظلمون الناس، يستعبدونهم ويسرقون ثرواتهم وأقوات عيالهم. يراهم فى سارقى الأرض والأوطان ومبيدى الشعوب والحضارات، والكاذبين المخادعين القساة، المعتدين على فطرة الإنسان وحقوقه، وحقوق ا على عباده.

من أجل دفع عدوان هؤلاء، جاء التشريع لفريضة الجهاد على المسلمين، لتقويض سلطان الطغاة على الأرض، وتحرير البشر من أرجاسهم. وبعد ذلك فللناس كامل الحرية، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فلا إكراه فى الدين، ولا تسلط لغير الخالق على ضمائر الناس وقلوبهم.

فليس فى الإسلام حرب لإدخال الناس إلى الإسلام، ولكن هناك حرب لإزاحة الطغاة من فوق صدور البشر، وترك الناس بعدها يختارون طريقهم بحرية ومسئولية، وبدون إكراه من أحد.

* * *

الحلال والحرام فى الإسلام

إن هناك حلالا وحراما فى الإسلام. ولكن ذلك جزء من إطار واسع جدا، هدفه تحقيق العدالة على الأرض والحرية المسئولة لكل البشر، الذين سيسألهم خالقهم عن كل صغيرة وكبيرة يوم الحساب.

ولكن ما نشاهده كثيرا من محاولات لحصر الإسلام كله بين دفتى "الحلال و الحرام"، هو تضييق بالغ لمفاهيم الإسلام، لايخلو من سؤ نية. لأنه فى غالب الأحوال يستخدم كنوع من الإرهاب الفكرى والتضييق على الناس فى موضوعات خلافية تتعدد فيها الإجتهادات. وكذلك هو صرف للأنظار عن الإطار الأشمل للإسلام، الذى يقود الحياة البشرية فى أشمل نواحيها كما فى أكثرها خصوصية.

والجهاد فريضة يتعبد بها المسلم إلى ربه، مهما كانت درجة إلتزام هذا المسلم بباقى الفرائض. فالجهاد ليس عبادة للملائكة ولا هى خاصة للصفوة من النساك الزاهدين. فلا ينبغى صد الناس عن الجهاد بدعوى أنهم مقصرون فى نواحى عبادية أخرى. صحيح أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام كما جاء فى الحديث الشريف، إلا أن القيام به لايستلزم أن يصل المسلم إلى الذروة فى باقى التكاليف كما يحاول البعض الإيهام بذلك. ولكن الجهاد فى حد ذاته يعنى إقتراب الإنسان كثيرا من لقاء ربه وتوقعه الموت فى أية لحظة، فيجعله ذلك فى حالة روحانية صافية يقبل بها على العبادات الأخرى بكل المشاعر الراقية التى لاتتاح له فى أى موضع آخر، سوى مواضع الجهاد فى سبيل ا . وكثيرا ما حصل فى القديم والحديث أن وصل العديد من المقصرين فى فرائض دينهم إلى الصدارة فى ميادين القتال، فإعتدل أداؤهم بل وتفوق فى باقى العبادات.

لهذا، فإن التقصير الواضح على السطح فى مجتمعات المسلمين لايبرر عدم دعوتهم إلى الجهاد، بعد توضيح الدوافع التى تستوجبه، بالدليل العقلى أولا ثم بالدليل الشرعى

* * * * * * * * *

ديانات ومذاهب.. وسياسات المطاريد

لأجل الحصول على جبهة موحدة لشن حرب مطاريد، أو ثورة شعبية، يجب الحصول على سلام وتوافق بين أتباع الديانات فى الوطن الواحد. هذه نقطة واضحة للجميع، ولكن التأكيد عليها ضرورى لأن قوى تصنيع الفتن، تنجح غالبا فى إفتعال صدامات بين المسلمين والمسيحيين فى بلد معين حتى ينشغل الطرفان ببعضهما البعض، ويبقى المجرم الأصلى يمثل دور الحكم وحامى المتصارعين من شر بعضهم البعض، وهكذا يستمر الطغاة فوق كراسيهم.

والقوى الطغيانية فى مواجهتها للإسلام وحركته، تسارع إلى تجييش أتباع الديانات الأخرى، وإثارة رعبهم بكل الطرق، من الإشاعات إلى إفتعال أحداث الفتنة، إلى نبش الذكريات الأليمة بين الطرفين، إلى الأبحاث "الأكاديمية" لمراكز "أبحاث متخصصة" حول الخلافات "الجوهرية" وحتمية الصراع والصدام.

والقيادات عديمة الأهلية والمتواطئة ـ فى أى طرف كانت ـ هى التى تنشط فى مناخ الفتنة وتحمل مشاعل النيران. لذا فإن وأد الفتن وتوحيد المجتمع يحتاج إلى زعامات قوية. وهذا ماتقاومه أنظمة الفساد والإفساد، فلا تسمح بتواجد تلك الزعامات إلا داخل أسوار السجون، أو خلف سياج الرقابة البولسية اللصيقة. فالزعامات الضعيفة هي دوما مطايا الفتن.

ومن باب أولى تجدر الإشارة إلى خطورة إفتعال الفتن والخلافات داخل الصف الإسلامى نفسة، على أى أساس كان.

سياسة المطاريد هى البحث عن مساحات اللقاء والإتفاق وتضييق مساحات الخلاف، مع أوسع نطاق ممكن من الناس.

السياسة مهمتها توسيع معسكر الأصدقاء والحلفاء، وتقليص معسكر الأعداء.

السياسة هى بعث الأمل فى صفوف الأمة، ورفع معنوياتها ونشر روح الأمل والمودة والتكافل بين أفراد المجتمع.

السياسة هى الصدق فى القول والعمل، الصدق فى المودة مع الأصدقاء والحلفاء، والصدق فى الجفاء والغلظة والعداوة مع الأعداء المحاربين.

السياسة هى جعل المجتمع والأمة تتحرك بثقة فوق طريق واحد يحقق مصالحها المشتركة، من أجل تحقيق العدالة ودفع العدوان.

السياسة ليست مساحة واقعة خارج نطاق الشريعة والأخلاق. بل هى عمل كباقى الأعمال يحاسب عليها المرء أمام خالقه. والغاية فيها لاتبرر الوسيلة. تماما كما أن تحقيق الربح في التجارة لايبرر التعامل بالربا.

يعتبر البعض أن ذلك من السذاجة وإنعدام الخبرة، وطريق مضمون للخسارة. قد يكون ذلك صحيحا على المدى القصير. ولكن على المدى الطويل فإن السياسة الأخلاقية المنضبطة بمعايير الشرع الناصعة، هى التى تكسب العقول والقلوب ويجرى الناس فى ركابها.

إن الأخلاقية الدينية، هى التى تكسب فى النهاية، سواء فى السياسة أو فى الحرب أو فى الإقتصاد.

السياسة هى الوسيلة الأمثل لتنفيذ غايات المستضعفين المطاريد.

فلا أحد يرضى عن السلام والأمن بين الناس بديلا. ولكن الطغاة المستكبرين لايردون الحقوق المغصوبة إلى أصحابها طوعا. ولا يتوقفون عن الظلم والعدوان والإستكبار فى الأرض بغير الحق، بغير الضرب على أيديهم وثورة المظلومين فى وجوههم. فالقوة عند المستكبرين هى الحق. ويقولون بكل وقاحة أن لهم من الحقوق بقدر ما يمتلكون من القوة. حتى أنهم يسمون ثرواتنا المنهوبة "مصالح"، وأرضنا المغتصبة " حقا تاريخيا" لهم. ووصل بهم الإجرام إلى حد العبث بالقرآن بالحذف والإضافة والتعديل.

فماذا تبقى لنا؟؟.

بقى لنا مجابهتهم بالقوة، بكل القوة المتاحة. المتاحة لدى المسلمين، ولدى حلفاء المسلمين من المستضعفين من كل الملل والأديان والشعوب والأجناس والدول والقارات، من كل المستضعفين المطاردين المشردين المقهورين المستباحين، المسجونين المقتولين الجائعين، الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

لقد أصبح الموت أهون من تلك الحياة التى "يتمتع" بها أكثر من ثمانين فى المئة من المليارات الستة، سكان الأرض. أثرى أثرياء العالم إستولوا على ثمانين بالمئة من ثروات الأرض. وحتى يلحق الفقراء بنفس المستوى فإنه يلزمنا موارد خمسة كواكب مثل كوكب الأرض. فعلى هؤلاء الفقراء المقهورين مغادرة هذا الكوكب التعيس والبحث عن كوكب آخر فى مجرة أخرى أبعد وأكثر إنسانية. أما إذا أرادوا التشبث بالحياة على هذه الأرض، فعليهم ببساطة .. أن يقاتلوا لأجل الحصول على حقوقهم.

* فإن قبل المطاريد بخيار الموت .. وهو الوحيد المتروك لهم وقد قبلوه بالفعل. وإذا إقتنع الباقون من حطام البشرية، مسلمين وغير مسلمين، بأن الموت هو الخيار الأوحد والأفضل فى مقابل حياة الذل. فإن الموت سيكون من نصيب أعدائهم .. وستكون الحياة الكريمة لهم. لأن الحياة مع الذل والهوان موت بطئ والموت لأجل الحق ولأجل الدين حياة وأى حياة . ومن لا يحرص على الموت فلا حياة له إلا حياة الكلاب . هذا هو قانون عالمنا اليوم.. وإلى أن تشرق شمس الإسلام من جديد .

0000000000000000

فصل:

الإعلام فى حرب المطاريد

كان للإعلام دورة الهام فى الحروب على مر العصور. فالإعلام يؤثر على تفكير الناس ونفسياتهم . وبالتالى قدرتهم على إتخاذ القرار .

والحرب بين "المطاريد" وأعدائهم هى حرب على إكتساب عقول الناس وقلوبهم وهذه هى وظيفة الإعلام، ولكن ضمن منظومة تتضمن العمل السياسى والعسكرى والإقتصادى .

وفى صدر الإسلام كان الشاعر الصحابى حسان بن ثابت جهازا إعلاميا قائما بذاته، وكانت أبيات شعره أشد إيلاما للمشركين من الرمى بالسهام .

وقالت العرب قديما إن أول الحرب كلمة، تقديرا منهم للدور الكبير للكلمة فى الحروب وكان نابليون يرى أن إمتلاكه لصحيفة يعادل إمتلاكه لفرقة عسكرية .

وعن الصحف تكلم قادة الصهيونية كثيرا فى بروتوكولاتهم. ومما قالوه:

{{ **وبواسطة الصحف نلنا القوة التى تحرك وتؤثر، وبقينا وراء الستار. فمرحى بالصحف، وكفنا مليئة بالذهب**}}. بروتوكول ٤.

وفى العصور الحديثة بدأ التطور الهائل فى وسائل الإعلام وقدرتها على الوصول إلى كل نقطة على سطح الأرض ونقل الحدث فى لحظة وقوعه، لذا فإن تأثير الإعلام على الناس تضاعف نوعاً وكماً .

وبما أن الإعلام أصبح بشكل حقيقى وليس مجازى أحد أدوات الحرب، فإن الطرف الأقوى إعلاميا يمكنه أن يسيطر على الساحة ويطرد منها خصمه فى معركة هى جزء متمم للحرب الساخنة .

ومع ظهور القنوات الفضائية زاد حجم وخطورة التأثير الإعلامى ، وزادت قدرة القوة العدوانية الأوحد فى مجال الإعلام. وظهر كأن قدرتها الإعلامية، كما قدرتها العسكرية، هى قوة لا تقهر . بل حتى منافستها فى ذلك المجال بدت مستحيلة .

وأثناء حربها لتدمير العراق (التى أسمتها حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١) ، عسكرت أمريكا آلتها الإعلامية وجعلتها تحت إشراف الجيش. ولم تسمح بتغطية إعلامية مستقلة لأحداث الحرب ، وأخضعت تقارير المراسلين للرقابة العسكرية. بل عمدت إلى حرمان خصمها فى الحرب من إمكاناته الإعلامية ، فكانت تدمر من الجو محطات الإذاعة والتلفزيون .

وفى حربها التالية فى أفغانستان ، وكانت هذه المرة من أجل إحتلال وإعادة تدمير أفغانستان والإستيلاء على أكبر مزارع الأفيون فى العالم، كان من خطواتها الأولى فى الحرب، تدمير الإرسال الإذاعى للمحطة الوحيدة العاملة لدى طالبان وهى محطة كابول الإذاعية ـ ولم يكن هناك تلفزيون إذ أن طالبان قد أوقفوه منذ دخولهم كابول . أما راديو قندهار فعند بداية الحرب أوقفته حكومة طالبان وأخفت الأجهزة حتى لا تدمرها الطائرات الأمريكية .

كان فى أفغانستان وقت الحرب مكتبا لقناة الجزيرة الإعلامية ، فقصفته الطائرات الأمريكية . بما يعنى أنها لا تسمح بوجود إعلام مستقل عن رقابتها العسكرية.
إذن هو تطبيق للمبدأ الذى أعلنه الرئيس الأمريكى بوش عند بداية تلك الحرب "من ليس معنا فهو ضدنا ". لقد نقل مبدأه إذن من المجال العسكرى، إلى السياسى إلى الأمنى ثم الإعلامى.
فهو لا يسمح بأن يتواجد على ساحات حروبه من الآن وصاعدا غير إعلامة الخاضع للرقابة العسكرية. فكان بذلك لا يطارد أعداءه فقط بل يطارد الإعلام المستقل أيضا، بل و ويطارد مبادئ الديموقراطية التى أعلن أنه يرسل جنوده لنشرها فى الدول الإسلامية.
وعلى هذا الأساس تم سجن مراسل الجزيرة، الذى غطى جزءا من الحرب الأفغانية، فى أحد سجون أسبانيا. كما إعتقل مصور الجزيرة وأودع معتقل جوانتانامو بتهمة الإرهاب.
وإنكشف زيف الديموقراطية حتى فى داخل المجتمع الأمريكى نفسه الذى إنزلق بقوة نحو التحول إلى الدولة البوليسية العاتية التى تراقب وتحصى كل شئ حتى أنفاس مواطنيها، بدعوى حمايتهم من الإرهاب.
لقد تقلصت الحريات الشخصية والعامة فى كل العالم تحت ستار الحرب العالمية على الإرهاب " الإسلامى". ولم يستفد أى شعب دارت هذه الحروب على أرضه سوى الدمار والفقر والرعب ولم يتحسن مستوى الحريات فيه بل تصدع تماما .
والشعب الأمريكى كان أكبر الخاسرين لإنه كان يتمتع بأوسع قدر من هامش الحريات فى العالم . وقد خسر جزءا هاما ــ ومتزايدا ــ من تلك الحريات .
فى حقيقتها كانت الحرب ضد الإرهاب حربا ضد حرية الإنسان فى كل مكان لصالح القلة المسيطرة على ثروات العالم .
******

تعليق:

ليس غريبا على الصليبيين الصهاينة، الذين يحكمون الولايات المتحدة، أن يتخذوا من "*بروتوكولات حكماء صهيون*" دستورا لهم، وهى الدستور العملى للصهيونية والمستقاة من التلمود، الكتاب الأكثر أهمية لديهم. ولنتأمل فى تلك الفقرات المأخوذة من البروتوكولات كى نرى أن تطبيق الإدارة الأمريكية لها كان شبه حرفى، فى الموضوع الذى نحن بصدده الآن:

{{ وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح ليقاوموا الإنضواء إلى مملكتنا.
وكل نوع من المنظمات الجديدة يؤلف بعد ذلك ويكون من الجمعيات السرية، يعاقب القائمون عليه بالموت. وأما الجمعيات القائمة اليوم، وهى معروفة لدينا، وتعمل لمصلحتنا كشأنها بالأمس، سنجردها من سلاحها، ونطرح رجالها فى المنافى، فى القارات البعيدة من أوروبا.... وسنسن قانونا يجعل جميع الأعضاء فى الجمعيات السرية السابقة معرضين للنفى فى أوروبا ، وأوروبا يومئذ مقر حكمنا. وستكون مقررات حكومتنا باتة، لا إستئناف لها}}. البروتوكول ١٢
{{ الموت حق على كل حى . فيكون خيرا وأفضل أن نقرب الآجال على الذين يعترضمن سبيلنا}}. البروتوكول ١٢

وكأن الذى يتكلم هنا هو الرئيس الأمريكى أو أحد أفراد حاشيته المتغطرسين المتكبرين.
وكأن البروتوكولات التى كتبت عام ١٨٩٧ تتحدث عن الحرب الأمريكية الحالية، المسماة الحرب على الإرهاب. فتتحدث عن السجون السرية التى زرعتها أمريكا فى أرجاء أوروبا، لإحتجاز المجاهدين المسلمين ، وكل من تشتبه فى"نواياهم" تجاهها.
******
وإنتقلت آلة الحرب الأمريكية إلى العراق مرة آخرى عام٢٠٠٣، وإحتلته وأعادت تدميرة . وفى ركاب جيشها، سار إعلامها والإعلام الصديق والجميع تحت الرقابة العسكرية المعتادة. ولكن جيشها وجد فى بغداد جيشا من الإعلاميين المستقلين ، يغطون ما أمكن من أحداث الحرب خارج الرقابة الأمريكية .
وبكل برود أعصاب قصفتهم بالدبابات ـ فوقع قتلى وجرحى. ثم تكفلت فرق سرية للإغتيالات بإستهداف الصحفيين. وتابعت الحكومات العراقية الإحتلالية فرض إجراءات التضييق الإنتقائى على أصحاب النهج الإستقلالى فى العمل الصحفى والإعلامى .
٥ أمريكا تستخدم سلاح الأعلام ضد عدوها قبل وقت كاف من بدء الحرب المسلحة. فتشن عليه حربا إعلامية ونفسية، لها عدة أهداف أهمهاعزله دوليا، بتشويه صورته الخارجية وتحويله إلى شيطان يكرهه الجميع ويتمنون زواله. وهكذا يتعاطف الناس مع الحرب الأمريكية القادمة، ويرونها عادلة ومبررة، بل ومطلوبة وتلبى إحتياجا "عالميا" وليس أمريكيا فقط. وأن أمريكا تخوض تلك الحرب نيابة عن العالم وتحقيقا لأمانيه ومصالحة، وأنها تريح العالم من إحدى بؤر الشر على إعتبار أن أمريكا هى الخير المطلق وأعداؤها هم "محور الشر".
٠ الإعلام الأمريكى الموجه إلى داخل مجتمع الخصم له آهداف أكثر خطورة، من أهمها عزل النظام عن شعبه، وتضخيم أخطائه العادية وتحويلها إلى جرائم مريعة تهدد الشعب المسكين والجنس الإنسانى كله. ثم تخترع له المزيد من الأخطاء والجرائم بحق شعبه والإنسانية، ثم التهويل بها وتكرارها فى شتى المحافل وعلى أفواه كثيرة معتبرة لها بريق ونجومية مصنوعة أمريكيا. فى النهاية وتحت ضغط السيل الإعلامى الجارف، يضطر الشعب إلى تكذيب نفسة وتصديق ما يقوله الأعداء.
٠ وكما حدث فى العراق فإن أكثر أخطاء النظام إرتكبها بطلب وتشجيع ومساعدة الولايات المتحدة وبتمويل من أذيالها فى المنطقة. وبدعوى معاقبة النظام دمرت أمريكا الدولة العراقية، وقوضت بنيانها السياسى والإجتماعى، وقتلت وشردت أكثر من ربع الشعب. وهكذا تستطيع إسرائيل أن تحكم العراق، وعلى نفس المنوال تريد أن تحكم باقى المنطقة العربية.
أيضا يخترع الإعلام الأمريكى أبطالا محليين، من أعوانه طبعا، يقارعون النظام "الشيطانى"، ويتبناهم ذلك الإعلام سياسيا وأخلاقيا، على أنهم رسل الديموقراطية، و"ملائكة الخير" القادمون لإنقاذ البلاد، وأن واجب قوى الديموقراطية وحقوق الإنسان والعولمة"!!!" ـ يعنى أمريكا ودول حلف الأطلنطى ـ أن يهبوا لمساعدة هؤلاء

الأتقياء الأنقياء، وإيصالهم إلى سدة الحكم، إما على متن طائرات الأباتشى كما حدث مع "كرزاى" أفغانستان، أو على ظهر دبابات المارينز كما حدث مع "كرزايات" العراق.

أما التغيير السياسى فى بلاد الكتلة الشيوعية السابقة فيتم على ريش النعام والثورات المخملية، التى تمولها الإستخبارات الأمريكية وفاعلى الخير من أوربيين و"شرق أوسطيين". آخذين فى الإعتبار أن القوة العسكرية الساحقة، الأمريكية والأوربية مخصصة فقط لبلاد المسلمين لتجفيف منابع الإرهاب وفرض النمط الديموقراطى اللائق بالمسلمين والذى ترتضيه لهم إسرائيل، سيد المنطقة، وأمريكا الحارس الأمين لثرواتها.

***

التفوق الإعلامى للمطاريد

للمطاريد المستضعفين فى حربهم الإعلامية خمس مزايا، إن تحققت جميعها كسبوا حربهم الإعلامية، وإن فقدوا منها واحدة تعرضوا لخسارة تلك الحرب.

هذه المزايا هى أنهم:

١ ـ **ضعفاء**، "ماديا".

٢ ـ **مظلومون**، " معتدى عليهم".

٣ ـ **صادقون**، " فى كلامهم".

٤ ـ **شجعان**، " فى قتالهم".

5 ـ **منتصرون**، " فى حربهم".

فالناس بفطرتهم يتعاطفون مع الضعيف المعتدى عليه، ويكرهون القوى المعتدى.

لذا نجد آلة الدعاية الأمريكية فى حروبها التكنولوجية الأخيرة قد بالغت إلى حد الجنون فى قوة أعدائها وعدوانيتهم الخطرة. كذلك فعلوا مع بن لادن ثم صدام.

فقبل حرب تدمير العراق "١٩٩١" نراهم يبالغون بشكل هستيرى فى القوة الصاروخية التى يمتلكها صدام، مدعين أنها تهدد أوروبا، وأنه يهدد جيرانه ويعتدى على شعبه بأسلحة الدمار الشامل (التى زودوه بها فى حربه ضد إيران!!).

جزء لابأس به من هذه الإتهامات صحيح، وهذا أكسب الجزء المختلق مصداقية، وذلك أحد الفنون الراقية فى فن الكذب ويسمى التلبيس،أى مزج الحق بالباطل.

وقبل حربهم على أسامة بن لادن "٢٠٠١" نراهم يصفونه بالملياردير. فى حين أن معظم أمواله كانت قد صادرتها الحكومة السعودية، وما تمكن من الهروب به إلى السودان صادرته ـ فى معظمه ـ الحكومة السودانية. وكان الرجل فى أفغانستان يقترض حتى يأكل هو ومن معه إلى أدركته بعض التبرعات الخليجية .

ثم تتحدث عن تنظيمه الإرهابى الدولى الذى يغطى الكره الأرضية، بينما كان تعداد تنظيم القاعدة وقت نشوب العدوان الأمريكى على أفغانستان أقل من مئة فرد . ولكن أمريكا إعتبرت كل من فى أفغانستان من العرب، وكل من تعرف على بن لادن أو

قابله فى وقت ما، وكل من قاتل فى أفغانستان فى العهد السوفيتى: "عضوا قياديا فى تنظيم القاعدة" .
ثم مرة آخرى قبل إحتلال العراق نراها تصور نظام صدام بأنه يمتلك ويخفى ترسانة أسلحة دمار شامل تهدد العالم والأمن القومى الأمريكى .
· إذن هاتين النقطتين " الضعف والمظلومية"، تحاول أمريكا سلبها من الخصم وتصويره بشكل مبالغ فيه بأنه قوى جدا وعدوانى للغاية حتى تسلبه تعاطف العالم من جهة ، وحتى تبرر قسوتها البالغة وإستخدمها المفرط لقوة نيران أسلحتها المتطورة.
· أما كل ما يقوله المسلم الضحية والمعتدى عليه، فهو بكل بساطة: دعاية إرهابية يجب منعها ومعاقبة من يتداولها، بالسجن والتعذيب.. أو حتى بالقتل.
· قلنا أن السبب الحقيقى للأفراط فى إستخدام قوة النيران " الأمريكية / الإسرائيلية" هو سبب نفسى لتحطيم إرادة المقاومة لدى الشعب المستهدف والشعوب التى فى طريقها لأن تستهدف . وسبب آخر تجارى هو الإستحواز على حصة أكبر من سوق السلاح الدولية بالدعاية لأسلحتهم الجديدة المتطورة، مع التهويل الدعائى لقدراتها التى تجلت فى تلك الحرب، التى لابد أن يربحوها حسب تقديراتهم، حيث لاقوة ذات وزن تقف أمامهم.
·· إن الصدق فى إعلام المطاريد المستضعفين عامل جوهرى فى بناء الثقة، التى إن تأثرت فإن فعالية إعلامهم كله تنهار أو تتضرر بشدة بحيث يظل موضع شك حتى لو قدم بعد ذلك البراهين على صدقه .
لقد إنهارت المصداقية الأمريكية عندما تبين أنها أقامت إدارة خاصة للأكاذيب ألحقتها بوزارة الدفاع .
ثم تتابع كشف أكاذيب كثيرة وكبيرة إقترفها السياسيون و الإعلام الأمريكى، عن سبق إصرار وترصد. فالحقائق دوما يستحيل التكتم عليها طول الوقت. فلا بد أن تظهر الحقيقة يوما. وتوافر وسائل الإتصال جعل كشف الحقائق أسرع ، أى جعل حبال الكذب قصيرة جدا . وهكذا تتابعت بوتيرة عالية كشف الأكاذيب الأمريكية، فإنحطت قيمه ومصداقية السياسة والإعلام الأمريكى رغم التكنولوجية العالية والنفقات الخيالية.
* إذن المصداقية فى الإعلام أكثر أهمية بمراحل من القدرة التكنولوجية. ولكن بما أن الإعلام أصبح جزءا عضويا من الحرب الشاملة، فإن تحسين القدرات التكنولوجية لإعلام المطاريد هو مسألة لها نفس أهمية الحصول على السلاح القتالى المتطور .
وإذا كان العدو الأمريكى يمكنه تعطيل إعلام أعدائه بقصفه جواً، أو بالسجن والإغتيال والمطاردة، فإن السبيل المتاح أمام إعلام المطاريد هو المزيد من المصداقية، ثم الشجاعة والتضحية فى ميادين الخطر، لإعلان الكلمة الصادقة، وللحصول على المادة الإعلامية الموثقة بالصوت والصورة من موقع الحدث.
ثم أخيرا بذل الجهد والتضحيات الجسيمة، بالمال والنفس، من أجل إيصال الحقيقة إلى الناس.

* * *

إعلام طالبان والقاعدة

· خاض طالبان حربهم ضد الولايات الأمريكية وهم بلا إعلام تقريبا، بعد ضرب إذاعتهم وتخريب موقعهم الإلكترونى. وكانوا وقت دولتهم، وبفتاوى دينية عجيبة، قد كبلوا إمكانية أى عمل إعلامى لديهم. فقد منعوا التصوير وتعاملوا بإحتقار زائد مع الإعلاميين، حتى مع وزير إعلامهم الذي أنعم عليه زملاؤه بلقب "وزير اللغو"!!.

وكان تأثير الإعلام المعادى شديد الوطأة على طالبان وقت الحرب، ونجح فى إبقاء الشعب الأفغانى على الحياد، فبقى الطلبة وحيدون يعانون الهزيمة.

* حدث شئ مشابه مع بن لادن الذى لم يكن لديه جهاز إعلامى يذكر، سوى معمل لابأس به، لإنتاج مادة إعلامية تحريضية خطابية توزع على وسائل الإعلام العالمية، وعلى الأنصار والمتعاطفين فى اليمن والسعودية، ولم يكن ذلك كافيا.

لقد خدع الإعلام الأمريكى بن لادن عندما جعله يصدق المبالغات الإعلامية حوله وحول القاعدة. كان يدرك بالطبع أنها مبالغات. ولكنه ظن أن العدو أخطأ التقدير بدافع الخوف والإضطراب، فأراد أن يزيد تلك الحالة عنده، فمارس هو أيضا المبالغة فى تصوير قدراته، مع إطلاق تهديدات رنانة لايمكن تنفيذها. ولكنه بذلك كان يساعد عدوه من حيث لايدرى. فالعدو كان يعرف تماما الإمكانات المتاحة لدى القاعدة وزعيمها. ولكنه مارس التهويل متعمدا للأسباب السابق ذكرها.

{ وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشئ المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لاريب فيه ـ بروتوكول١ }

مبالغات بن لادن أضرته من جهة أنها قللت من مصداقيته، إلى حد ما، فأصبح مشجعوه غير مطمئنين إلى جدية تهديداته الضخمة التى أصبحت تسفر عن لاشئ.

أضرذلك بالمصداقية التى إكتسبها فى بداية عمله، عندما كان يهدد ثم ينفذ فى أعقاب كل تهديد.

لم يكن لدى تنظيم القاعدة وسيلة إعلامية خاصة به، ولو مطبوعة دورية صغيرة، ولا حتى كتيب صغير يصدر لمرة واحدة، يشرح فكر التنظيم وأهدافه. وفى الحقيقة لم يكن هناك تنظيم بالمعنى المفهوم للكلمة، بل كان تجمعا فرضته ظروف قاهرة لأناس دفعتهم ضغوط لاترحم لم تكن فى حسبان أحد منهم. ولكن إعلام العدو والسائرين فى ركابه، صوروا هؤلاء "المطاريد" كأسطورة مرعبة ليس لها نظير.

على كل حال هذه "الحرب العالمية" على بن لادن ومن معه، لم يواجهها هؤلاء بأى تجهيز إعلامى/أو عسكرى/ مناسب. وكان بن لادن يعتمد على تهافت الإعلام الدولى وتزاحمه حوله من أجل إلتقاط أى كلمة منه أو إلتقاط أى صورة له. لدرجة جعلته يعتقد أنه قد إمتلك الإعلام الدولى، وجعله إعلامه الخاص.

ولكن أمريكا أرغمت الإعلام الدولى على الإبتعاد عن بن لادن وتجاهله بعد ضربة الطائرات فى سبتمبر٢٠٠١. وأكثر المحطات الفضائية جرأة لم تعد تبث من بياناته المطولة سوى مقتطفات منتقاة بعناية وإيجاز شديد.

إن الإعلام الدولى يعمل بنظرية "الصرعات" أو "الموضة". واليد الخفية للمصالح المالية العملاقة، تحرك الإعلام وتحدد له مواضع التجاهل أو الإهتمام.(وكذلك تحدد وتحرك السياسات والحروب وموديلات الأزياء ورواد الفكر والثقافة والجوائزالمبهرة ،مثل نوبل التى يضحى كثيرون بالدين والوطن لأجل الحصول عليها).

من أجل هذا لابد أن يكون لحركة المطاريد إعلامها الخاص، مهما كان صغيرا ، ولكن له خطوط مفتوحة على أوسع الشرائح الإنسانية الممكنة. كل ذلك يعتبر إستكمالا لمعدات معركتهم مع المستكبرين، وهى معركة لاتقل أهمية الإعلام فيها عن أهمية أى سلاح آخر.

إعلام حزب ا لبنان

فى الإعلام، كما فى القتال والتنظيم والقيادة، كان حزب ا لبنان، حالة من حروب المطاريد المستضعفين، عالية الأداء يشكل يقترب كثيرا من المثالية.

ولكل حالة من حروب المطاريد خصوصيتها. وإستيعاب حركة المقاومة لخصوصياتها هو جزء من نجاحها. وحزب ا إستفاد بشكل مثالى من خصوصية الظروف المحيطة به وإستطاع إستخلاص أفضل ما فيها، وبشكل فائق البراعة.

هذه الخصوصيات نفسها تفرض على حزب ا درجة عالية من المخاطر، عليه أن يتعايش معها إلى زمن غير محدود.

من أبرز جوانب تفوق حزب ا كان جهازه الإعلامى، وبشكل خاص قناة المنار الفضائية. ويحتاج الأمر إلى كتاب كامل لبحث أوجه النجاح الإعلامى لقناة المنار وأثر ذلك على النتائج النهائية للحرب، وأثرها على الروح المعنوية العربية والإسلامية، فى وقت كانت تعانى فيه من الإحباط والتراجع بعد إجتياحات أمريكية وتواطؤ الأنظمة العربية وقمعها المتزايد للمواطنين وتخريبها لحاضر ومستقبل البلاد.

كانت المنار سندا للمجاهدين فى الخطوط الأولى، والمهاجرين النازحين من ديارهم، وللشعب اللبنانى المتأجج حماسا. كما كشفت المتواطئين والخونة، فى الحكومة وخارجها.

وكما فعلت أمريكا فى أفغانستان والعراق من قبل، فعلت إسرائيل فى حربها على حزب ا فى ٢٠٠٦. فقصفت بالطائرات مقر قناة المنار فى بيروت ودمرته.

(بل أن أمريكا والدول الأوربية بدأوا إجراءات التضييق والعرقلة ضد قناة المنار قبل الحرب بأشهر طويلة محاولين منعها من العمل أو إستخدام الأقمار الصناعية).

وكأن الحزب كان مستعدا لذلك الإحتمال، فتمكن من إعادة الإرسال بعد توقف دام دقيقتين فقط من قصف المحطة. لقد إستوعبوا درس ما حدث فى أفغانستان والعراق، فكانوا يتوقعون تصرفات العدو مقدما، وأعدوا لها المضادات المناسبة. تماما كما فعلوا فى المجال العسكرى، إذ أحبطوا مجهودات العدو برا وبحرا وجوا. فأضطر العدو للإنسحاب بدون أن يحقق أهداف حملته العسكرية باهظة التكاليف.

أن تمتلك حركة مستضعفين، مطاردة أمريكيا وإسرائيليا ومن سلطات بلادها، محطة تلفزيون فضائية، فذلك أحد خصوصيات الوضع اللبنانى، يستحيل تحقيقها فى أى مكان آخر.

لقد قاد السيد حسن نصر ا المعركة كلها، حربا وإعلاما، بكل إقتدار. وكان "السيد" جهازا إعلاميا قائما بذاته. تميز بالهدؤ والمصداقية العالية، ليس فى أوساط شعبه فقط، بل أيضا فى أوساط أعدائه. فقد كشفت إستطلاعات الرأى فى إسرائيل أن الناس هناك يثقون فى ما يقوله "السيد" ولا يصدقون ما يقوله زعمائهم. وذلك قمة النجاح الإعلامى القائم على الصدق.

النساء والأطفال فى الحرب:

إعلام المطاريد يعكس ميزتان هامتان للأداء فى كافة نشاطاتهم. فيهما تناقض يبرز مضمونا جماليا وأخلاقيا. إنهما صفتى القوة والرحمة. القوة فى الأداء والرحمة فى التعامل.

ذكرنا أن المطاريد ضعفاء ماديا، مستضعفون بتجبر الظالمين عليهم.

قوتهم لاتعنى التساوى مع العدو فى القدرات المادية. ولكن قوتهم تكمن فى معنوياتهم العالية التى تمكنهم من التصدى للجبابرة وخوض الصراع ضدهم بكل شجاعة إستشهادية، وإذلالهم فى ميادين المعارك.

تلك هى القوة فى معسكر المطاريد. أما الرحمة فهى الصفة التى بدونها تتحول القوة المادية، إلى صفة وحشية بغيضة، كما هى قوة الطغاة المستكبرين، وجيوش الإنتفاخ التكنولوجى،عديمة الرحمة ميتة الضمير.

القوة "ضد العدو"، والرحمة "مع كل الناس" تكسبان حركة المطاريد الهيبة فى نفوس الأعداء والمحبة فى نفوس الناس. فتجتمع بحار الشعب حول أسماك المقاومة، فيسهل عليها العيش والحركة. أما إذا ضل المطاريد الطريق وإنحرفوا إلى القسوة مع الناس، فإنهم بالتدريج يتحولون إلى مجموعات من آكلى لحوم البشر، وسريعا ما ينهزمون بأيدى الناس أنفسهم قبل أن يهزمهم سلاح العدو.

- قتال العدو وقتله فى ميادين المعارك لايعنى جواز الإساءة إلى أسراه أوذبحهم على شاشات الفضائيات. فتلك بشاعات منفرة، تؤدى إلى إنصراف الناس وتجفيف البحيرات عن جثث لأسماك متوحشة تتغذى على لحوم البشر.

وليس من الرحمة أيضا قتل النساء والأطفال وغير المحاربين عموما.

- وهنا تبرز مسائل يحاول العدو التشويش بها إعلاميا للإضرار بسمعة المقاومين.

فالنساء لدى العدو أصبحن الآن فى صلب العمل القتالى والإستخبارى والأمنى. إنهن الآن فى صميم العدوان وداخل كل تفاصيله. فلا مجال إذن للقول بعدم إمكان تعرضهن للإستهداف القتالى.ثم هناك إستهداف العدو للتجمعات المدنية لشعوبنا المحتلة، وقتل النساء والأطفال وغير المقاتلين بالضربات الجوية والصاروخية، أو

بالمدفعية والدبابات عندما تتواجد جيوشه على الأرض، مكتفيا بالقول أنه قتل جماعة من "الإرهابيين".
ومع ذلك يصف ضربات المقاومين المضادة بأنها أعمالا إرهابية تستهدف المدنيين.
ونجحت آلته الدعائية كثيرا، حتى ترسخت فى الأذهان قاعدة ظالمة تقول أن ضرب أهالينا المستضعفين بالأسلحة فائقة التطور لجيوش العدوان والغزو، هو عمل مشروع من أعمال الدفاع عن النفس.
أما إذا قام المطاريد بردة فعل ضد أهداف مشابهة لدى العدو، ولكن بوسائل بدائية ترتكز على العمل الإستشهادى أو أسلحة بدائية نتيجة العوز التكنولوجى، تفجرت عمليات إستنكار عالمية، تضم بعض العرب والمسلمين أنفسهم.
ولكن حزب ا ألغى هذه المعادلة بنجاح منقطع النظير، ووضعها فى إطارها الصحيح ضمن مبدأ المعاملة بالمثل، أو التصعيد المتبادل، أو توازن الرعب حسب ما أسماه البعض. ولكنها على أية حال عودة إلى قانون فطرى قديم وبسيط يقول:
(العين بالعين والسن بالسن، والبادى أظلم).
لقد أخطأ المسلمون كثيرا عندما أهملوا ذلك القانون البسيط رغم كونه بديهيا، فضاعت حقوقهم بتركهم المجال مفتوحا إلى أقصاه أمام عدوهم كى يضربهم كيف شاء ومتى شاء. وحتى يكون العرب "حضاريون" أكثر فإنهم يلجأون إلى البكاء والشكوى لدى الإعلام الدولى، والمنظمات الدولية، بما فيها المنظمات الأكثر إثارة للشفقة والسخرية، أى منظمات حقوق الإنسان!!.
نسى هؤلاء أن للغرب إله واحد هو الذهب، وقانون واحد هو القوة. وما سوى ذلك فهو خداع للمغفلين من الضعفاء الذين يتوهمون أن للغرب قيما أو أخلاقا، أو أنه يعتقد حقا بقانون دولى هو واضعة والمستفيد الوحيد منه، أو حقوق إنسان تعنى لديه فقط حقه فى التدخل فى شئون الآخرين وسرقة ثرواتهم.
فى عدوانها على لبنان عام٢٠٠٦، ضربت إسرائيل ودمرت معظم البنية التحتية فى لبنان، وقتلت وجرحت مئات المدنيين. فرد حزب ا بضرب المدن الإسرائيلية. ورغم أن ما أحدثه من أضرار مادية كانت أقل بكثير، إلا أن الخسائر النفسية كانت أشد فداحة. فقد إنهارت بالفعل نظرية الأمن الإسرائيلى، القائمة على الأمن التام للمواطن الإسرائيلي وقت الحرب. ونقل المعركة على الفور إلى أراضى الخصم وإنهائها بسرعة وأمان، بالإعتماد على قوة جيش مزود بأفضل ترسانة من السلاح المتطور تزوده بها الولايات المتحدة.
وهنا يبرز سؤال: لماذا لم يقف العالم فى ثورة عارمة أمام حزب ا وزعيمه السيد حسن نصر ا ، كما وقف قبالة تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن؟؟.
الإجابة تحتاج إلى إستفاضة. ولكن إختصارا نقول:
- أن حزب ا نجح فى المحافظة على صورة المظلوم المدافع عن حقوقه داخل أرضه ووطنه. وأنه هاجم عمق العدو فى إطار دفاع مشروع ومعاملة بالمثل ضد

عدو أشد منه قوة تجاوز حدود المعقول فى ضربه للأهداف المدنية وقتل المدنيين. وهنا الدور البارز للإعلام الذى وثق تلك التجاوزات بالصورة ومن موقع الحدث بشكل مباشر. فلعب الإعلام دورا فعالا ومساعدا بقوة لحزب ا .

ـ فى حين كان دور الإعلام سلبيا مع القاعدة وزعيمها. لأنه صور فى منهاتن وعلى الهواء، ما ظهر أنه عدوان غير مبرر على مدنيين أبرياء لشعب مسالم.

وساعد على تأكيد تلك الفكرة المغلوطة، طبيعة إعلام بن لادن القائم على الوعيد والتهديد، فظهر بشكل المعتدى المتعطش لسفك الدماء.

· الفارق الأهم، بين حزب ا والقاعدة، كان وجود حالة متماسكة ومتينة للمقاومة فى لبنان، يمكنها إستيعاب الضربات وتوجيه ضربات معاكسة للعدو، وحماية المقاومة مع إمدادها بكل أسباب الصمود الفعال دفاعا وهجوما.

ومع إن العدو الإسرائيلى كان متفوق بشكل يستحيل اللحاق به فى الناحية التسليحية والدعم الدولى والإقليمى، والنفاق فى الداخل اللبنانى الذى أوشك على السفور بوجه الخيانة الصريحة، إلا أن المقاومة بدورها تفوقت على العدو بشكل يستحيل اللحاق به فى جوانب القيادة العليا والقيادة العسكرية والنظم العسكرى والروح المعنوية والإنضباط والتدريب والإستخبارات و... الإعلام!!!. وهنا موضع العجب لأن العدو مدعوم أيضا بأضخم وأحدث ترسانة إعلامية دولية.

· ومازال حديثنا مستمر عن الإعلام وإن تشابكت خيوطة مع مواضيع الحرب والسياسة والإقتصاد والمعتقدات. فجميعها موضوع واحد مترابط وهى فى واقع الحياة تعمل معا مجتمعة، لا ينفصل بعضها عن بعض. ولكن فى البحث يجرى الفصل النظرى فيما بينها، فقط بهدف الدرس.

· هناك قانون إعلامى لايشيرون إليه عادة رغم خطورته. وهو جاذبية الإنتصار كمادة دعائية تعمل لصالح المنتصر وضد المنهزم، بلا أى إعتبار لأى معيار أخلاقى.

ـ وفى حالة حزب ا فإنه يمثل حالة من الإنتصارات المتتابعة ضد إسرائيل ضمن إشتباك دائم معها. ليس فقط بحكم الجوار غير المرغوب فيه، ولكن بحكم العدوان الإسرائيلى المستمر على لبنان وأطماعه النهمة فى إلتهامها.

ـ النقيض كان فى حالة بن لادن الذى عممت الهزيمة على الإضرار به إعلاميا.

لم يكن الخطأ فى القضية التى قاتل من أجلها. ولكنه قاتل بطرقة خاطئة تماما فى سبيل قضية عادلة تماما. وعندما هزم فى المواجهة تضرر هو وتضررت قضيته. حتى أن الكثيرين جدا مازالوا يجهلون حقيقة دوافعة من تلك المواجهة، ناهيك أن أعدائه الذين تحدثوا عن دوافع غير حقيقية لحركته، ووصموه بالتهمة المبتذلة: الإرهاب والتطرف.

فليس هناك أقبح من الهزيمة فى طمس مزايا المهزوم وتضخيم أخطائه. وليس هناك أفضل من النصر فى إبراز المزايا وطمس الأخطاء. ودائما يقوم إعلام المنتصر بنزع

مزايا المهزومين وإسباغها على المنتصرين، كغنيمة حرب. وخلع كل الموبقات والأخطاء عن المنتصر، ثم وضعها فوق رأس المنهزم، كغرامة حرب.
النصر والهزيمة يشبهان الغنى والفقر من هذه الناحية، أى عدم العدالة فى رؤية مزايا وعيوب الناس بشكل حقيقى.
ولإعلام المطاريد دور حيوى للغاية فى تقييم الوضع بشكل إيجابى وإستخلاص النتائج الحقيقية التى تسدد المسيرة ، سواء كان هناك نصر أو هزيمة. وكم من هزيمة أدت إلى نصر كبير عندما إستفاد الهزومون من دروسها بشكل صحيح. وكم من نصر قاد إلى هزيمة كبرى هندما إغتر به المنتصرون فإستهانوا بمزايا خصومهم.
إن الهزيمة تضر إعلاميا بالمهزوم وقضيته حتى ولو كانت عادلة. ولحسن الحظ أن ذلك الضرر غير دائم ومرتبط بنتائج الجولات التالية.
لهذا فإن الهزيمة لا تتم بخسارة جولة من الحرب. ولكن الهزيمة الحقيقية هى إيقاف القتال قبل تحقيق الغاية من الحرب. أى قبل إستعادة الحقوق كاملة ودحر المعتدين.
كما أن الهزيمة لاتؤثر فى هؤلاء المؤمنين الثابتين، بل تؤثر فقط فى هؤلاء الذين يميلون مع كل ريح ويسيرون خاف كل ناعق بفتنة.
• نتيجة لتفوقه المادى الكاسح يحاول الغرب ترسيخ فكرة أنه قوى لأنه على حق، وحقوقه ممتدة إلى المدى الأقصى الذى يمكن لآلته العسكرية الجبارة أن تصل إليه .
وأن على من يريد القوة والنصر فعليه الإلتحاق بركاب حضارة القوة والعدوان والعمل فى سلك العبودية لها، بلا قيد أو شرط.
لهذا فإن أمل البشرية جمعاء معلق بجهاد أبنائها من المطاريد، ومعاركهم الباسلة الستبصرة، وإعلامهم الصادح دوما بالحق.

الدفاع عن النصر

قناة المنار الفضائية، الذراع الإعلامى الأقوى لدى حزب ا ، أثبتت حقيقة كانت غائبة عن كثيرين، وأشك أحيانا أنها كانت واضحة بشكل مسبق لدى قيادة حزب ا ، وبالطبع لم ننتبه إليها فى أفغانستان وقت الإنتصار على السوفييت.
هذه الحقيقة تقول:
(إن إعلام المطاريد لاتقل أهميته بعد تحقيق الإنتصار عن أهميته وقت إشتعال المعارك).
لأنه إذا إنتهت المعركة بهزيمة المطاريد، فإن إعلام العالم كله سيتحول إلى نهش جثث الأحياء منهم قبل الأموات.
ولكن إذا تكللت إحدى المواجهات العسكرية الكبيرة بإنتصار المطاريد، فسوف تظهر الحاجة الشديدة لإعلامهم كى يدافع عن النصر، ضد محاولات التشويش التى يقوم بها الأعداء والمنافقين، وهم الأخطر فى هذه الحالة.
• فحرب المطاريد بطبيعتها، هى حروب طويلة الأمد. تعتمد على قتل العدو بالإنهاك من نزف آلاف الجراح الصغيرة المتتابعة. فهكذا تقتضى موازين القوة التى يمتلك العدو زمامها. لذا يسعى العدو إلى الحسم السريع، لأن تكاليف آلته التدميرية

وقدرة عنصره البشرى المتآكل لاتمكنه من خوض طويلة الأمد مع عدو من المطاريد لانهاية لقدرته على الصبر.
بعد الإنتصار الباهر لحزب ا فى معركته مع إسرائيل "يوليو/أغسطس٢٠٠٦"، فإن آلة الدعاية الدولية الجبارة مع الآلة الإعلامية الرسمية العربية "المستباعة" ، والتابعة لآله الحرب الأمريكية ، مع أصدقاء أمريكا وإسرائيل داخل لبنان نفسها وهم قوة لايستهان بها، كل هؤلاء حاولوا طمس حقيقة أن هناك إنتصارا قد تحقق .
بل حاولوا القول بأنها كانت هزيمة، وأن حزب ا أخطأ وتهور فى إشعال الحرب، إلى آخر مجموعة كبيرة من الدعاوى العريضة التى لم تستطع أن تصمد للحقائق على الأرض، وأمام الدفاع العقلانى البارع للجهاز الإعلامى لحزب ا وعلى رأسه محطة المنار الفضائية .
يمكن القول أنه لولا تلك الفضائية لضاع إنتصار حزب ا فى تلك المعركة كما ضاع إنتصار الشعب الأفغانى على الإتحاد السوفيتى فى ثمانينات القرن الماضى.
فالإعلام الأمريكى والغربى تمكن من طمس الإنتصار الإسلامى الأفغانى وتصوير ما حدث على أنه كان إنتصارا لتكنولوجيا السلاح الأمريكى وبالذات صاروخ ستنجر.
ثم تمادوا فى الأكاذيب عندما سقط الاتحاد السوفيتى وتفكك إثر إنسحابه المهين والمنكر من أفغانستان بحوالى عامين فقط . فتمادى السفهاء بالقول أن إنهيار الإتحاد السوفيتى جاء بتأثير "إذاعة أوروبا الحرة" التى كانت تديرها المخابرات الأمريكية فى إطار الحرب الباردة بين الكتلتين !! .
وهكذا تبخر الدور الرائع لجهاد شعب دام أربعة عشر عاما قدم فيه مليونى شهيد بسبب عدم وجود جهاز إعلامى يبرز الإنتصار ويدافع عنه .
وذلك يرجع إلى ضعف قيادة الأحزاب "الجهادية" الأفغانية وخيانة زعمائها وتآمرهم على شعبهم العظيم وتحويل جهاده، بالإفساد المنظم والمتعمد، إلى مجرد حرب بالوكالة لصالح الولايات المتحدة ، التى غزت بلادهم بجيوشها وجيوش "مجاهدين" من تحالف الشمال، عندما تحولوا إلى رأس حربة لقوات الإحتلال ، فى مقابل خمسة ملايين دولار قدمتها لهم المخابرات الأمريكية!!.
إن الأفغان طول جهادهم لم يمتلكوا أى جهاز إعلامى له قيمة ، سوى بعض أدوات الدعاية الحزبية السيئة ، تمارس أساليب الجباية المالية من الخارج.
فتركوا الدعاية لقضيتهم، لحليفهم الدولى الذى روج للقضية ولكن من منظوره الخاص. وأيضا من خلفيته الدينية المتعصبة التى أرعبها إنتصار المسلمين فى حرب مطاريد لم يتوقع لها أحد النجاح فى ظل التفاوت الرهيب فى موازين القوى، وإنعدام القيادة الصالحة، سوى من قيادات ميدانية من العلماء ، تناقصوا بالتدريج لصالح نوعيات فاسدة ومرتزقة. ومع ذلك حدث الإنتصار بمعجزة كاملة المعالم .

عرب أفغانستان لم يكن لديهم إعلامهم الخاص . لأنه لم يكن لهم كيان خاص سوى تجمعات صغيرة متضاربة ـ والأكثرية العظمى كانوا من عابرى سبيل الذين دفعتهم العاطفة إلى ميدان الجهاد والبحث عن الشهادة، ولم يذهبوا لأبعد من ذلك .
الإعلام العربى الذى ظهر على هامش الحرب الأفغانية كان حزبيا تماما ـ يدافع عن حزب وليس عن وطن أو قضية أو أمة. وليس باحثا عن حقيقة، بل يثير العواطف كوسيلة لإمداد الحزب بالمال والأنصار والمتطوعين على حساب الأحزاب الأخرى . حتى أن ذلك الإعلام لم يشرح القضية الأفغانية بشكل جيد، بل عكسها فقط من منظور مصالح ضيقة لحزب أو التنظيم .
وحتى تنظيم "القاعدة"، وكانت وقتها فى ذروة تألقه التنظيمى "أكثر من عشرة آلاف عضو حسب مصدر داخلى بها"، القاعدة لم تصدر فى تلك الفترة سوى نشرة إخبارية لمدة شهر أو إثنين ثم أغلقوها بعد شكاوى الآخرين من آراء قليلة وردت بها.
ومن يومها لم تصدر القاعدة أى مطبوعة إعلامية خاصة بها، إلى أن شردتها الحملة الأمريكية .
لهذا فإنه ما أن إنتهت الحرب الأفغانية حتى تفككت القاعدة ولم يتبقى مع قائدها سوى خمسين شخص هاجر بهم إلى السودان ثم عاد بهم إلى أفغانستان فارتفعوا إلى مادون المئة، وعليهم قامت "الحرب العالمية ضد الإرهاب"، الذى مثله تنظيم عالمى إخترعته آله الأكاذيب الأمريكية ولم يكن موجودا قط على ظهر الأرض.
إلى هذا الحد يؤدى إهمال العمل الإعلامى. إنه يترك ساحة الإعلام خالية كى يصول فيها العدو ويجول بكل باطله. فيجعل من الأكاذيب الكبيرة حقائق دامغة، ويحول الحق المبين إلى باطل لا شك فيه، ويحول الضحايا إلى مجرمين، والمذبوحين إلى قتله، والشمس إلى ليل مظلم ـ والظلام الدامس إلى نور مشرق .
إن الإعلام أصبح نصف المعركة على أقل تقدير . وفى حالات بعينها يتحول إلى كل المعركة .
{{ ***والنصر مضمون لنا على أعدائنا، إذ ليس بيدهم صحف رهن أمرهم كما لنا نحن*** ـ البروتوكول ١٢ }}
* * *

<u>أدوات إعلام المطاريد</u>
إن إمتلاك قناة فضائية هو من خصوصيات حالة حزب ا لبنان وهو شيئ مستحيل فى الظروف العادية ، قبل السيطرة على دولة مستقرة .
حتى الإذاعة لا يمكن تشغيلها إلا فى المرحلة الثانية من حرب العصابات طويلة الآمد كما سنرى لاحقا .
فى المرحلة الأولى للحرب تكون حيازة مطبعة بدائية إنجازا كبيرا . والكتابة على الجدران فى المدن يعتبر بطولة وعملا دعائيا هاما، وخطير أيضا . وأهم وسيلة فى

كل مراحل الحرب هو الدعاية المباشرة أى الشفاهية التى يتناقلها الناس فى مجالسهم. ولأشرطة الكاست كذلك أهمية كبيرة ودائمة كوسيلة دعائية.
تستخدم حركة المطاريد الوسائل المتاحة لديها. وهى دوما أقل من المطلوب فى الإعلام ، كما فى جميع النواحى الآخرى. فهذه سمة دائمة لدى المطاريد، إى العجز فى التجهيزات والوسائل. ولكن ذلك العجز يشحذ الهمم وينمى القدرة على الإبتكار .
يقوم المطاريد بنشر دعايتهم أثناء حركتهم فى المجتمع. وأعمالهم ذاتها هى أهم رسالة للناس. فإن كانت عملياتهم شجاعة ومبتكرة وتعاملهم مع الناس كريما رحيما . أى أنهم بإختصار تميزوا فى كل حركتهم بميزتى القوة والرحمة فإنهم يكتسبون قلوب الناس وعقولهم، فيتولى الناس بأنفسهم مهمة الجهاز الدعائى لحركة المطاريد، ويتحدثون عنهم بخير فى تجمعاتهم الخاصة. ويتطوعون من أنفسهم بتفنيد إدعاءات أعداهم ، ويفشلون أى دعاية سوداء تستهدفهم.
ذلك هو السلاح الدعائى الأهم لدى المطاريد فى جميع مراحل جهادهم الطويل.
وحتى عندما يتمكنون لا حقا من إمتلاك وتشغيل وسائل إعلام حديثة، تظل دوما محبة الناس وتعاطفهم ودفاعهم عن حركة أبنائهم المطاريد هى السلاح الأهم فى الدعاية كما فى القتال. فمادة الصراع الأساسى بين المطاريد وأعدائهم هو الإستحواز على عقول الناس وقلوبهم. والذى يفوز فى ذلك السباق يكسب الحرب.
فإذا كان الناس يعملون تلقائيا كأجهزة دعاية شفاهية متنقلة فهذه إشارة لاشك فيها على أن المطاريد قد بدأوا يكسبون الحرب.
• إن حرب المطاريد غير التقليدية فى حاجة من الآن فصاعدا إلى إنشاء قيادة خاصة بالإعلام، تقوم بقيادة العمل الإعلامى ضمن استراتيجية متدرجة، شأن باقى نشاطات حرب المطاريد طويلة الأمد فى فروعها العسكرية والسياسية.
إن الأمر لم يعد بنفس البساطة السابقة، مجرد إصدار نشرات إخبارية وبيانات تحريضية. إنها حرب إعلامية تحتاج إلى عقليات مبدعة، وشخصيات جسورة مضحية فدائية، تقدم الجهد والدم كباقى المقاتلين، بل وتحتاج أحيانا إلى إستشهاديين.
• الحصول على الحد الأعلى من التجهيزات الإعلامية مفيد جدا ولكنه ليس شرطا لبدء عمل إعلامى مقاوم. بل المعركة متى تقررت فيجب خوضها بالإمكانات المتاحة شأن باقى أفرع النشاط القتالى. ومع الوقت يتطور العمل تدريجيا فى كافة الأفرع.
ودائما فى حروب المطاريد، فإن الإبداع فى الإستخدام يعوض النقص فى التجهيزات.
***

إعلام الطغاة:

إختراع النظريات، سباكة المصطلحات، توزيع الأدوار

إعلام المطاريد عليه أن يتجنب الأفخاخ الفكرية والإعلامية التى ينصبها الطغاة، من إجل إصطياد عقول الناس وأسرها داخل إطارات فكرية خاطئة، تصور الأشياء على غير حقيقتها، فيضيع الناس فى ضلالات لاتوصلهم إلى الحقيقة أبدا.

ومن أهم وسائل الطغاة إلى ذلك هو ماذكرناه من:إختراع النظريات ـ سباكة المصطلحات ـ توزيع الأدوار.

إختراع النظريات:

ومثال على ذلك نظرية صراع الحضارات. والغرض منها تصوير الحملة الصليبية التى تقودها الولايات المتحدة، ساحبة خلفها دول أوروبا، بهدف ضرب الإسلام كدين وإستباحة بلاد وثروات المسلمين، تصوير ذلك العدوان على أنه "صراع" بين حضارات. بل وتصوير المسلمين بأنهم أصحاب تاريخ عدوانى ومثيرين للحروب.

إلى هذا الحد تأخذ النظرية المزيفة العقل البشرى بعيدا عن الحقيقة.

وأى إقتراب غير واع من المصطلح الطغيانى، قد يأخذنا إلى منزلق التفخيخ الفكرى الذى صمموه للإيقاع بنا.

ونحن هنا لانحسن الظن بكل من إستخدم نظرية صراع الحضارات، محاولا أن يجرى عليها تعديلات من الداخل، كأن يقول بحاجتنا إلى "حوار حضارات". كما فعل البعض ومنهم الرئيس الإيرانى السابق خاتمى.

إن ذلك الطرح ليس نقضا للطرح الأمريكى الإستعمارى بل هو تأكيد وتأييد له، لأنه يعترف بأن هناك "**صراعا**" وهو بين "**حضارات**"، ثم يقترح حلا.. هو "**الحوار**".

وهذا كله خطأ غير عفوى، ويتسبب فى أكبر الضرر للمسلمين لأنه شخص لهم الوضع بشكل خاطئ، ويعطيهم حلا مضللا يخدم الطغاة والمستعمرين.

فالعدوان الأمريكى على المسلمين والعالم ليس صراعا ، بل هو عدوان.

وذلك العدوان لا شأن له بالحضارة أو الحضارات، بل مبعثه المباشر هو سرقة ثروات الضعفاء. ومبعثه الدينى هو الصليبية الهوجاء، التى تشعلها "المسيحية الصهيونية" المتنفذة جدا فى الغرب.

إن ما نتحدث عنه إذن ليس بحثا ثقافيا ترفيهيا، بل هو تصور يدخل فى صلب النشاط الجهادى المقاوم.

فطرح خاتمى يدعونا إلى الحوار مع أقوى جيوش العالم التى تغزو بلادنا، وإحتكارات العولمة التى تنهب ثرواتنا، بينما نحن فى حاجة إلى المقاومة لدفع العدوان وإستخلاص الحقوق... وما أفظع الفارق بين الحالتين.

· وأمثال السيد خاتمى كثيرون، ولكن دوره كان بارزا جدا لأنه كان رئيسا للجمهورية فى بلاده. وموقفه الداعى إلى الحوار مع "الصليبيين/ الصهاينة" الجدد كان متعاونا وليس محاورا. فقد دعم، وقت رئاسته، غزوهم لأفغانستان ومن بعدها العراق. فهو يدعو الشعوب الإسلامية إلى الحوار مع ذابحيها، بينما لايلتزم هو بما يدعو إليه، بل يمضى إلى ما هو أبعد. إذ يساعد المتحضرين الغربيين فى صراعهم، فيصرع معهم الضحية "الجارة" ويكبل مقاومتها، التى يعتبرها هو الآخر إرهابا وليس جهادا أو حتى مقاومة.

لهذا يتمتع "السيد" بسمعة عالية فى أوساط الإمبريالية الغربية، وأصدقائها العرب. وبعد مغادرته كرسى الرئاسة إحتفظ "السيد" لنفسه بمؤسسة دائمة لحوار الحضارات . ولا ندرى مع من يتحاور فى مؤسسته، وجيوش أمريكا وإسرائيل تطحن أجساد المسلمين وتحتل المزيد من البلدان وتبتلع كل الثروات وتسيطر على كل الحكومات . إلى جانب تيار خاتمى الإصلاحى وأصدقاؤه المتنورين والمنتشرين هنا وهناك، يقف توأمه السياسى والفكرى: "التيار المعتدل"، الذى يضم حلفاء أمريكا وإسرائيل فى المنطقة، من حكام ومثقفين،لاهثين خلف رضاء الغرب وجوائزة الدولية المبهرة.

****

تعليق:

فى أمثال هؤلاء وضع الشاعر " احمد مطر" شخصيته الرمزية التى أسماها "عباس" وكتب عنه قصيدتين هى أفضل ما يمكن لرسم صورة هؤلاء "الإصلاحيين" و"المعتدلين" . ربما لم يكن الشاعر يقصد شخصا بعينة، مثل محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية الحالى ، رغم أنها تشمله برمزيتها. وسوف نورد هذه القصائد فى نهاية هذا الكتاب. وهذه بعض أبياتها:

اللص دق بابه
عباس لم يفتح له
اللص أبدى ضجره ..
اللص هد بابه
وعابه
وإقتحم الباب بغير رخصة
وانتهره:
ـ ياثور أين البقرة ؟؟
عباس دس كفه فى المخصرة
واستل منها خنجره
وصاح فى شجاعة :
ـ فى الغرفة المجاورة
اللص خط حوله دائرة
وأنذره :
ـ إياك أن تجتاز الدائرة

ونقول أن هؤلاء لم ولن يجتازوا الدائرة أبدا، حتى ... حسب قول الشاعر.

****

سباكة المصطلحات : وهى عنصر خطير تستخدمه الدعاية الأمريكية الشيطانية . وهى تضلل أفكار الناس ، وتصور الأشياء والأشخاص والإتجاهات بغير حقيقتها . من أخطر هذه المصطلحات التى يعانى منها المسلمون حاليا هو مصطلح "الإرهاب" . ومصطلح "الحرب على الإرهاب" ، ومصطلحى "الإعتدال" و"التطرف" .

....

{{ **وشعارنا ضد هذا: العنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشئ المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لاريب فيه.**

... فالعنف يجب أن يتخذ قاعدة، وكذلك المكر والخداع.
... لذلك لاينبغى لنا أن نتردد فى إستعمال الرشوة والخديعة والخيانة، متى لاح لنا}}.
البروتوكول ١
....
ونظرا لقوة الإعلام الأمريكى فهو قادر على فرض مصطلحاته التى تتزايد بإستمرار. والمؤسف أن طبقة "المثقفين" التى تتحكم حاليا فى صناعة الرأى العام العربى والإسلامى تتناول تلك المصطلحات وتستخدمها بلا نقاش وكأنها نصوص مقدسة مفروضة من السماء . وليتهم يعاملون النص الدينى بهذه القدسية.
{{ وكثر الصحافيون المحترفون وأصحاب الأقلام الذين يعيشون على حرفة التحرش الوقيعة، ودأبهم أن يطرقوا كل يوم أبواب السلطة التنفيذية للأجر والمكافأة }} ـ بروتوكول ٥
***
والعجيب أن بعض المفكرين في الغرب نقضوا تلك المصطلحات ورفضوها من الأساس . وقال هؤلاء الشجعان أنها مصطلحات مضللة فما نراه ليس إرهابيا ـ وما تقوم به أمريكا فى العالم ليس حربا للإرهاب. وهذا القول صحيح تماما .
فما تسميه أمريكا أرهابا هو إما جهادا يفرضه الدين ، أو مقاومة وطنية يفرضه الإنتماء إلى الوطن ويؤيدها الدين أيضا .
وحتى الذين فى وسط معمعة الجهاد وإرتكبوا أعمالا منافية لمفهوم الجهاد، ليسوا أرهابين ، لأن لهذا المصطلح دلالات خاصة كما نفهمها نحن لا كما يفهمون هم.
إن إعمال هؤلاء هى إعمال لها أحكامها المعروفة فى الإسلام . ولا يصح أن نستخدم مصطلح إرهاب فى وصف تلك الأعمال، لأن ذلك يؤيد الخدعة الأمريكية ويعطيها مصداقية، بأن هناك إرهابا ينبغى أن تتفضل أمريكا بمقاومته.
وكل من إستخدم مصطلح الإرهاب سواء بالمفهوم الأمريكى المعتمد رسميا ودوليا، أو لإصلاحه من الداخل على الطريقة الخاتمية، إنما يقدم خدمة، مقصودة فى الغالب، لوجهات النظر الطغيانية الأمريكية.
ونقترح على إعلامنا المطارد أن يتجاهل تماما المصطلحات المسبوكه أمريكيا ويستخدم بدلا عنها مصطلحات من ثقافتنا الإسلامية والعربية . وان يتجاهل مصطلح الإرهاب ـ حتى فى وصف أعمال الإجرام الأمريكية والإسرائيلة ـ فلدينا ما يكفى فى ثقافتنا ما يمكننا من إيجاد التعريف المناسب والصحيح لكل عمل، بل وكل شيئ بدون إستيراد مصطلحات الحرب الصلبية الجديدة وتخريب ثقافتنا وأفكار شعوبنا وتضليل مساعينا للخلاص.
مالم نجد المسمى الصحيح لكل شيئ ، سيضيع مجهودنا فى متاهات غير مجدية وسنعطى الفرصة للصليبيين الجدد وأعوانهم أن يروجوا مصطلحاتهم الشيطانية .
إن مفهوم الإرهاب الشائع حاليا هو مفهوم مستجاب من الثقافة الغربية وتاريخ حكوماتها التى مارست القتل بلا حساب لإرهاب خصومها ـ وبالذات فى بداية الثورة الفرنسية .

وبحسب ثقافتنا الإسلامية فإن كلمة إرهاب كما وردت فى القرآن:
" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو ا وعدوكم .. الآية ".
هذا المفهوم الراقى جدا لكلمة إرهاب تعادل فى المصطلح الحديث إصطلاح "الردع" أى إمتلاك القوة التى تخيف العدو وتردعه عن إرتكاب حماقة العدوان على المسلمين. وعندها تكون القوة هى حاجز ومانع لنشوب الحرب وهذا أرقى إستخدام للقوة ، بأن يكون مجرد إمتلاكها مغنيا عن إستخدامها بالفعل .
يجب أن نتمسك بهذا المفهوم , ونتجاهل ما يحقنوه فى عقولنا من مفاهيم مستمدة من ثقافتهم الفاسدة .
إن العمل العسكرى عند المسلمين، إما أن يكون "جهاد دفع" أو "جهاد طلب"، أو أن يكون بغيا وعدوانا. ولكل مصطلح منها مواصفات وأحكام محددة معروفة .
أما الإرهاب فى ثقافتنا فيعنى ردع الخصم عن إرتكاب العدوان لأنه سيواجه عقابا لن يستطيع تحمله.
إن إعلامنا يجب أن يرتكز على ثقافتنا ومصطلحاتنا ، خاصة ما يتعلق منها بالمفاهيم. الإعتقادية والفكرية ـ وليس المسائل الفنية أو العلمية البحتة لأن الثقافة الإنسانية متكاملة فى تلك المجالات وليست متناقضة .
* هناك الكثير جدا من المصطلحات التى لا يتسع المجال هنا لفحصها وبيان ضلالها وخطورتها. ولكن جميع المصطلحات الدائرة فى مجال الإعلام والسياسة، والنظريات المختلفة التى ترتدى ثيابا "علمية" زائفة كلها يجب أن يعاد فحصها وعدم التسليم بما فيها إلا بعد البحث الدقيق ـ وإستخدام رؤيتنا ومصطلحاتنا الثقافية الخاصة.
نذكر فقط بمصطلحات مثل "الأصولية" و"الإسلام السياسى" و "التطرف الدينى".
أو تلك التى تجعل الإسلام أو الجهاد منتسبا إلى قوميات أو طوائف بعينها مثل "الجهاد الأفغانى" "والإسلام الفلانى ".. الخ
إن تأكيد هويتنا الثقافية الإسلامية العربية وإستقلالنا الفكرى مقدمة ضرورية للحصول على إستقلالنا السياسى والإقتصادى .
ودور الإعلام هو الإصرار والتكرار المستمر لمصطلحاتنا للتأكد عليها وتثبيتها فى أذهان الجمهور. وبالتدريج نفرض أطرنا الفكرية إحترامها على الساحة الدولية .
فعلى سبيل المثال عندما أصر المسلمون على إستخدام مصطلحهم الدينى "الجهاد" إحترمه بل وإستخدمه العالم كله . وعندما شعرالمسلمون بعدها بالضعف والإستخزاء صاروا يخشون أو يخجلون من ذلك المصطلح المقدس مراعاة للمشاعر الأمريكية والإسرائيلية المرهفة، فبحث المسلمون لأنفسهم عن مصطلحات آخرى(كالمقاومة مثلا).
ونرجوا أن لايستمر هذا الوضع طويلا. فالمسألة هنا تتصل بجوهر الصراع وليس بشكلياته . انه يتصل بالإعتقادات التى تحرك النشاط الإسلامى والإنسانى كله .
توزيع الأدوار : إعلام الشياطين يوزع الأدوار بين خلق ا على سطح الأرض . المشكلة هى أنه بسطوته الطاغية يقنع الكثيرين بهذا القدر المفروض أمريكيا.

مثال على توزيع الأدوار على البشر ـ من وجهة نظر أمريكية ـ هو تقسيمهم الدول إلى محور خير "على رأسه أمريكا " ومحور للشر "يضم الرافضين لهيمنتها " .

- أو تقسيم المسلمين إلى مسلمين معتدلين ومسلمين متطرفين .
- أو تقسيم المنطقة إلى محور إعتدال على رأسه إسرائيل ويضم الحكام العرب الموالين لأمريكا وإسرائيل ، فى مقابل محور تطرف تقف فيه الدول التى مازالت تبدى شيئا من الممانعة، لسبب أو لآخر، فى وجه أمريكا وإسرائيل فى المنطقة الاسلامية، أو لم يقل نعم بشكل مناسب لهما.

وفى مرحلة ما كان "الإرهاب" يوصم بجنسيات معينة ، مثل الفلسطينى فى فترة السبعينات والإيرانى فى الثمانينات .

وفى التسعينات صار "الإرهاب " وصمة لكل مسلم ملتحمى. أو كل عربى ومسلم يعيش فى أوروبا وأمريكا، خاصة بعد عاصفة طائرات سبتمبر ٢٠٠١ م .

إنهم يوزعون الأدوار بين الناس طبقا لأطماعهم السياسية، ومن واقع ثقافتهم الحديثة والقديمة ـ الدينى منها والعلمانى والوثنى .

ومن واجب إعلامنا أن يثبت شخصيته المستقلة فى هذا المجال أيضا وأول الخطوات هو تجاهل المنتجات الثقافية الفاسدة التى يروجها إعلام الخصم ـ وإنتاج وإعادة الحياة إلى مصطلحاتنا الثقافية فى إطار رؤيتنا المستقلة ومصالح أمتنا .

فلغتنا العربية المقدسة بالقرآن ، لا يعجزها توصيف أى واقع .

وعقول المسلمين غير عاجزة أن تشخص كل حالة بصورتها الواقعية. وإعلامنا مكلف بتثقيف الناس بنتائج كل ذلك .

***

حرب المطاريد : فى المجال العقائدى

الحرب التى تشنها الولايات المتحدة على المسلمين هى فى جوهرها حرب عقائدية. وقد أعلنها صراحة جورج بوش الرئيس الأمريكى عشية حربه لإحتلال أفغانستان .

وفور إنسحاب السوفييت من أفغانستان بعد هزيمتهم العسكرية هناك، أعلن كبار المفكرين والسياسين فى أمريكا ـ وفى حلف الناتو ـ أن العدو الجديد بعد زوال التهديد السوفيتى هو الإسلام، ويقصدون هنا الدين نفسه. ولم يكن مصطلح الإرهاب الإسلامى قد تم تدويله بعد.

ولا تستثنى عمليات تنصير المسلمين فى الأماكن التى طحنتها الحروب والمجاعات والأوبئة حيث تشن فيها الكنائس حملات "التنصير مقابل الغذاء"، بالطبع بشكل ناعم وحضارى جدا وقد نجحوا بدرجات متفاوته فى بقاع شتى. وطال نجاحهم حتى أفغانستان نفسها ، الحصن الأكثر مناعة للإسلام على ظهر الأرض .

فبعد نهاية الحرب ضد السوفييت ظهرت نتائج حملات التنصير بين المهاجرين الأفغان فى باكستان والدول الغربية ، فأصبح هناك "أقلية" مسيحية أفغانية بعد أن كانت البلاد خالية تماما من هذه الديانة .

أما فى أندونسيا وأفريقيا فقد كانت حملات التنصير أكثر نجاحا وخطورة .

* المقصود من حملات الحرب العقائدية ليس التنصير فى حد ذاته، لأن ذلك برنامج بطئ وطويل المدى ويشكل غاية نهائية للصراع. ولكن المقصود بشكل عاجل هو أن يترك الناس دينهم وعقائدهم بشكل عملى. وبدون ضوضاء أو إحتفالات تعميد مع إستبدال كل ما هو عملى فى الدين بمظاهر شكلية، خاصة فى العبادات التى تحولت فى الأغاب إلى طقوس خالية المعنى وبلا تأثير فى الحياة العامة .

كذلك المعتقدات يجرى تحريفها، وبهدؤ، إلى درجة الإستبدال. حتى أصبحت معظم الثوابت الإعتقادية للإسلام ، مجرد وجهات نظر يفتى فيها الشيوخ كما يفتى فيها المثقفون والفنانون و... أى أحد .

وشرائع الإسلام التى تمثل الشطر الأكبر من الدين، تقوم الحكومات العلمانية بإستبعادها، حتى أن الحديث أو مجرد التفكير فى تطبيقها أصبح جريمة لا تغتفر وشبهة أمنية تودى بمستقبل الداعين إليها. ويكون فى إنتظارهم مصطلح " الإرهاب الإسلامى " وملحقاته من قوانين طوارئ ومحاكم عسكرية .

الحرب، الصليبية الصهيونية، على الإسلام ومعتقداته وشرائعة وعباداته، وحتى مصادره الأساسية (ا ،الرسول،القرآن) جميعها تحت الهجوم الضارى والمستمر والمتنوع.

على الجانب الإسلامى نقول إبتداء عن ردات الفعل، أنها غير كافية لكون السلطات فى البلاد الإسلامية ـ فى أغلبها الأعم ـ هى سلطات معادية للدين حقيقة وتظهر له إحتراما شكليا مخادعاً .

والمؤسسات العلمية الدينية أصبحت فى قبضة السلطة فخربتها أكاديميا وروحيا. وأصبحت لا تخرج الشخصية العلمية المؤهلة. والمساجد هى الأخرى أصبحت تحت وصاية ورقابة أجهزة تجسس الدولة ، ومركزا لترصد البوليس والمخابرات .

والجماعات الإسلامية العلنية متهافتة بشكل عام، وتسعى بأى طريق للحصول على مكان تحت شمس السلطة وتحاول أن تتملق وسترضى الغرب "الأمريكى" حتى يترك لها مكانا على الموائد، أو تحتها، لنيل شيئ من الفتات .

لذا فهم مهذبون جدا فى الرد لفظيا على الحملات الصلبية فى المجال العقائدى ، حتى لا يطردون خارج الحلبة السياسية والإقتصادية .

أما المجموعات "الأصولية" فهى تحت الأرض، أو تحت التعذيب فى المعتقلات، أو تحت السلاح فى الجبهات، أو تحت الملاحقة، لايستطيع أحدهم أن يحافظ على رأسه بين كتفيه ، ناهيك لأن يتصدى لحملة صليبية دولية على إتساع الدنيا طولا وعرضا .

* إن الرد الإستخزائى فى الحرب العقائدية، صار بنفس درجة الرد المسلح فى حوار عقائدى. فالأول دفاعى تبريرى يعتذر ـ نيابة عن الإسلام ـ لأعداء الإسلام بإعتبارهم مرجعية إخلاقية وتشريعية، إلى جانب مرجعيتهم بل وهيمنتهم السياسية والإقتصادية .

المطاريد فى الحرب العقائدية يخوضونها على جبهتين

الأولى الجبهة : هى جبهة الشعب المستضعف. وفيها يخاطبونه بالعقل والعاطفة معا. لتثقيفهم دينيا ، ورفع مستوى ممارساتهم العبادية لتكون ذات عائد للفرد والمجتمع .
هناك بالطبع أخطاء وإنحرافات متراكمة عبر السنين ومنتشرة فى الممارسات العبادية والإجتماعية. وإصلاح تلك الأخطاء يكون بالعودة إلى الأصول الفقهية للمذاهب الشائعة فى كل منطقة . ويكون محظورا فرض فقه بعينه على كل الناس فى المجتمع الواحد أو المجتمعات المتعددة . فيجب إفتراض الصحة فى الجميع ـ ولكل شعب أو شخص أن يلتزم المذهب الذى يرتضيه. هذا وإلا فالبديل هو الصراعات وربما الإقتتال وبالتالى نجاح العدو فى إختراق الصفوف الداخلية ، وضرب صفوف الشعب من الداخل .
وهذه هى نقطة الضعف الجوهرية لدى السلفية الجهادية كونها ترفض الإجتهادات الأخرى من منطلق عقائدى، فتفتح الباب على مصراعيه للعدو الخارجى وأعوانه فى الداخل لضرب الإسلام تحت ذريعة حماية المسلمين أنفسهم من "التطرف" و"الإرهاب" إلى آخر المصطلحات التى بات يحفظها الجميع .

الجبهة الثانية : هى العدو الخارجى. وله نشرح ونوضح أهداف الإسلام وعقائده ونظمة الإجتماعية . وتلك هى الدعوة المطلوبة شرعاً بل هى من حقهم لإقامة الحجة عليهم، وحتى يأخذوا موقفهم من الإسلام عن بينه.
الخطورة هنا هى منزلق الإعتذار والتبرير فهذا إلى كونه غير لائق بعظمة الدين السماوى، فهو ينم عن ضعف المعتذرين، ويضع عقائد الآخرين الأرضية فى مرتبة أعلى تمنح صكوك الغفران، وشهادات الصلاحية للإسلام .
فالوضوح فى العرض هو المطلوب ، وليس الإعتذار أوالتبرير. فالدين الإسلامى هو دين سماوى وهو الحق المطلق من الخالق. وعلى هذا الأساس فليقبل من يقبل ويرفض من يرفض بدون ضغط أو إكراه ، وأيضا بدون تملق ذليل يعكس ضعف الأشخاص لاضعف الدين .
* إلى جانب الشرح والتوضيح بهدف الدعوة، هناك جانب هام جدا هو الهجوم على أيديولوجية الخصم ـ ولا يقصد هنا دين الآخرين ـ فأعداؤنا لا يعيشون وفق مبادئ دينية وهم يفاخرون بذلك. بل يطرحون أنظمة وضعوها لأنفسهم طبقا لفلسفاتهم الوضعية. فالدين لديهم غلاف خارجى لأثارة عواطف جمهورهم ضد الإسلام تحديداً. ولكنهم جعلوا لأنظمتهم الوضعية قدسية دينية، ولأجلها يحركون الجيوش/ فى حملات يصفونها بالصليبية/ ويهاجمون بلاد المسلمين لفرض تلك النظم عليهم بالقوة.
وهم يركزون على الإدعاء بتفوق نظامهم الديمقراطى وإقتصادهم الرأسمالى. ويريدون إجبار العالم كله على نفس النهج لكونه يوفر لهم السيطرة التامة على الآخرين سياسيا وإقتصاديا بل ويمحوا ثقافات باقى الأمم لصالح ثقافتهم الغربية .

أنظمة الغرب السياسية والأقتصادية والثقافية ينبغى وضعها تحت الهجوم المستمر وبيان الزيف والخداع والقسوة والوحشية والوثنية فيها .

فالنظام الديموقراطى مبنى على القسوة والخداع، لفرض سيطرة أصحاب المليارات.

وحالة الرفاهية الإقتصادية والحريات السياسية عندهم راجعة إلى وفرة المسروقات التى ضخوها فى إقتصادهم من أموال الآخرين وثرواتهم، وليس ذلك راجع إلى تفوق أنظمتهم ذاتها ، بل تحديدا يرجع إلى خراب تلك الأنظمة ولا إنسانيتها.

ولو أن كمية المنهوبات تراجعت ، لصادر الغرب الحريات الداخلية عنده ، ولحارب بعضهم بعضا وإجتاحوا العالم لمصادره ثروات الشعوب بالقوة.

لقد شهد القرن العشرين أفظع الحروب فى تاريخ البشرية ، نشبت فى أوروبا وتطاحن فيها الغرب داخل أراضيه، وعلى أراضى الآخرين، من أجل الحصول على أكبر قدر من المواد الخام والأسواق والمستعمرات. وقتل فى تلك الحروب عشرات الملايين من الأوربيين أنفسهم. وتحول هؤلاء "المتحضرين" الأوربيين إلى وحوش لاتعرف حدا للقتل والتدمير، بلا وازع من ضمير من هؤلاء الذين أبدعوا لنا أسوأ الأنظمة فى تاريخ البشرية: فاشية ونازية وشيوعية.

وإنتصار الديموقراطية لايعنى أفضليتها على زميلاتها، ولكنها إنتصرت لأنها تمتعت بالعائد الأكبر من منهوبات الشعوب الأخرى. ولو إنخفضت عائدات السرقة والنهب، لتحولت الديموقراطيات إلى أشد انظمة البطش والعدوان، داخليا وخارجيا.

ولو أن الأنظمة التى حاربتها الديموقراطيات فى حروب عالمية مدمرة أوحرب باردة لم تكن أقل همجية، لو أن تلك الأنظمة توافر لها نفس القدر من تراكم المنهوبات، لوفرت لشعوبها نفس القدر من الرفاهية المادية والحريات العامة.

إنهم يتباهون برفاهيتهم وحرياتهم التى دفع فقراء العالم ثمنها من قوتهم وحريتهم.

فليست الديموقراطية والرأسمالية الغربية هما أمل العالم بل هما البلاء والنكبة للبشرية جميعها.

وإذا نجحت حركات المطاريد فى العالم فى إستعادة سيادة شعوبها وإستردت ثرواتها المنهوبة، ورفعت مخالب الغرب عن أعناقها، لإرتكست الديموقراطية داخل أراضيها،ولكشفت تلك الأنظمة عن وجهها الحقيقى وتحولت إلى الحكم البوليسى داخليا والغزوات الإستعمارية خارجيا، ولنشبت الحروب الطاحنة بين وحوش الغرب "الحضارية"، فتلك هى سنتهم التاريخية منذ الأزل.

لأجل ذلك نراهم يهاجمون حركات المطاريد فى العالم، ويدعون أن المجاهدين يقاتلون لأجل تغيير نمط الحياة فى الغرب.

ذلك بالتأكيد ليس الهدف المباشر للمجاهدين ومطاريد العالم، بل هو نتيجة حتمية تترتب على نجاح نضالهم ضد التسلط الغربى. يومها سيعيش الغرب بلا منهوبات، وعلى قدراته الذاتية فقط، وبما يمكنهم الحصول عليه بتبادل إقتصادى عادل ومتكافئ مع باقى الشعوب. يومها لن تكون هناك رأسمالية ولا ديموقراطية، بل نظام إنسانى

جديد لم يعرفه الغرب قبلا، وبالطبع لم يخطر على بال العقليات المريضة لحكماء صهيون من كبار المرابين الدوليين أعداء الإنسانية الذين يحلمون بحكم العالم من القدس.
لأجل هذا سيقاتل الغرب بكل وحشية لإبقاء شعوب العالم تحت السيطرة، وإبقاء مطاريد العالم تحت المطاردة.
* إن الطابع الهجومى للمجاهدين فى حربهم العقائدية لايتغير بتطور مراحل نضالهم ضد أعدائهم. أى لايطرأ عليه التدرج الحادث فى عملهم العسكرى والسياسى، كما سنشرح ذلك لاحقا.
إن الموقف الدفاعى فى الحرب العقائدية مع العدو، غير مسموح به على الإطلاق.
إذ أن عقائد وأفكار الخصم وأيدلوجياته توضع تحت الهجوم الدائم حتى قبل البدء فى الحرب غير التقليدية، حرب المطاريد.
إن الحرب العقائدية من الأهمية بمكان بحيث يخصص لخوضها المفكرون والباحثون والإعتمادات المالية. وهناك الكثير من العقول الممتازة، من مشارب شتى، تتصدى للعدوان الغربى، ويقدمون أعمالا فكرية قيمة يمكن أن يستفيد منها المطاريد فى حربهم الثقافية.
.....

تطوير حرب المطاريد

تنشب حروب العصابات عندما تتعرض أمة ضعيفة للغزو من جانب أمة أخرى أشد قوة. عندها تكون حرب العصابات هى الخيار الوحيد والتلقائى للمستضعفين.
من هنا فحرب العصابات هى فن قديم جدا، مارسته شعوبا شتى بدرجات متفاوتة من النجاح أو الفشل. وكما ذكرنا سابقا فإن الزعيم الصينى "ماوتسى تونج" هو واضع ذلك الفن فى صورته العلمية الراهنة، وذلك من واقع ممارسة طويلة فى الحرب ضد الإحتلال اليابانى والحكم الداخلى الفاسد. إضافة بالطبع إلى ثقافة واسعة وإطلاع على الثقافة الصينية القديمة خاصة ماكتبه العبقرى "صن تزو" فى كتابه "فن الحرب" منذ ٢٥ قرنا.
ولدى المسلمين تراث واسع فى هذا المجال العسكرى، وللأسف فإن أقل القليل منه تم تسجيله، وأكثر ذلك تم على أيدى أعداء المسلمين، فلم يكن كاملا ولا منصفا.
هذا الإنقطاع بين المسلمين وبين تجاربهم الماضية أثر سلبا فى مسيرتهم الجهادية المعاصرة، التى عانت الكثير من التخبط والقليل من النجاحات المعتبرة.
وذلك كان دافعا رئيسيا لتسجيل تجربتنا الجهادية فى أفغانستان فى سلسلة الكتب هذه "أدب المطاريد"، بهدف التقييم والإستفادة.
ولدى المسلمين فى مجال الحروب الجهادية أسماء كبيرة لعظماء من أمثال:

عبد الكريم الخطابى فى المغرب، والأمير عبد القادر فى الجزائر، وعمر المختار فى ليبيا، والمهدى فى السودان، والإمام شامل فى القوقاز، وغيرهم كثيرون لايقلون أهمية وعظمة، وإن كانوا أقل شهرة.

وفى وقتنا الراهن هناك قيادات كبيرة تواصل نفس المسير الرائع من أمثال: السيد حسن نصر ا فى لبنان، والملا محمد عمر ومولوى جلال الدين حقانى فى أفغانستان، وعشرات بل المئات من العظماء البارعين والعاملين بصمت بعيدا عن الأضواء، فى بقاع شتى من الأرض.

بل يمكننا إعتبار أن حرب العصابات "المطاريد" أصبحت فى اللحظة الراهنة فنا حربيا يتصدر المسلمون ميدانه ، بل أنه على وشك أن يصبح علما إسلاميا خالصا نتيجة الحملات الصليبية الدائمة على المسلمين ،أى وفرة تجارب المسلمين القتالية الحديثة والمتواصلة، إضافة إلى عناصر التكنولوجيا المتطورة التى غنمها أو إقتبسها المطاريد من أعدائهم وبدأوا فى إستعمالها بمهارة متصاعدة.

ولكن المؤسف أن العاملين البارزين فى ذلك المجال لايكتبون عن تجارهم الثرية، إما لأنهم لايجدون الرغبة فى ذلك أو لأنهم لا يجدون الوقت الكافى.

* فى الوقت الراهن أضحى تطوير استراتيجيات حروب العصابات أمرا غاية الأهمية والخطورة. بل ويعتبر مطلبا ملحا تقتضيه تطورات جذرية طرأت على الحروب بعد إدخال أسلحة الدمار الشامل مجال الإستخدام التكتيكى على يد وحوش الدمار فى أمريكا وإسرائيل. وهناك أيضا منظومة الأسلحة الذكية والإشعاعية، ودور الأقمار الصناعية الذى أصبح محوريا فى عمل جيوشهم.

إنها بإختصار منظومات تسليحية كانت مجهزة لهزيمة قوة عظمى منافسة ولكنها الآن تستخدم ضد أفقر شعوب الأرض، لإغتصاب أراضيها وثرواتها، ولسحق دينها وثقافتها.

صحيح أن تلك الجيوش واجهت هزيمة فى لبنان، وهى منغرزة فى ورطة طويلة الأمد فى العراق وأفغانستان. لقد فشلت جيوش التخمة التكنولوجية فى قهر إرادة المطاريد. ومع هذا تظل الحاجة ماسة إلى إعادة النظر فى كافة مرتكزات حرب المطاريد فى مجالات الإستراتيجية، إلى التكتيك إلى الإعلام، إلى كل المواضيع ذات العلاقة. مستفيدين بالطبع من تجاربنا الأخيرة من لبنان إلى أفغانستان.

من إجمالى التطورات التسليحية والتكتيكية والإستراتيجية التى أظهرها العدو فى حروبه العدوانية الأخيرة، ومن إجمالى نجاحات المجاهدين وإبداعاتهم فى تلك المواجهات، حتى الآن، يمكن رؤية بعض ملامح التطورات المطلوبة فى فن المواجهة.

<u>هناك مثلا:</u>

· تجارب حزب ا فى تحييد أو تحجيم دور الأسطول البحرى الإسرائيلى، وتحجيم التحرك الليلى لطائرات الهيلوكبتر الإسرائيلية، وتحطيم أسطورة دبابات الميركافا نهائيا. كل ذلك بإستخدامة سلاح الصواريخ.
للصواريخ لدى حزب ا قيمة إستراتيجية غيرت بالفعل مجرى الصراع مع إسرائيل. فبالصواريخ طال مجاهدو حزب ا البطن الإسرائيلى الرخو، وهو التجمعات السكانية، ولأول مرة تشتعل النيران فى الثوب الإسرائيلى الداخلى. وبقى المدنيون الإسرائيليون فى المخابئ طول مدة القتال الذى أستمر لأكثر من شهر بلا أى طائل، فسقطت نظرية أمنهم، أى أن بقاء دولتهم أصبح لأول مرة فى عمرها القصير موضع شك حقيقى.
والصواريخ لدى مجاهدى فلسطين صارت هى سلاحهم الأساسى بعد توقف هجماتهم الإستشهادية. ولولا الحصار العربى لتمكن مجاهدو فلسطين من تطوير قدراتهم الصاروخية لدرجة تهدد الوجود الإسرائيلى فى فلسطين، على غرار ما فعل حزب ا ، وربما أكثر، نتيجة للوضع الجغرافى.
وهناك معجزة حزب ا فى إبقائه على شبكة إتصالاته سليمة وفعالة وبالتالى إبقاء قواته تحت السيطرة رغم التفوق الهائل لدى الخصم فى مجال الحرب الإلكترونية والإستخبارات. ثم محافظته على فعالية راجمات الصواريخ وطرق الإمداد رغم السيطرة المطلقة لسلاح الطيران المعادى.
مازال حزب ا يحتفظ بمعظم أسرار نجاحاته، ولكن حتى محاور ودلالات ذلك الإنجاز كافية للباقين حتى يسلكوا مجالات جديدة فى التطوير والإبداع.
· هناك تجارب للقاعدة جريئة جدا من حيث الفكرة التكتيكية والدلالة الإستراتيجية. هذا إذا بحثناها بعيدا عن الحرب النفسية التى يشنها العدو، وبعيدا عن تهريجه الإعلامى.

فرسان البحر.. من اليمن:

فهناك الجسارة فى توجيه ضربات "بحر/بحر" بعمليات إستشهادية.

(وذلك فى عملية ضرب المدمرة الأمريكية فى ميناء عدن عام ٢٠٠٠).

وكانت عملية ناجحة وغير مسبوقة، رغم أنها لم تستخدم أى تجديد فنى ، فقط الجرأة والمباغتة والروح الإستشهادية الجسورة، التى أوقعت العدو فى حالة من اليأس "الإستراتيجى" بأنه يقاتل قوما لهم عزيمة لاتقهر، و بالتالى غير قابلين للهزيمة.
وما زال البحر زاخرا بإمكانات العمل الإبداعى لحروب المطاريد غير التقليدية. إبداعات يمكن أن تكون بعدد أسماك البحر. فالإبداع الإستشهادى لفرسان البحر فى عدن فتح الباب للإبداع الصاروخى لحزب ا . فتساقطت القلاع التكنلوجية الأمريكية والإسرائيلية فى البحرين الأبيض والأحمر. ومازال المطاريد يبدعون إبداعا غير تقليدى .. وبحار ا واسعة.

هنا الطائرة:

وهناك الجرأة المتناهية فى توجية ضربة إستشهادية "جو/ أرض" بإستخدام طائرات الخصم (عملية عاصفة الطائرات فى٢٠٠١).

وبعيدا عن الملابسات السياسية والأمنية المثيرة للجدل، فإن بابا قد تم فتحه بالفعل تحت مسمى الهجوم الإستشهادى القادم من الجو . وهو فى حاجة إلى مزيد من البحث على مسارات منفصلة أحدهما يتعلق بالجوانب الفنية للموضوع ، ومسار آخر لبحث الجوانب السياسية، وهى نقطة ضعف خطيرة فى عملية القاعدة، ثم مسار ثالث أخلاقى وشرعى.

ولايتوقف أحد المسارات على الآخر عند البحث الأكاديمى، ولكنها مسارات متلازمة عند إتخاذ القرار فقط. وهذا هو الحال فى كل العمليات الإبداعية فى حرب المطاريد غير التقليدية.

{{ كان الطيارون اليابانيون هم الأسبق فى إستخدام الهجوم الإنتحارى القادم من الجو، وذلك فى عمليات "الكاميكاز" ضد الأسطول الأمريكى فى أواخر الحرب العالمية الثانية. وهى عمليات عسكرية بحته فى إطار حرب نظامية تقليدية. ومع ذلك أنهت أمريكية الحرب بضربة غير مبررة وبأسلحة غير تقليدية تستخدم لأول مرة فى التاريخ البشرى، وهو السلاح النووى. لقد أنهى ذلك التصرف البشع الحرب مع اليابان بسرعة. ولكنه شكل سابقة جعلت من الممكن قانونيا وأخلاقيا إستخدام نفس السلاح/ او قريبا منه/ ضد من إستخدموه لأول مرة، فى حال توفر ظروف يراها الآخرون مناسبة}}.

ونشير هنا إلى أن عمليات خطف الطائرات بلغت أوجها على يد المنظمات الفلسطينية المقاومة فى سبعينات القرن الماضى، وكان الهدف منها دعائيا بحتا، لجذب الإنتباه الدولى إلى مظلومية شعب تآمر العالم كله عليه.

لإحباط ذلك، أصبح توجه المستكبرين وكلابهم هو منع المظاليم من تلك الفرصة الدعائية. فأخذوا يواجهون تلك العمليات بأقصى العنف، لدرجة الإبادة لكل/أو معظم/ عناصر العملية: أى الطائرة والركاب والخاطفين. المهم ألا تصل رسالة الخاطفين إلى أحد، وبالتالى لايرى المظاليم جدوى من القيام بتلك العمليات مسقبلا.

وكان المثال الأبرز على ذلك هو تصرف القوات المصرية/فى سبعينات القرن الماضى/ مع الطائرة التى إختطفها فلسطينيون فى مطار "لاركنا" فى قبرص. ثم تصرف القوات الفرنسية/ فى أواسط تسعينات القرن الماضى/ مع الطائرة التى إختطفها الجزائريون.

ولما وجد المظاليم أنهم لايمكنهم إسماع صراخ مظلوميتهم لأحد، حتى ولو إختطفوا طائرات العالم أجمع، جاءت صرخة ألمهم مدوية فى عاصفة طائرات منهاتن فى العام الأول من القرن الحالى. ولكن الهدف هذه المرة لم يكن جعل الطائرة ميكروفونا لإذاعة دولية تشرح مظلوميتهم، فلم يعد ذلك ممكنا، بل جعلوا من الطائرة سلاحا لتدمير عدوهم أو ضربه فى مقتل.

وما دام العدو قرر أن تنتهى عملية الخطف الدعائية، بعملية إبادة حقيقية، بدأ المظاليم بما قرر العدو الإنتهاء به، أى الإبادة. المفارقة هى أن الإبادة بدورها فتحت أبواب الدعاية على مصراعيها ومعها فتحت أيضا أبواب الجحيم.إذ إنفلت الزمام من أيدى المطاريد، والذى أمسك بزمام ذلك الفتح الدعائى وأبواب الجحيم كان هو العدو، الذى وضع العملية كلها فى إطار مخططه الدولى لمحاربة الإسلام.

لقد قدم المظاليم خدمة لاتقدر بثمن لعدوهم، الذى قطف ثمار عملهم وتضحياتهم وأوقع بهم تنكيلا أكبر وبقضيتهم ضررا أفدح. وخطأ المظاليم هنا كان مركبا من عدة أخطاء جسيمة أمنية وسياسية.

بالطبع يحتاج ذلك الملف إلى بحث أكثر إستفاضة ليس هنا مجاله. ولكن الشاهد هنا هو تلك المجالات غير التقليدية للقتال والتى تنفتح أثناء الصراع مع العدو نتيجة التطورات التكنولوجية الجديدة فى مجالات الحرب والأمن والإعلام ، والأهم هو تطور الرؤية الإستراتيجية للصراع لدى العدو ولدى المطاريد، فهذا هو المصدر الأساسى فى كل التطورات الحادثة فى جميع نواحى حرب المطاريد غير التقليدية.

<u>الإبحار الساحر فى محيطات الإنترنت:</u>

٠٠ هناك حروبا فى مجالات غير تقليدية، يمكن أن يخوضها المطاريد، بشكل منفصل أومتكامل مع حربهم الدفاعية الشاملة ضد عدوهم. على رأس ذلك يأتى الصراع فى شبكة الإنترنت. وهو صراع فى مجال خاص له قوانينه الخاصة، التى يحتاج الخوض فيها إلى الإلمام بجانب كبير من العلوم الحديثة.

دخل المظاليم ذلك البحر الشاسع من باب إحتمال كونه مجالا دعائيا يعبرون فيه عن مظلوميتهم، ويوصلون عبره صوتهم المختنق إلى الآخرين. ولكن التهور الأمريكى فى حملته على أفغانستان لفت أنظار المسلمين إلى الأهمية الكبرى التى يوليها العدو لأبعاد المظاليم عن إمكانية الإستفادة من ذلك المجال الخطير.

كان ملفتا للنظر أن دمر الأمريكيون موقعا لحركة طالبان على شبكة الإنترنت، فى الوقت الذى دمروا فيه إذاعتهم ايضا. لم يكن لتلك الوسائل قيمة كبيرة، خاصة ذلك الموقع الإنترنتى الذى بالكاد يلتفت إليه أحد.

توجهت أنظار المظاليم نحو ذلك المجهول المثير. ومن الممارسة المبنية على الصواب والخطأ بدأوا فى تلمس ذلك العالم المدهش والغامض.

وكلما أبحروا فيه أعمق أكتشفوا الكثير. ومن الممارسات الغربية فى عالم الإنترنت إكتشف المظاليم أن الأمر لايتوقف على إمكانية دعائية فقط، فليس الأنترنت مجرد صحيفة حائط أو ميكروفون فى مسجد. إكتشفوا أن تلك المغارة السحرية أصبحت تحتوى على كل شيفرات الحياة فى الغرب، هكذا وبدون مبالغة، كل حياة عدوهم موجودة داخل تلك المغارة أو الصندوق السحرى. كل الإقتصاد والحرب والسياسة ، و حتى كل الفسق والفجور المتهتك لحضارة فى طور الأفول.

لكل إبحار فى المحيطات سحرة وجاذبيته، وأيضا ضحاياه. ولكن روعة المغانم على الشاطئ الآخر تغرى البحار الجسور على ركوب المخاطر.
إن المجال الإنترنيتى فى طريقه لأن يكون من أخصب مجالات الحروب غير التقليدية، وما زالت قوانين تلك الحرب فى طور التشكيل. ومشكلة العدو هنا تشبة أزمته فى معاركه الأخرى مع المطاريد فى البر والبحر والجو. فلا هو قادر على كسب الحرب ولا هو بقادر على على وقفها. فقرار شن الحرب كان قراره منفردا، أما قرار إنهائها فيشترك فيه أطرافا آخرين، لايرون أن إيقاف الحرب يناسب مصالحهم قبل إندحار المعتدى ورفع أيديه عن بلادهم وثرواتهم ومستقبل أجيالهم.
وزاد من أزمة العدو أنه لم يعد يجابه تنظيمات صفوة منعزله فكريا وشعوريا عن أمتها. فمنذ الحرب على أفغانستان والأرض الإسلامية تنشق عن صور مبدعة لاحصر لها للمقاومة الجهادية، تسعى نحو صيغة الأمة التى تقاتل دفاعا عن ذات وجودها. عندها يستحيل على عدوها الإنتصار، بل لن يمكنه تصور حجم هزيمته القادمة.

التطوير المتسلسل:
من المعلوم أن التطورات الجوهرية فى التسليح، تستدعى دوما تطورات فى تكتيكات الحرب واستراتيجيتها.
وهذا هو الجارى حاليا فى إطار الحرب الأمريكية وجيوش التخمة التكنولوجية ضد المطاريد وقوات حربهم غير التقليدية. هؤلاء المستضعفون من جهتهم حصل بعضهم على أسلحة أكثر تطورا عن ذى قبل، بالذات فى مجال الصواريخ التى تنطلق ضد أهداف أرضية وبحرية وجوية. وهذا بدورة يستدعى إدخالهم تطورات فى الإستراتيجية والتكتيك. وقد رأينا ذلك فى حالة حزب ا فى حرب ٢٠٠٦ ، التى مازالت تدور بوسائل أخرى لاتقل ضراوة.
مثال آخر من التطويرات التكتيكية لحزب ا فى تلك المواجهة، والمتعلق بالتطور النوعى فى تسليحة، هى إستخدامة "القوة المركزية" بشكل إستثنائى وفريد.
وقد سبق أن عرفنا، فى كتب سابقة، ماهية تلك القوة وأهميتها، ولنا حديث لاحق عنها. وهى أهم أنواع قوات العصابات، والأعلى تدريبا وتجهيزا. وتقاتل بتكتيكات العصابات الممزوجة بالأساليب التقليدية.
ونتيجه لإفتقار حزب ا إلى العمق الإستراتيجى، وصغر مساحة الجنوب اللبنانى "قاعدته المركزية"، بل وصغر المساحة الجغرافية للبلد كلها "لبنان"، فقد دفع الحزب زهرة قواته المركزية كى تبدأ القتال من نقطة الإختراق الأولى لهجوم العدو عبر الحدود. وهذا يخالف القاعدة الشهيرة للدفاع عن "القواعد الثابتة" لعصابات المطاريد، وهى إستدراج العدو الى العمق وإنهاكه بالكمائن والغارات، فى سلسلة طويلة من الإشتباكات المنهكة والمكلفة. وعندما تقدم الإسرائيليون مسافات محدودة جدا فى

العمق وجدوا أنفسهم شبه مطوقين، ومدرعاتهم تدمرها الصواريخ، وقوات النخبة لديهم تطوق وتباد بواسطة قوات المجاهدين المتفوقة تدريبا، والأعلى معنويا والأكثر معرفة بالأرض.
فإنهار العدو معنويا إنهيارا كاملا بدءا من قواته الواقعة داخل المصيدة فى الجنوب اللبنانى وصولا إلى القيادة العليا السياسية والعسكرية فى تل أبيب.
لدى حزب ا أدت الطفرة التسليحية إلى تطوير جوهرى فى تكتيكاته القتالية، بل أن إستراتيجيته العسكرية والسياسية قد تطورت بدرجة مماثلة. وهذا هو ما نعنيه بالتأثير المتبادل أو التطور المتسلسل الذى يربط تلك العناصر الجوهرية بعضها ببعض.

التجديد والوضع المعيارى:

يحتاج الحديث المعمق والتفصيلى عن التطوير، إلى معرفة الوضع "المعيارى" لحروب العصابات حيى نعرف مواضع التطور وماهيته.
بغير ذلك سيكون العمل عشوائيا والخسائر عالية، مع أنه يمكن تفاديها لو أمعنا البحث والتفكير منذ البداية. ولاشك أن التطوير سيفرض نفسه على أية حال وبحكم التوجه القسرى للأحداث، كما رأينا فى أمثلة العمل البحرى والجوى والإنترنتى.
ولكن التفكير المسبق يوفر علينا الكثير. وهؤلاء الذين يعتمدون فقط على التعلم الميدانى من واقع التجربة والخطأ، يدفعون أثمانا باهظة جدا من أجل أن يتعلوا أبسط الدروس. وقد رأينا كيف أن المجاهدين الأفغان قد إعتمدوا أسلوب التعلم من التجربة الميدانية المباشرة، فكلفهم ذلك أرواحا ودماء غالية جدا. لقد عزفوا أحيانا عن تحصيل العلم النظرى ، الذى كثيرا ما حجبه عنهم عمدا أصدقاؤهم الباكستانيين. أما أصدقاؤهم العرب فلم يكن لديهم الكثير كى يقدموه، سوى الإخلاص والدماء. وعن هذا الطريق إكتسبوا الخبرة التى عبروا إليها عبر الدم والأشلاء.
إن الدراسة النظرية هامة جدا، ومع ذلك تبقى دروسا هامة لايمكن تحصيلها أو إستيعابها بشكل جيد إلا بالممارسة العملية فى ميادين القتال. ولكن التعلم المسبق يجعل إستيعابها أسهل وأسرع، وبالتالى تكون الدماء المبذولة أقل.
فى موضع لاحق سوف نستعرض الوضع "المعيارى" لحروب العصابات طويلة الأمد. والهدف منه كما قلنا هو تسهيل معرفة وتحديد التطويرات المطلوبة.
....

المطاريد وسلاح الردع غير التقليدى

فى منظور الحضارة الغربية لا توجد قيمة لإنسان أو مجموعة بشرية إلا بمقدار الدور الذى تقوم به فى العملية الإقتصادية ، أى الإنتاج والإستهلاك .
فإذا كانت المجموعة البشرية معزولة أو ضعيفة التأثير فى العملية الإقتصادية فإنها معرضة للعدوان والتدمير من جانب الدول الغربية .

مثال على ذلك، دول الحضارات القديمة فى الأمريكتين وأستراليا أو القبائل الإفريقية، التى تأكلها الأمراض والحروب الداخلية التى يشعلها الغرب بين القبائل. وقد راح فى واحدة منها مليونى إنسان فى قبائل "التوتسى والهوتى " فى دولتى رواند وبروندى. تم ذلك تحت اشراف الأمم المتحدة والرجل الذى أصبح أمينا عاما لها فيما بعد "كوفى عنان". وهناك مجازر شبيهة حدثت فى آسيا مثل مجازر كمبوديا التى قتل فيها مليونى إنسان ، ولم يحرك الغرب ساكنا ، بما يعنى أنه يباركها ـ أو يحركها ـ سراً بل أن أمريكا وحلفاؤها قتلوا مليونى عراقى بالحصار الاقتصادى قبل غزوهم العراق أما اذا قتل الآحاد أو العشرات فى الدول الأوربية فإن القيامة تقوم على الدنيا كلها ، وإذا قتل ثلاثة آلاف فى نيويورك فإن حربا عالمية تشتعل على المسلمين والإسلام وإلى مدى مفتوح يقول الرئيس الأمريكى أنه مئة عام أو يزيد .

إن الشعوب الإسلامية بشكل عام والعربية بشكل خاص تزداد تهميشا فى العملية الإقتصادية العالمية ، وهذا يعنى ببساطة أنه أكثر تعرضا للإبادة . وهل هناك تعريف آخر غير الإبادة ـ المتدرجة ـ لتلك الحروب الأمريكية / الإسرائيلية فى أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين ؟؟ فلنراجع أرقام القتلى والجرحى والمهجرين ، ولنرى نوعية الأسلحة والقوى التدميرية للذخائر وأثرها التخريبى على البشر والبيئة .

أنها حرب إبادة لا أقل .

لا شك أن القادم أسوأ بكثير ، وقد تلاقى شعوبنا العربية والإسلامية ـ وبلا مبالغة ـ مصير شعوب الحضارات التى أبادها الغرب فى بلاد "**العالم الجديد** " الذى "**إكتشفها**" الرجل الأبيض. (ما بين قوسين هنا هى إصطلحات غربية كاذبة ومضللة ، فلا ذلك العالم كان جديدا ولا الرجل الأبيض إكتشفها ولا سكانها هبطوا عليها من كوكب آخر، وذلك بحث آخر) .

٠٠ والمخاطر البيئية التى تهدد العالم جديا بما هو شبيه بطوفان نوح وزلازل وخسوفات الأرض بالأمم المغضوب عليها . ولكن الفواتير النهائية سيحولها الغرب بمهارته الشيطانية فى التعامل ، كى يدفعها المستضعفون فى الأرض .

فى خلال الخمسين عاما الأولى من هذا القرن ـ ستذوب الكتل الجليدية فى القطبين ويرتفع منسوب المياة فى المحيطات وتغرق سواحل وجزر ـ والكارثة الحقيقية هى أن ذلك سيطال دول الغرب أيضا وليس الفقراء فقط الذين عليهم، حصريا، تحمل تبعات مصيبة تسبب بها غيرهم .

المناخ سيتغير وتهب أعاصير مدمرة وأمواج بحار كاسحة "تسونامى" وستحدث إنزلاقات أرضية وزلازل . ويتغير توزيع الأمطار فى العالم ، مناطق خصبة ستصبح صحراء جرداء ، وصحارى ستتحول إلى جنان خضراء .

هناك بإختصار خريطة جديدة للرخاء والنعيم ، سيكون أغلبه على الأرجح فى بلاد الفقراء المستضعفين .. وهنا الكارثة .

إذن سيبادر الغرب وجيوشة المتخمة تكنولوجيا "بإكتشاف " تلك الجنات الجديدة كما إكتشف " العالم الجديد" فى الأمريكتين وأستراليا . وسيلاقى السكان الحاليين نفس المصير،ولكن بوسائل اكثر تطور وحداثة .. وفتكا .

لذا نراهم حاليا: يريدون السودان (١٢٠ مليون فدان قابلة للزراعة) ومياه النيل أى يريدون سلة غذاء العالم . لأنهم فى الأغلب سيخسرون مزارع حبوبهم الشاسعة فى الولايات المتحدة وأستراليا وأوروبا ـ فلتكن السودان بديلا ، ونفط السودان تعويضا .

ويريدون أنهار دجلة والفرات وأراضى مابين النهرين سلة أخرى للغذاء ، ومخزنا هائلا للنفط ، وجزءاً تاريخيا من أرض الميعاد لليهود . وهم يريدون أنهار "سيحون وجيحون " فى آسيا الوسطى فهناك سلة غذاء شاسعة ، وبحار نفط هائلة .

بل ويريدون صحراء الربع الخالى ـ وهنا مفاجأة للبعض ـ حيث أن بها مخزونا هائلا من النفط ـ نعم كلنا يعلم ذلك ـ ولكن هناك مخزونات هائلة من المياة يتكتم عليها الأمريكان واليهود وآل سعود . لانها أيضا منطقة مرشحة لأن تتحول ضمن التغيرات المناخية القادمة من صحراء مرعبة إلى جنة لا مثيل لها على الأرض ـ وهذا يتطابق مع أحاديث نبوية لدى المسلمين .

إذن الفناء البيئى يزحف على الغرب/ وذلك هو الإرهاب الحقيقى الذى يخشاه**/ ولكنه سيصدره إلينا ، فتلك هى خبرته التاريخية ، ولن يحتاج من بين مئات الملايين من العرب والمسلمين إلا ربما لآحاد الملايين كأيدى عاملة لتنظيف الشوارع والمراحيض العامة .**

فالتكنولوجيا الراقية لاتحتاج إلى أيدى عاملة كثيرة، يكفى الآن لإدارة المزارع الشاسعة والمصانع المتطورة، أعداد قليلة من الصنف الأشقر ناصع البياض .

فهل لكل ذلك صلة بحرب المطاريد ؟؟ .

نعم بكل تأكيد لأن حرب المطاريد هى وسيلة التصدى الوحيدة المتاحة إلى الآن فى أيدى المستضعفين فى العالم ، وعلى رأسهم الأمة الإسلامية بما فيها العرب . وهل يدافع عن المستضعفين سوى أبنائهم المطاريد ؟؟.

فهل يدافع عن شعوبنا المنهوكة والمنهوبة هؤلاء القطط السمان؟ أم ذئاب الحراسة فى أجهزة القمع الأمنى ؟..إنهم شركاء للمفترسين، يكبلون الضحية وينهكونها نزفا وجراحاً حتى يسهل على الغرب الإجهاز عليها وإبتلاعهاعندما تحين ساعة الصفر.

إنهم أشد الأعداء وأخطرهم لأنهم الأكثر خداعا .. فهم من جلدتنا ويتكلمون بلغتنا ، ويصلون فى مساجدنا. " بل مساجدهم لأنهم سيطروا عليها" .

إن الغرب قد بسط يده بالفعل فى إبادة شعوبنا بوتيرة واضحة حاليا ، وستزداد وضوحا بمضى الوقت ـ وحتما ستكون كاسحة عندما تحين ساعة الإنقلاب المناخى، التى قد تزداد وتيرة بعض مظاهرها بشكل مباغت، خاصة الزلازل

والبراكين. " يرقد فى الولايات المتحدة أضخم بركان فى العالم قد ينفجر فى أى وقت . وساحلها الغربى مهدد بالخسف فى أى لحظة ، وتلك هى أقوالهم " .

عندها ستزداد وتيرة إبادتهم لشعوبنا حتى يحصلوا لأنفسهم على أرض وموارد جديدة تبقيهم سادة العالم فى أحقاب الإنقلاب المناخى الجديد الذى هو حتمى الحدوث حسب رأى علمائهم .

(العجيب أن السبب الرئيسى لكل ذلك هى الإسراف فى إستخدامهم لنفطنا الإسلامى المنهوب ، الذى هو عصب رفاهيتهم الحالية ، فخربوا بدخانه مناخ الأرض ، وهددوا حياة البشر وأصبح الكوكب نفسه مهددا فى وجودة.

إلى هذه الدرجة أوصل جشعهم وأنانيتهم العالم. وإلى هذه الدرجة أوصلنا الخنوع والإستسلام . فربما لو أننا قاومنا سيطرتهم علينا ونهب ثرواتنا النفطية لأنقذنا الجنس الإنسانى كله من الدمار الذى تحدثه حضارة الرجل الأوربى الجشع والأنانى وهو دمار سيطالنا نحن أيضا لأننا لم نقم بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعبيرها الأعلى فى تلك الحالة هو حرب المطاريد) .

***

فى الحروب الحالية التى تشنها علينا أمريكا وإسرائيل وحلف الناتو ، والحروب المستقبلية التى تلوح فى الأفق ، تتعرض شعوبنا لحملة إبادة حقيقية ، بوتيرة متفاوته من مكان إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر ، لكنها حملة ماضية بكل عزم فى طريقها.

إن مسئولية الدفاع عن الأمة ، إنما تقع على الأمة نفسها وعلى أبنائها من المطاريد. لأن الأنظمة والحكومات القائمة، كما بات معلوما للجميع هى طليعة لقوات الغزو الغربى علينا، ويده الممدودة إلينا بالبطش والتنكيل المبكر لتحطيم مقاومتنا وتكبيلنا أمام الهجوم حتى يفرضوا علينا الهزيمة والإستسلام .

هذه الأنظمة يجب إقصاؤها بأى وسيلة ممكنة ، ومحاكمة مسئوليها على جرائمهم فى حق هذه الشعوب: جرائم الفساد والسرقة والقتل والتعاون مع العدو الأجنبى وخيانة الشعب والدين والوطن والإفساد المتعمد للبلاد والأخلاق والبيئة والإقتصاد والتعليم والصحة العامة، ثم الدفاع والأمن اللذان تحولا إلى خدمة أعداءنا فى الخارج وليس حماية الوطن والدفاع عنه .

* فى حروبها الحالية والمستقبلية تحتاج شعوبنا إلى إمتلاك "أسلحة ردع" تشكل نوعا من الكبح لإندفاعة العدو نحو تدميرنا تدميرا شاملا، بحيث توجد نوعا من العقاب التدميرى ـ وإن كان لا يكافئ بأى حال مالدى العدو من قدرات تدمير شامل ـ إلا أنه يشكل تهديدا ما، ويضع أمامه عرقلة وتهديدا بالضرر الشديد .

لأن العدو أذا وجد الطريق أمامه مفتوحا إلى هذه الدرجة، فإنه سيمضى إلى آخر الشوط ولن يردعه شيئ. تماما كما فعل مع الشعوب البدائية التى قاتلها فى الأمريكتين وأستراليا وأفريقيا ، فلم يردعه شيئ عن إبادتها، تاركا منه مجرد "عينات" حتى يتفرج عليها السياح وتكون مصدرا للرواج السياحى والمتعة الثقافية .

وهذا ما يدور الآن فى فلسطين ، إنها إبادة تدريجية ، ولن يترك العدو فيها سوى نماذج بشرية فى محميات للكائنات المنقرضة. وهذا هو المصير فى العراق وأفغانستان ، والبقية تأتى تباعاً حسب برنامج يتحكمون هم فيه من حيث الزمان والمكان ووتيرة الإبادة ووسائلها .

{{ يطور العدو نوعا من الجراثيم المهلكة ، مستعينين بهندسة الجينات، بحيث تصيب وتقتل الأجناس غير البيضاء!! .. يريدون الكوكب كله لهم!! }}

لن يتوقف برنامج الدمار هذا مالم نواجه العدو بضربات تدميرية تفوق قدرته على التحمل .. وإن كانت لا تساوى ما يحدثه بنا من دمار.

بهذه الدرجة من القوة تكون درجة الإقتناع لديه . وإلا فإن البديل بعد عدة سنوات ـ تطول أو تقصر ـ ستتحول إلى مجموعة من المهرجين والقردة فى محميات سكانية يطوف علينا سياح أمريكا وأوروبا يلتقطون لنا الصور ويلقون إلينا بالعملات المعدنية والفول السودانى .

٠٠ إن إمتلاك قوات المطاريد لقدرات ردعية من أسلحة متطورة أشد فتكا أضحى ضرورة ومسألة حياة أو موت .

إن الحصول على نوعيات من "**أسلحة دمار شامل**" تتوافق مع قدراتنا المتواضعة جدا ماليا وعلميا وفنيا ، هو مسألة هامة لإقامة حاجز من الردع أمام العدو وعلينا أن نرفع هذا الحاجز بإستمرار لنجعل إمكانية أن يتخطاه الخصم أمكانية صعبة وعالية التكاليف

٠٠ ان العدو إذا وجد نفسه على حافة الهزيمة والخروج منكسرا من بلادنا ، وأن قوى محلية معادية له سوف تتولى زمام الأمور ، فإنه قد يفضل تدمير كل شيئ قبل أن يخرج مهزوما (كما فعل فى فيتنام التى مازال شعبها وأرضها تعانى من ضربات الأسلحة الكيماوية الأمريكية) .

٠٠ وحتى أنه إذا رأى أن قمعه للمقاومين من الشعب وأبنائه المطاريد أصبحت عالية التكاليف وأن إنتصاره النهائى قد يصبح بلا معنى، فإنه قد يستخدم أسلحة الدمار الشامل ، كى يدفعنا إلى الإستسلام السريع بدون أن يتكلف هو الكثير من الخسائر. وهذا ما فعله بالضبط مع اليابان فى الحرب العالمية الثانية حين رأى بسالة الجنود اليابانين فى دفاعهم من جزرهم الصغيرة فأدرك أنه قد يخسر كل جيشه قبل أن يستولى على الجزر اليابانية الكبيرة فضرب مدينتين يابانيتين بالقنابل النووية فإستسلمت اليابان كلها .

وأصبح العالم كله يرتعد أمام الجنون الأمريكى الذى يستخدم ببساطة أسلحة الدمار الشامل أمام دول فقدت جيوشها ولم تعد تشكل عليه خطرا. (وهذا ما يفعله الآن فى حروبه ضد دول وشعوب لاتمتلك أدنى مقومات الدفاع من نفسها كما فى أفغانستان والعراق).

ولكنها نظرية الرجل الخسيس، أو "الرجل المجنون" التى إخترعها الرئيس الأمريكى نيكسون وعبر عنها تقرير عسكرى أمريكى يقول :

(على الولايات المتحدة أن تقوم بإستغلال مخزونها النووى لتصوير نفسها على أنها لا عقلانية وحقودة إذا ماهوجمت مصالحها الحيوية. هذا ما يجب أن يكون جزءا من شخصيتنا القومية التى نبرزها لجميع الخصوم وعلى وجه الخصوص إلى الدول الشريرة) ـ **راجع كتاب صليب فى سماء قندهار ـ فقرة بعنوان :هامش حول مفهوم الغرب لأسلحة الدمار الشامل .**

أما نص نظرية نيكسون وبتعبيراته الأصلية فتقول:

((أعداؤنا يجب أن يدركوا أننا من المجانين الذين لا يمكن التنبؤ بتحركاتهم مع وجود قوة تدميرية هائلة بين أيدينا ، وحتى يقوموا بالإنحناء رعبا لإرادتنا)) .

• لم يعد مقبولا ، بل إنه إهمال جنائى ، أن تقوم حركة تحرر ، أو مقاومة مطاريد تواجه جيوشا غازية، أمريكية أو إسرائيلية أو لحلف الناتو، بدون أن تمتلك سلاحاً رادعا ، يحدد سقفاً نهائيا يدور الصراع تحته ولا يتخطاه .

وبعبارة أخرى رسم خط أحمر لا يمكن للعدو أن يتجاوزه بدون أن يواجه عقابا مؤلما لا يمكنه تحمله. فلا تصبح يده طليقة فى إستخدام أسلحة الدمار الشامل فى ثوبها التكتيكى الجديد ، والذى يستخدم على نطاق واسع فى العراق وأفغانستان .

▪ إمتلاك قدرات ردعيه من أسلحة الدمار الشامل ليست هى كل شئ ، فى تشكيل رادع فعلى . بل أن إمتلاك قدرة إيقاع أذى بليغ فى أهداف العدو الحساسة داخل أرضه تشكل رادعا لا يقل خطورة. سواء ضربت تلك الأهداف بأسلحة دمار شامل أو بوسائل أخرى.

إن القدرة على ضرب أهداف العدو الصناعية والمدنية هو جزء من إمكانات الردع .

▪ ولننظر مرة أخرى إلى تجربة حزب ا فى التصدى للحملة الإسرائيلية عليه وعلى لبنان فى صيف ٢٠٠٦م .

لقد حشد حزب ا كمية المفاجئات المذهلة لأعدائه ، كان أهمها قدرة جديدة على الردع تمثلت فى ذراع صاروخية طويلة ومدمرة طالت "بطنه الرخوة" فى الداخل الإسرائيلى ، أى تجمعاته السكانية ومراكزة الإقتصادية والصناعية .

فأسقط بذلك ـ ولأول مرة ـ نظرية الأمن الإسرائيلى القائمة على قدرة إسرائيل على هزيمة جيرانها ـ فرادى أو مجتمعين ـ فى حرب خاطفة مدمرة قصيرة تدور بالكامل على أرض الخصم. ذلك لأن تركيبتها السكانية نفسيا لا تتحمل العيش فى ظل خطر الموت ولو لفترات محدودة .

لقد تحطمت إذن نظرية الأمن الإسرائيلى فى أكثر من موضع ، أولا: موضع الحرب على أرض الغير، فللمرة الأولى تكون الحرب على أرضها ـ ولو صاروخيا.

وثانيا: مناعته داخلها وإستحالة ضربة، فقد ضرب العمق السكانى . ولأول مرة منذ إنشاء دولتهم يعيشون الخطر ويبيتون أياما متوالية فى مخابئ تحت الأرض.

إن تحطم نظرية الأمن الإسرائيلى. هى مقدمة طبيعية لتحطم هذه الدولة نفسها وسقوطها. وبالفعل لقد عاد آلاف اليهود إلى مواطنهم الأصلية، والآلاف فروا أثناء

الحرب وعادوا إلى نيويورك، ورغم وفود الوساطة والتطمين، رفض هؤلاء العودة مرة أخرى إلى أرض الميعاد ولو لمجرد الزيارة، ولو لأيام قليلة.

* *

إذا كانت أنظمة الخيانة العربية لاتشكل تهديدا لإسرائيل، بل هى ضمانة أمن لها من ضربات "المطاريد". والأنظمة فى الدول الإسلامية ليست أفضل حالا إذ قطعت علاقتها بفلسطين ـ بناء على طلب من أمريكا والدول العربية ـ وهى تنتظر اليوم الذى تقطع فيه علاقة شعوبها بالإسلام نفسه ، ولكنها لم تستطع ذلك إلى الآن ، وتحتاج إلى وقت أطول .

•• ولكن حركات "المطاريد" فى فلسطين وما حولها ، فى العمق الإسلامى ، جميعا أو منفردة ، قادرة على السير على خطى حزب ا ، وضرب نظرية الأمن الإسرائيلى ، وتهديد العمق الإسرائيلى بعنف ولمدى طويل بالضرب فى البطن الرخوة ، وبأسلحة غير تقليدية ، شديدة أو منخفضة التطور.

إن مناطق التكدس السكانى فى إسرئيل لن تكون محصنة أمام أسلحة دمار شامل يصنعها حتى مبتدئون ، والذين يصنعون صواريخ فلسطينية مقاومة، يمكنهم صنع الكثير الذى يكفى بعضه لإعادة الشعب اليهودى إلى الشتات الذى جاءنا منه .

إن فلسطين هى ببساطة ـ ورغم كل أنظمة الحكم فى العالم ، هى أرض إسلامية ملك لجميع المسلمين ، وشعبها جزء صغير من أمة تخطى تعدادها المليار.

ويمكن فرض ذلك الواقع على العرب والمسلمين والعالم. إذ يمكن إتباع تكتيك الروس فى مواجهة أعدائهم الغزاة القادمين من أوروبا بأن ينسحبوا أمامهم بشكل إستراتيجى تاركين أراضى شاسعة محروقة لا تفيد بشئ ، وعندما يشعر الغزاة بالإنهاك يحين موعد الهجوم المعاكس الذى يبيد الجيش الغازى المتفوق تكنولوجيا .

بإمكان المسلمين إخلاء فلسطين إخلاء إختياريا ، ثم إحراقها على رؤس اليهود ، فلا يتمكنون من شرب الماء أو تنفس الهواء أو زراعة الأرض او السكن فى بيت . عندها يترك اليهود أرض فلسطين إما بالعودة إلى الشتات ، أو بالتوسع إلى أرض جديدة من دول الجوار .. وهناك ينتظرهم حزب ا إسلامى عربى واحد هائل التعداد والإمكانات والتصميم ، لن يكونوا هم فقط ضحاياه بل كل أنظمة الحكم العربية وكل "مصالح" الغرب الإستراتيجية فى كل المنطقة الإسلامية .

•• إمتلاك أسلحة ردع ـ للدمار الشامل ـ أصبح بديهه لكل حركة مقاومة جادة، لها قيادة تحترم نفسها .

فى فترة الحرب الباردة كانت حركات المقاومة تتمتع بنوع من مظلة الحماية النووية السوفيتية ، تقيهم من الرجل الأمريكى المجنون الحقود على حد وصفهم لأنفسهم ـ والخسيس التافه على حد قولنا ـ فلم يكن ممكنا لكلا الطرفين الأمريكى أو السوفيتى أن يغامر بإستخدام سلاحه النووى ولو "تكتيكيا" . والآن بعد زوال القطب السوفيتى الموازن على الطرف الآخر، إنقلبت الموازين ، وصارت الأسلحة النووية التكتيكية

فى صدارة الإستخدام الأمريكى العدوانى ضد دول غاية الضعف والتفكك بل على شفا الإنهيار كما فى أفغانستان والعراق .

على المقاومين فى حروب المطاريد إمتلاك أسلحتهم الخاصة بالدمار الشامل مهما كانت بدائية بسيطة أو معقدة متطورة ، فحتى هذا أيضا فى الإمكان .

ومن الملفت جدا للإنتباه ذلك التحذير الذى أطلقه السيد حسن نصر ا فى الذكرى الأولى لإنتصاره ـ وإنتصار المقاومة ـ على إسرائيل. لقد قال "السيد" أنه إذا فكرت إسرائيل فى العدوان على لبنان مرة أخرى فإن لدى حزب ا "مفاجآة" يمكنها تغيير مصير الحرب والمنطقة .

يعلمون أن الرجل صادق وقد عودهم على ذلك فى حربه. وهم يصدقونه أكثر مما يصدقون أنفسهم ـ لذا صمتوا ولو يعلقوا ، وكأن على رووؤسهم الطير إنهم يعلمون ماذا يعنى بكلامه ، وبكل المصداقية التى يملكها.

إنه يمتلك أسلحة دمار شامل (حسب إعتقادنا)، وهو قادر وعازم على إستخدامها فى جولة قادمة ـ يحذرهم أن يبدؤها .

وهذا هو الردع ـ بأسلحة الدمار الشامل ـ الذى تحدثنا عنه خلال تلك الوريقات فهو القدرة التى تجعل الرجل الأمريكى المجنون والطفل الإسرائيلى السفيه ، كائنات عقلانية جدا .

٠٠ من الآن فصاعدا على الشعوب العربية ـ تحديدا ـ أن تنتزع من أنظمة حكمها الفاسدة ، حق تقرير المصير ، وحق الدفاع عن النفس .

فهذه الأنظمة هى أنظمة إحتلالية بكل معنى الكلمة . والتخاص منها بأى شكل كان وأى وسيلة ممكنة ، هو الخطوة الأولى للحصول على الحرية والعدل والكرامة الإنسانية لشعوب المنطقة. بل أن التخاص من تلك الأنظمة هو الخطوة الأولى للحفاظ على بقاء الأمة ووجودها فى مواجهة حملات الإبادة الصليبية/ الصهيونية، القائم منها والقادم.

....

<u>الجزء الثانى:</u>

حرب العصابات طويلة الأمد

....

تمر حرب العصابات طويلة الأمد بثلاث مراحل، لكل منها إستراتيجية عمل واضحة المعالم متميزة عما سواها. هذه المراحل الإستراتيجية هى:

١ ـ مرحلة الدفاع الإستراتيجى.

٢ ـ مرحلة التوازن الإستراتيجى.

٣ ـ مرحلة الهجوم الإستراتيجى.

أبرز الأمثلة التى إستكملت تلك المراحل هى الصين فى حربها ضد اليابان والحكومة الوطنية المستبدة الفاشلة. وحرب فيتنام ضد الفرنسيين ثم الأمريكان. وحرب الأفغان ضد السوفييت،ثم حربهم الحالية ضد الأمريكان وحاف شمال الأطلنطى.

لابد أن نلاحظ هنا أن هذا النوع من الحروب يلزمه بلاد تتمتع بعمق جغرافى متسع، وتضاريس وعرة تناسب رجال العصابات، مثل الجبال والغابات ومناطق المستنقعات، والأرياف كبيرة المساحة.

هذا وفى حال عدم توافر الشروط الملائمة التى ذكرناها، يلزم عندها إدخال تغييرات جوهرية فى إستراتيجية الحرب، فالشعوب لاتستسلم، ويجد المطاريد سبيلهم دوما إلى طرق المقاومة المناسبة. و سوف نتكلم عن أمثلة ذلك فى موضع لاحق.

وبشكل تلقائى تفرضه موازين القوى يبدأ المطاريد نشاطهم من المناطق الوعرة التى توفر لهم وعورتها قدرا من المناعة الطبيعية، وهى مناطق يكون التواجد الحكومى فيها ضعيفا.

يلاحظ أن الإنتقال من مرحلة إستراتيجية إلى مرحلة أخرى لايتم بقرار إدارى، بل يكون طبقا للظروف الموضوعية، ومواصفات سوف نستعرضها فيما بعد. ولا تمر كل أرجاء البلاد بنفس مراحل تطور العمل العسكرى، فغالبا ما يتم حسم الحرب بينما هناك مناطق تراوح فى مرحلتها الثانية أو حتى الأولى.

كذلك الشروع فى حرب مطاريد لايتم طبقا لقرار إدارى من أى أحد، بل يحدث طبقا لشروط تتوافر للمجتمع، ساسية وإجتماعية ونفسية. ولايمكن لجهة ما أن تقرر شن الحرب بدون أن تكون شروطها الموضوعية قد توافرت ونضجت بالفعل.

وأى تعجل يؤدى إلى الفشل حتى ولو توفر لدى الجهة المتعجلة كميات مغرية من السلاح والأفراد والدعم الخارجى.

وإتخاذ قرار شن الحرب، كما قرار الإنتقال من مرحلة من مراحل الحرب إلى أخرى، لهى قرارات على درجة من الخطورة يتوقف عليها مصير الحرب من نجاح أو فشل. وفشل يصيب حربا للمطاريد غالبا ماتتبعه حالة إحباط قد تستمر عشرات السنين. وأيضا يطال الفشل القيادة التى تصدت لذلك العمل، فهى لن تجد أحدا يتبعها بعد ذلك.

أولا ـ مرحلة الدفاع الإستراتيجى

****

A ـ الإستراتيجية:

إستراتيجية المطاريد:

فى هذه المرحلة يكون المطاريد فى وضعية عامة دفاعية.

ونقول أنهم فى حالة دفاع إستراتيجى.

فتحركهم مازال فى بدايته وينقصهم التسليح والخبرة. وقطاعات كبيرة من الشعب ما زالت مترددة أو فى شك من النجاح، خائفين من بطش النظام.
يتفادى المطاريد فى هذه المرحلة أى مواجهة عسكرية مباشرة أوحاسمة.

إستراتيجية العدو:

النظام الإحتلالى يعمل بكامل طاقته الوحشية فى القتل والتدمير للقضاء على حركة المطاريد وهى ما زالت فى مهدها. فتجعل المطاريد ومناصريهم عبرة لمن يعتبر من الناس، حتى لا يتجرأ أحد من الشعب على رفع رأسه مرة أخرى، أو التفكير فى العصيان.

يكون تنكيل قطعان الذئاب القمعية بشعا، وخارج أى أعراف إنسانية أو قانونية سوى تغطية من قوانين الطوارئ والأحكام العرفية. ويمارس النظام عمليات القتل خارج نطاق المحاكمات حتى العسكرى منها، وهى محاكم إنتقامية لاتكاد تغيب من ساحة "العدالة". ويصبح التعذيب معاملة عادية فى السجون والمعتقلات، بل ينتقل إلى العلن أمام الناس خاصة فى المناطق البعيدة أو وحيثما غابت أعين الإعلام، فيما عدا الإعلام الحكومى الذى يديرة المرتزقة من أعوان النظام.

بإختصار، **يكون النظام فى حالة هجوم إستراتيجى شامل**، يقذف فيه بكامل طاقته، بهدف أساسى هو: إنهاء المعركة فى أقصر وقت ممكن. ويكون متشوقا بحرقة للمواجهة العسكرية المباشرة، التى لا يملك المطاريد أى فرصة للفوز فيها.

{{ رغم أن المجموعة قليلة العدد يمكنها أن تقاتل بضراوة، لكن سيتم أسرها من قبل القوات المعادية الأكثر عددا ـ **صن تزو**}}ـ هذا بالطبع إذا كانت المواجهة مباشرة.

الوقت: هو السلعة الجوهرية التى يتصارع حولها الطرفان إستراتيجيا.

فالمطاريد يريدونه زمنا ممتدا، حتى يتمكنوا من بناء قواهم الذاتية من خلال الصراع. وهم يخوضون صراعا تكلفته المالية منخفضة جدا ، إذا ما قورنت بالتكاليف الباهظة التى يتكبدها العدو فى تدوير آلته العسكرية العملاقة. ولأنهم مدافعون وليسوا مهاجمين يديرون حملة هجومية كما يفعل عدوهم الصائل، لذا نراهم يجبرون عدوهم على أن يعمل عكس نصائح "صن تزو" القائلة:

{{ إذا طال أمد حملتك العسكرية، فموارد الدولة لن تواكب نزيف النفقات العسكرية}}...

{{ لاتوجد سابقة تاريخية تذكر أن بلدا ما إستفاد من دخولة حربا طويلة}}.

وهى نصائح مازالت صحيحة تماما وتشهد عليها فى تجاربنا المعاصرة فى الحملة السوفيتية على أفغانستان والحملة العسكرية الأمريكية على أفغانستان والعراق، وكلها حملات عسكرية تمكن المطاريد من إطالتها لدرجة تمكنوا فيها من:

١ ـ بناء قواهم الذاتية.
٢ ـ أيقاع أذى بليغ فى إقتصاد العدو بإستنزاف موارده المالية.
٣ ـ هبوط معنوى حاد لدى جنودة.
٤ ـ ظهور الخلاف فى صفوف حلفائه.

إختصارا، لقد أرغم المطاريد عدوهم على مخالفة قواعد "صن تزو":
فأطالوا أمد حملته العسكرية المكلفه فذبحوا عدوهم "**إستراتيجيا**" بسكين الوقت.
ثم إستنزفوا "**تكتيكيا**" جميع دمائة نقطة نقطة، بألف جرح صغير.

......

B ـ التـكـتـيـك:

تكتيكات المطاريد فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى:
يسعى العدو إلى حسم عسكرى سريع. ويكون مهاجما على المستوى الإستراتيجى.
والمطاريد لايستطيعون إيقاع هزيمة سريعة بعدو فائق الضخامة. فيتجنبون المواجهات الحاسمة، ويبقون فى وضعية دفاعية على المستوى الإستراتيجى.
ولكن الصورة في المجال التكتيكى تختلف تماما.
فالمطاريد يتميز أدائهم التكتيكى بالآتى:
١ ـ الهجمات السريعة الخاطفة.
٢ ـ الهجمات الكثيرة على أوسع مساحة ممكنة.
٣ ـ إنهاء الهجمات قبل أن يبدأ العدو هجومه المعاكس، بل قبل أن يتدخل سلاح طيران العدو.
٤ ـ جميع هجمات المطاريد لاتخرج عن أن تكون كمائن، أو غارات.
5 ـ لايوجد فى قاموس المطاريد فى هذه المرحلة شئ إسمه الدفاع. (مالم يفرضه طارئ الدفاع عن النفس).
إختصارا نقول: فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى يكون المطاريد فى وضع إستراتيجى دفاعى، ولكنهم تكتيكيا فى وضعية الهجوم الدائم.
أما العدو فيكون فى حالة هجوم إستراتيجى، ولكنه تكتيكيا لايجد عدوا يجابهة، فهو يخوض معارك أشباح. فلا يجد فرصة لإظهار قدراته ومهاراته التكتيكية.
إضرب وإهرب:
هذا هو الشعار التكتيكى الأشهر لهذه المرحلة من الدفاع الإستراتيجى.
فالضربات سريعة ، عنيفة، وخاطفة. يعقبها إنسحاب سريع الهدف منه تفادى ردة فعل العدو، بالذات ردات الفعل الجوية التى تحتاج عدة دقائق حتى تبدأ.
ومن الخبرات الهامة التى يكتسبها المطاريد بالتجربة هو معرفة الوقت اللازم لوصول الطائرات إلى مناطقهم ، وبالتالى يمكنهم قياس الوقت المتاح لهم لشن الهجمات. وبالطبع فإن الطائرات النفاثة تكون أسرع وصولا من طائرات الهيلوكبتر. ولكن الأخيرة أكثر خطورة على المطاريد، ومن السهل تعلم طرق التغلب السلبى عليها، أى بدون إمتلاك مضادات لها.

هذه الخبرة هامة جدا لهم حيث أن الطيران هو أخطر ما فى ترسانة العدو العسكرية، ويبقى كذلك طول مدة الحرب. ولكل مرحلة طرقها الخاصة لمجابهة طيران العدو. كما سنرى ذلك فى مواضعه. وبوجه عام يتأثر العمل التكتيكى للمطاريد طول مراحل قتالهم، بحقيقة سيطرة العدو تماما على سماء المعارك.

وهو وضع يستلزم عناية تكتيكية فائقة، كما أنه وضع لايستوجب الحسد.

فهناك قاعدة شهيرة تقول: (إن الطيران يتسبب فى الكثير من الإزعاج ولكنه يوقع القليل من الضحايا). والكلام هنا عن المقاتلين وليس المدنيين الذين هم أكثر ضحايا الطائرات. وبشكل متعمد يطبق العدو سياسة ثابتة تعرف بسياسة الأرض المحروقة، أى طرد السكان من قراهم لحرمان المطاريد من الدعم الشعبى.

٠٠ تكتيكات المطاريد هذه تجعل العدو فى حالة توتر وعصبية زائدة. فيتصرف بعنف وهستيرية، لدرجة تجعل المطاريد جديرين بهذا اللقب. فالعدو يطاردهم بكل قسوة باحثا عنهم تحت كل حجر وشجر.. ولكن بلا فائدة، فهم لا يظهرون إلا عندما يقررون هم ذلك، وحيث لايتوقعهم العدو، وبالكيفية التى لايرغب فيها أو يتوقعها.

ولكنه يذيع دوما معلومات كاذبة عن إنتصارات موهومة، وضحايا وقتلى من المطاريد، وحالات إستسلام كبيرة فى صفوفهم، ويطلق عليهم أبشع الأوصاف التى يمكن إنتزاعها من القواميس، مثل الأشرار والفئة الضالة والإرهابيين وقوى الظلام..، ويتكلم عن تعاون الجمهور مع قوات العدو المحبوب، وجرائم المطاريد ضد الأهالى الأبرياء، إلى آخر أساليب الحرب النفسية.

* وحشية العدو وحالته العصبية، وأكاذيبه المفضوحة ، تؤدى كلها أعظم الخدمات للمطاريد، إذ تزداد النقمة على العدو وترتفع وتيرة التطوع فى قوات المطاريد مع تزايد شتى أنواع الدعم الشعبى لهم فى كافة المجالات ، فتتزايد قوتهم ويقتربون تدريجيا من عبور مرحلة الدفاع الإستراتيجى.

* تكتيكات المطاريد فى هذه المرحلة لها جاذبية خاصة لدى جمهور الناس إذ تتجلى فيها الشجاعة الخارقة وسرعة البديهة والذكاء المبدع. كثيرون جدا جذبتهم تلك الميزات إضافة للسلوكيات الرفيعة للمطاريد، إلى الإنضمام إليهم.

* تكتيكات المطاريد فى هذه المرحلة تبقى قوات العدو فى حركة دائمة وطائراته تشغل الأجواء بشكل مستمر, وقواته الخاصة تركض من ساحة إلى أخرى وطوابير المشاة المدعومة بالمدفعية والدبابات تشن الحملة تلو الأخرى تحت مظلة جوية مرعبة تثير حمية الجنود وتخيف الأهالى، ولا تمس المطاريد بسؤ.

العدو إذن يأخذ نظامه وقواته إلى حافة الإنهاك. وهذا تماما ما يسعى إليه المطاريد وينتظرونه بلهفة كى يطوروا عملهم وينتقلوا إلى مرحلة إستراتيجية تالية، تدعى مرحلة التوازن.

٠ كلما زاد تطور وتعقيد الآلة العسكرية للعدو، زادت تكلفتها المالية بشكل يصعب تخيله. لذا نرى أمريكا فى حروبها الحالية فى أفغانستان والعراق، تستخدم جيوش

حلفائها دروعا بشرية لقواتها، وتستخدم الجيش المحلى كقوات مقاتلة منخفضة التكاليف، وتكتفى القوات اللأمريكية بدور الداعم لقوات حاف الأطلنطى الحليفة و القوات المحلية.

ومع هذا تبقى التكلفة المالية خارج نطاق التصور، إذا قورنت بتكلفة الحروب المشابهة فى مرحلة الحرب الباردة. وبشكل تقريبى يمكن حساب تكاليف الجيش الأمريكى والإسرائيلى لمدة شهر، فى أى مسرح عمليات على حده: أفغانستان ، العراق، لبنان، ونقول أنه يعادل تقريبا إنفاق الجيش السوفيتى أثناء قتاله فى أفغانستان لمدة عام ونصف.(أنفق السوفييت ٥ مليار دولار كل عام فى افغانستان)

لهذا فإن تكتيكات المطاريد القتالية أثناء مرحلة الدفاع الإستراتيجى، القائمة على شعار إضرب وإهرب، أثبتت فعالية كبيرة جدا فى مواجهة الجيوش المتخمة تكنولوجيا، بل أن أهميتها زادت عن ذى قبل لأنها تشكل إستنزافا غير مسبوق لموارد الدولة المعتدية، ونفسيات جنودها الذين خاب أملهم فيما كان يمكن أن توفره لهم التكنولوجيا المتطورة من مناعة ضد الموت وإمكانات النصر الخاطف بلا حرب حقيقية، خاصة ضد أعداء مازالو يحبون على أولى مداخل التكنولوجيا البدائية.

<u>الإنتشار والتركيز:</u>

واضح مما سبق أن الإنتشار هو أحد المبادئ التكتيكية لقوات المطاريد فى مرحلتهم الأولى تلك. فالإنتشار يزيد من رقعة عدم الإستقرار التى تواجه النظام الإحتلالى، وتجبره على نشر قواته فتصبح أضعف وأقل فعالية. إذا تحقق ذلك يجمع المطاريد قواتهم ويوجهون ضربة قوية فى أضعف النقاط. وحتى يحافظ على هيبته وعلى معنويات جنوده، فإن العدو يجمع قواته بسرعة لتوجيه ضربه مضادة ويطارد المهاجمين. ولكن هؤلاء يكونوا قد غادروا المنطقة وانتشروا، تاركين العدو يبحث عن سراب. فى مثل تلك الحملات الإنتقامية المعادية، والهادفة إلى إستعادة الهيبة، تكون ملاحظات "ماوتسى تونج" ذات أهمية خاصة. وفيها يقول:

{ إذا هاجم العدو فإننا ننسحب أمامه. ,وإذا نصب خيامة كى يعسكر فإننا نناوشه. أما إذا بدأ ينسحب فإننا نهاجمة}.

أما أستاذه "صن تزو" فقد أورد مجموعة من النصائح غاية الأهمية، تصلح جميعها لحروب المطاريد، فى شتى مراحلها وبالذات مرحلتها الأولى، كما تصلح لأى حرب تقليدية. فيقول:

كل الحروب قائمة على الخدعة. إذن:
عندما تكون قادرا على الهجوم، لابد أن تظهر أنك غير قادر عليه.
عندما نستخدم قواتنا، لابد أن نظهر أننا غير فعالين.
عندما نكون قريبين لابد أن نجعل العدو يعتقد بأننا بعيدين.
عندما نكون بعيدين لابد أن نجعله يعتقد بأنا قريبين.
ضع طعما لإستدراج العدو.
إخلق (لدى العدو) حالة من عدم النظم، ثم إطحنهم.

إذا كان العدو أعظم منك قدرة، فتجنبه.
إذا كان عدوك عصبى المزاج، إزعجه.
تظاهر أنك ضعيف حتى يزيد من إهماله.
إذا كان فى حالة إسترخاء، لاتتركه يستريح.
إذا كانت قواته متحدة، فرقها.
هاجمه حيث لا يكون مستعدا.
إظهر حيث لا يتوقعك أحد.
الجنرال المنتصر هو الذى يجرى كل حساباته قبل نشوب المعركة.
الجنرال المهزوم يجرى القليل من الحسابات قبل المعركة.
الحسابات الكثيرة تقود إلى النصر، والحسابات القليلة تقود إلى الهزيمة.
" وكم من الناس لايجرى أى حسابات".

البرغوث والكلاب:

باحث أمريكى وصف حرب العصابات بأنها حرب البرغوث ضد الكلاب.
فالكلاب قوى وضخم الجثة، بينما البراغيث صغيرة وضعيفة كثيرة العدد، تؤذى الكلاب وتنتشر فى كل جسده. الكلاب يقاوم البراغيث بموجات من الهرش الشديد الذى يدمى جسده ولا يقتل إلا القليل من البراغيث. يستمر الوضع هكذا حتى يسقط الكلاب من الإعياء.
تلك الصورة التقريبية تكون صحيحة فقط فى المرحلة الأولى من الحرب.أما فى باقى المراحل فإن البراغيث "المطاريد" يصبح لها مخالب وأنياب، وتوجه ضربات ساحقة لعدوها حتى تطرحة أرضا فى النهاية. والكلاب الذى كان نشيطا فى بداية الحرب تفتر همته تدريجيا وينتابه الإنهاك من المجهود المبذول والدماء النازفة. فتنامى قوة البراغيث وزيادة عددها يقابله ضعف وفتور قوة الكلاب.

الإبداع الشعبى:

تتميز المرحلة الأولى من حرب المطاريد "الدفاع الإستراتيجى" بجاذبية خاصة لدى الكتاب والدارسين، حتى أنهم يكتبون عنها بطريقة رومانسية. وهى بالفعل كذلك رغم مشاقها وقسوتها فى أكثر الحالات.
من مزايا المرحلة الأولى تلك هو شعبيتها الزائدة، بمعنى قدرة الكثيرين على خوض غمارها وبتفوق. حيث تعتمد على قوة الإيمان والعزيمة والقدرة البدنية والإبداع الفطرى، أكثر من إعتمادها على المعدات المعقدة والدراسات الأكادمية المتقدمة.
لذا نرى فى صفوف القادة الميدانيين البارزين الكثير من أبناء الطبقات الشعبية وحتى الكثير من الأميين. وفى أفغانستان رأينا بين هؤلاء العباقرة المغاوير تنوعا هائلا من أبناء الطبقات الشعبية. فكان للرعاة مكانا متميزا فى الصدارة. وحافظوا على تميزهم فى باقى مراحل الحرب ولكن فى إطار العمليات الخاصة، وليس فى صفوف قيادات

الحرب العليا. ولم يكن هناك ما يمنع من ذلك لو توافرت للمتميزين منهم ظروفا مواتية لصقل مواهبهم بالمعارف الضرورية. فى مراحل الحرب كان هناك دوما قادة ممتازون من بين طبقة علماء الدين والمدرسين والأطباء والمهندسين والضباط السابقن. وإن ظل لعلماء الدين التواجد الأكبر بالنسبة لباقى الفئات.

علماء ومطاريد:

الإيمان هو روح هذه الحرب وزادها الدائم. وبما أنها حرب طويلة الأمد وعظيمة التكاليف والتضحيات والآلام، فإن التفاوت بين الأفراد خلالها يعود إلى التفاوت فى درجة الإيمان، بحيث لايتمكن من العبور إلى الشاطئ الآخر من الحرب إلا من إمتلك رصيدا كافيا من العمر، ورصيدا كبيرا من الإيمان.

بل أن قرار إعلان الحرب فى ظل ذلك التفاوت الرهيب فى القوى المادية، يحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة والإيمان. لهذا يتبوأ هؤلاء الأوائل مكان الصدارة فى القيادة.

* ورأينا فى أفغانستان أن إعلان الجهاد ضد النظام الشيوعى والجيش السوفييتى، قام به علماء الدين الذين تصدروا صفوف المجاهدين، فتابعهم الشعب إعترافا بعلمهم وشجاعتهم، فكانوا له قدوة ومثالا. وقد إستشهد أكثر هؤلاء والقليل منهم وصل إلى خط النهاية. ومن هؤلاء من وصل إلى درجة عالية من القدرة القيادية فى العمل القتالى الميدانى. حتى أن الإنجاز العسكرى الأهم فى تلك الحرب والدال على وصول المجاهدين إلى المرحلة النهائية من حروب العصابات، أى مرحلة الهجوم الإستراتيجى، وتعبيرها الوحيد هو إقتحام المدن الرئيسية بهجوم عسكرى، ذلك الإنجاز الضخم تم فى مدينة خوست، على يد أحد علماء ذلك الرعيل الأول من العلماء المجاهدين ، وهو جلال الدين حقانى. وكان برفقته عدد من أبناء جيله، و عدد من العلماء الشباب، والقيادات الميدانية الممتازة من طبقات متعددة ومهن شتى.

* والذى بدأ الثورة على نظام كابول الفاسد عام ١٩٩٤، كان الملا محمد عمر. الذى بدأ ثورته ومعه خمسة عشر شابا من طلاب العلوم الشرعية "طالبان". وإستطاع بهم وبتأييد شعبى كاسح، الإستلاء على معظم البلد فأقام حكما مستندا إلى الشريعة الإسلامية، إستدعى تدخلا أمريكيا أوروبيا لإسقاطة فى حرب عام ٢٠٠١، بدعوى مكافحة الإرهاب الذى تدعمه حركة طالبان.

* ومن جديد يقود الملا محمد عمر حركة طالبان والشعب الأفغانى فى جهاده ضد قوات أمريكا وحاف الأطلنطى، فأوقع الأعداء فى ورطة يقول عنها خبراؤهم أنها أكبر وأخطر من ورطتهم فى العراق.

* وحركة الجهاد فى فلسطين رفع رايتها حديثا الشيخ أحمد ياسين، الذى لم يكبله الإعتقال، ولا أزاحة الإغتيال من ساحة الفعل الجهادى، لأنه ترك خلفه حركة وزخما جهاديا قابلا للإستمرار رغم كل الخيانات العربية التى تحبط أمضى العزائم.

الغارة والكمين:

لا تخرج عمليات المطاريد فى هذه المرحلة عن صورتين هما: الغارة والكمين.
الغارة تكون على المواقع المعزولة والضعيفة. ويستطيع المجاهدون فى معظم الحالات تجميع قوة متفوقة عدديا، وأحيانا متفوقة فى قوة النيران.
{{ يمكنك التقدم بطريقة تجعل مقاومتك مستحيلة إذا قصدت نقاط ضعف العدو. ويمكنك التراجع والنجاة من مخاطر مطاردة العدو لك، إذا كانت تحركاتك أسرع من تحركات العدو ـ صن تزو}}
وعن هذا يقال أنه فى تلك المرحلة يكون العدو متفوقا عدديا على المستوى الإستراتيجى. ولكن على المستوى التكتيكى يستطيع المطاريد تحقيق تفوق عددي.
أما الكمين فهو يستهدف قوات العدو المتحركة على الطرقات، وهذه هى أضعف الحالات التى تكون فيها أى قوة.
بالطبع تكون الطرق البعيدة أو الأشد وعورة لها ميزة وأفضلية لنصب الكمائن.
والقوافل الصغيرة أوضعيفة الحماية يكون لها الأولوية وهى أفضل من القوافل الكبيرة قوية الحماية.هذا إلا إذا كانت طبيعة الأرض تساعد على نصب كمين لقوة كبيرة، مع قدرة على إستيعاب ضربات الطيران مع محدودية قدرة آليات العدو على الحركة.
وقد حدث ذلك كثيرا فى أفغانستان. وبعض تلك الكمائن كان غاية النجاح، زود المجاهدين بغنائم هامة، ولكنهم أيضا فقدوا شهداء مهمين، ربما لأن الخبرة كانت تنقصهم. ولم يكن لديهم وقتها أسلحة مضادة للدروع أو الطائرات. ومع هذا كانت كمائنهم فعالة.
<u>ولننظر إلى ما قاله صن تزو فى تحبيذه لحالات الكمائن:</u>
{{ الطرف الذى يصل إلى ميدان القتال أولا، وينتظر قدوم عدوه إليه، سيكون أكثر إستعدادا للقتال. بينما من يصل ثانيا سيجب عليه التعجيل للقتال وسيصل منهكا مرهقا}}
{{ بذلك يفرض المقاتل الماهر رغباته على العدو، ولايدع العدو يفرض رغباته عليه}}
{{عن طريق تحفيفه للأسبقيه يمكنه إجبار العدو على الإقتراب منه كما يريد له، أو يجعل من أمر الإقتراب منه مستحيلا}}

<u>تسليح المطاريد فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى:</u>
يعتمد المطاريد فى هذه المرحلة على الأسلحة الخفيفة، والقنابل اليدوية والألغام المضادة للأفراد والدبابات، والمتفجرات وأجهزة التفجير بأنواعها.
للصواريخ أهمية كبيرة إذا توافرت، ويمكن العمل بدونها فى هذه المرحلة. ولكن لاغنى عنها فى المراحل الإستراتيجية التالية.
والتسليح مرتبط إرتباطا وثيقا بالتكتيك. والتدريب على إستخدام السلاح لابد أن يصاحبه التدريب الصحيح على التكتيكات المناسبة لحرب العصابات تحديدا.
فالسلاح فى يد الجندى النظامى وفى يد مجاهد المطاريد قد يكون ظاهريا هو نفسه. ولكن تكتيكات الإستخدام تختلف كثيرا، والإحساس بالسلاح شديد الإختلاف.

إختلاف التكتيك فى أفغانستان رأيناه فى أوضح صورة فى مجال الأسلحة الثقيلة. خاصة المدفعية وراجمات الصواريخ والدبابات. لقد حقق المجاهدون أروع النتائج بل تمكنوا من إقتحام مدينة خوست عندما إستخدموا تلك المعدات طبقا لأسلوب قتالهم الخاص وبمزاجية مقاتل العصابات المتمرس.
ننتقل إلى إلى تعلق المجاهد بسلاحه. فهناك علاقة محبة حقيقية بينهما. ومن السهل معرفة حقيقة المجاهد والحكم عليه من ملاحظة علاقته مع سلاحة.
لقد رأينا فى جبهات أفغانستان من يبيت فى البرد بلا غطاء، ويوفر ما لديه منها حتى يحمى مدفعه من البرد والمطر. وينظف سلاحة يوميا ربما عدة مرات، بينما هو لاتتاح له فرصة الإستحمام سوى مرة كل أسبوعين أو أكثر.
وقد رأيت مجاهدا "شهيدا" من الحجاز يخاطب سلاحة "الجرينوف" قائلا له وعيناه تغرورقان بالدمع: " وا   إنى أحبك فى ا ".
<u>السلاح فى يد المجاهد ليس جمادا، بل هو كائن حى، يشعر ويتجاوب ويشد الأزر ويضحى. هو الآخر ليس سلاحا تقليديا، بل هو مجاهد وأخ فى ا ، و هو مثل صاحبه: مطارد من المطاريد.</u>
تظل حركة المطاريد تمتلك من الأفراد أضعاف ما تمتلك من أسلحة. ولكن المشكلة الأخطر والأعوص هى مشكلة الذخائر. وهى مشكلة تستمر طول مدة الحرب. فى أواخر الحرب تشتد الحاجة إلى الذخائر الثقيلة ويؤثر تواجدها أو شحتها على مسيرة المعارك وربما على نتيجة الحرب نفسها. (**راجع كتاب فتح خوست**)
هناك طريقتان أساسيتان تعتمدهما حركة المطاريد لتخفيف أزمة الأسلحة والذخائر أو حلها، طول مدة الحرب.
الأولى: رفع مستوى التدريب للأفراد والقيادات، لتحسين مستوى الأداء القتالى والتخطيط للعمليات.
فإذا توفر المجاهد جيد التدريب، والقائد الخبير، يقل إستهلاك الذخائر إلى درجة لايتصورها كثيرون. وتزداد النجاحات العسكرية.
الثانية: جعل الحصول على على الغنائم من أسلحة وذخائر وطعام، هدفا أساسيا فى المعارك. **(هذا ما قال عنه صن تزو: إستخدام قوة العدو المقهور لزيادة قوتنا)**
إن المخططين والقادة يستهدفون أماكن تلك المواد لتزويد رجالهم بها. ويتجنبون العمليات التى لاعائد منها، إلا إذا كان ورائها أهدافا أخرى، سياسية أو دعائية أو قيمة عسكرية كبيرة.
{{القائد الحكيم يعتمد على العدو كمصدر للطعام والمؤونة. فعربة واحدة محملة بمؤونة العدو، تعادل عشرين عربة من خطوط الإمداد ـ صن تزو }}
ورغم أن هجمات المطاريد خاطفة، أى تستغرق فترة قصيرة جدا، إلا أنهم يكتسبون مع الوقت القدرة على الإخلاء السريع للغنائم من أرض المعركة، قبل بدء ردة الفعل المعادية. وفى بداية عملهم فى أفغانستان كانت مجموعات المجاهدين المسلحين

يصطحبون معهم عددا أكبر من غير المسلحين من إجل الإخلاء السريع للغنائم، وأيضا لأخلاء الجرحى والأسرى من أرض المعركة.

· الوسيلتان السابقتان هما فى إطار قدرة حركة المطاريد. وهناك وسائل أخرى عديدة منها الشراء من السوق المحلى، أو المجاور فى الإقليم، أو حتى من سوق التهريب الدولى. أومن الجيش المعادى نفسه، فهناك دوما فى جيوش الطغاة من هو جاهز دوما لبيع أى شئ، حتى الوطن نفسه، وليس فقط الأسلحة والذخائر.

وحركة التهريب لها دور كبير فى هذا الصدد. وهى حركة تبدأ فى النمو بشكل تلقائى من داخل حركة المطاريد أومن خارجهم بواسطة عصابات المغامرين الباحثين عن الربح. وللبحار أهمية خاصة , فإذا كانت هناك سلاسل جبلية، أو غابات، قريبة من شواطئ البحار فإن المطاريد يستوطنونها على الفور. وهذا ما فعله الجزائريون فى جهادهم ضد الإستعمار الفرنسى وفعله الفيلبيين والأندونيسيين والكوبيين فى حروبهم.

فى أفغانستان لعبت القبائل على جانبى الحود، وما زالت، دورا كبيرا فى تهريب الأسلحة والذخائر للمجاهدين، مستفيدين فى ذلك من وعورة مناطقهم الجبلية، وتحررهم من السلطة المركزية إلى درجة لابأس بها.

* التحالف السياسى من أهم وسائل حركات المقاومة، لتوفير إحتياجاتهم من السلاح والذخائر والتدريب والتمويل. هذا التحالف قد يشمل دول جارة أو دول بعيدة وغير حدودية أو كلاهما. وهكذا كان وضع الكثير من حركات المقاومة بلاد مثل الصين وفيتنام وأفغانستان، والمقاومين فى أوروبا ضد الإحتلال النازى.

ذلك أقصر وأسهل الطرق لتوفير إحتياجات حركة المقاومة. تبقى هنا المخاطر السياسية لتلك التحالفات، وقد تكلمنا عنها سابقا.

إذا توفر التمويل المناسب أو التحالفات السياسية القوية يمكن أن يتوفر تسليح مناسب ومتطور لدى حركات المقاومة، كى تبدأ مرحلة قتالها الأولى. الأهم فى ذلك هو سلاح الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والدروع. ثم تأتى المتفجرات وأجهزة التفجير عن بعد والشحنات التفجيرية المضادة للدروع، والألغام بأنواعها.

وفى الأهمية الدائمة تأتى أجهزة الإتصال الصغيرة لربط المجموعات العاملة.

* نذكر دوما أن الحلفاء السياسيين من الخارج لاتعنيهم المقاومة فى حد ذاتها،بل ما يتحقق لهم من وراء تلك المقاومة فى أطار أهداف تلك الدولة الحليفة ومصالحها الوطنية. وأى عوامل أخرى أخلاقية أو أيديولوجية ما هى إلا عوامل تجميلية لم يعد أحد يعتقد فى جديتها. فليس غريبا أن يتحول أى تحالف سياسى، بعد أن يحقق الطرف الأقوى أهدافه منه ، إلى عداء إن لم يكن حرب.

وفى تحالفات المقاومة الأفغانية مع الباكستانيين والأمريكان وعرب النفط، خير شاهد معاصر على تلك الحقيقة. والحليف يساعد على قدر ما يتوخاه من مصالح ذاتية، وطبقا لرؤيته لدرجة القوة والنجاح التى ينبغى أن تتحقق لحلفائه المقاومين. أو درجة الضعف أو التكبيل الذى ينبغى أن يفرضها على حلفائه المقاومين.

* نذكر هنا أن المجاهدين الأفغان قد حجب عنهم عمدا أشياء كثيرة منها أسلحة هامة كانت فى الطريق إليهم، ومنها أشياء قد تبدو من بعيد أنها بسيطة، مثل أجهزة الإتصال اللاسلكى الصغيرة لربط المجموعات القريبة على مسرح عمليات واحد. ومناظير المدفعية لتضبيط الرمايات، وحتى المناظير المقربة العادية حرموا منها.

فى معركة العرب فى جاجى **(رمضان ١٤٠٧ ـ يونيو١٩٨٧)** إستطاع أسامة بن لادن أن يوفر لمقاتليه عددا كافيا من أجهزة الإتصال اللاسلكى الصغيرة، وعددا من المناظير المقربة القوية، وعددا من أجهزة الرؤية الليلية. فحقق بذلك مجموعة مذهلة من المفاجآت التكتيكية، وإلى جانب الشجاعة الصاعقة للمجاهدين العرب الشباب صغار السن، تحقق أول وأشهر إنتصار للمجاهدين العرب فى أفغانستان. **{ التفاصيل فى كتاب معارك البوابة الصخرية ـ من أدب المطاريد }.**

* وأحد المآثر غير المشهورة عن العرب فى أفغانستان هو إدخالهم أعدادا كبيرة من أجهزة الإتصال اللاسلكى الصغيرة المحمولة، لدرجة أصبحت متداولة جدا فى أيدى قادة المجموعات الصغيرة والكبيرة، وأدخلوا أيضا أجهزة تقوية الذبذبات "الريبيتر" فأكسبت تلك الأجهزة مدى أبعد وبالتالى فائدة أكبر.

كما أن إمدادات المجاهدين بالأسلحة والذخائر لم تكن خاضعة لمعيار مصلحة المجاهدين ومقتضيات عملهم العسكرى، بل كانت خاضعة للرؤية الأمريكية من زاوية الحرب بالوكالة بين الكتلتين. لقد تمتع المجاهدون الأفغان بعدد لابأس به من القادة الميدانيين الرائعين، ولكن الحركة الجهادية لم تتمتع بزعيم واحد ولو ليوم واحد ، وذلك بسبب تدخلات الجيران والحلفاء، فكانت المأساة الأكبر للشعب الأفغانى.

<u>السلاح الصاروخى فى المرحلة الأولى</u>:

نلفت النظر هنا إلى أن حصول حركة المطاريد على قدرات صاروخية فى بداية عملها، يمثل فقط تأثيرا معنويا وسياسيا، ولكنه لا يعنى الإنتقال إلى مرحلة التوازن الإستراتيجى. لأنه فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى قد يغنم المجاهدون أسلحة ثقيلة من دبابات ومدافع وحتى صواريخ ثقيلة أرض/أرض. وقد حدث ذلك بالفعل فى أفغانستان. ولكن الإنتقال من مرحلة إلى أخرى يستلزم شروطا فى موازين القوى بين الطرفين، الأسلحة هى واحد من تلك الشروط، وربما كانت أقلها أهمية. فالتوازن بين الطرفين يقاس بالفعالية القتالية وليس بحجم المعدات وتعداد الجنود.

لأن الأمر لو كان كذلك لما وصل المجاهدون إلى نقطة التوازن أبدا ناهيك عن الإنتقال إلى حالة الهجوم الإستراتيجى.

الإعتبار الأهم هو ما يتعلق بالطاقة الهجومية لدى العدو فإذا بدأت فى الهبوط، ورافق ذلك نمو الفعالية القتالية والتسليح الثقيل لدى المجاهدين، تكون ساعة التحول الإستراتيجى قد حانت. وإقتربت لحظة التعادل أو " التوازن" الإستراتيجى.

٠٠ إن الأمر يشبه إلى حد ما عملية مصارعة الثيران:

ـ في البداية يكون المصارع "الميتادور" يتبع تكتيكات الإنهاك. فيثير أعصاب الثور بالراية الحمراء. فيتهيج الثور ويهاجم بكل قوة. ولكن نطحاته الساحقة تضيع فى الهواء، لأن الميتادور **يتفاداها** برشاقة. **{يمكن أن نشبه ذلك بمرحلة الدفاع الإستراتيجى} .**
ـ فى المرحلة الثانية ، يبدأ المصارع فى **توجيه الطعنات الجارحة**. مازال الثور الهائج يهاجم بقوة، ولكن بمعدلات أقل نتيجة الإرهاق. الميتادور يطعنه كى يستنزف دمائه ويزيد من ضعفه. **{ يمكن تشبيه ذلك بمرحلة التوازن الإستراتيجى}.**
ـ فى المرحلة الثالثة يقف الثور خائر القوى ـ إنه مازال خطرا ـ ولكن الميتادور بكل ثقة **يوجه بسيفة ضربة الحسم، فى القلب تماما**. **{مرحلة الهجوم الإستراتيجى}.**
إنها مراحل ثلاث فى مصارعة الثيران شبيهة إلى حد ما بحرب المطاريد طويلة الأمد، بمراجلها الثلاث.

الطيران والمطاريد:

الطيران تحد خطير يواجه المطاريد منذ لحظة إنطلاق حربهم غير التقليدية وإلى حين إنتصارهم المظفر . فى جميع شئونهم يراعون الإحتياطات ضده .
وأفضل وسائل المقاومة لديهم هو المقاومة السلبية وأخذ الإحتياطات فى كل شئ من شئون عملهم . العسكرى أو الادارى .
لايمكن للمجاهدين، طوال مراحل الحرب الثلاث، إمتلاك دفاع جوى فعال ضد الطيران. أو التمتع بغطاء صاروخى مضاد للطيران ، كالذى تمتع به الجيش المصرى مثلا قبل عبوره قناة السويس فى حرب ١٩٧٣.
ولا يمكن فهم قلة إصابات المجاهدين نسبيا بالضربات الجوية المذهلة التى يوجهها لهم العدو بدون الإعتراف بحماية ا لهم . فليس هناك أى تفسير غير ذلك .
أسقط الطيران شهداء فى صفوف المجاهدين ، ولكن بأقل كثيرا مما كان يتصور العدو أو يتخيل أى أنسان ، قياسا بكمية القنابل التى أسقطها عليهم الطيران .
سنتكلم مرارا عن موضوع مواجهة الطيران فى المراحل الثانية والثالثة . ولكن فى المرحلة الأولى ، حيث يقاتل المجاهدون فى وحدات قليلة العدو خفيفة التسليح سريعة الحركة تبدل مواقعها بإستمرار وليس لها مقار ثابته، فإذا أحسن المجاهدون ضبط تصرفاتهم وتميزوا بالسرعة فى الحركة ، والسرعة فى التجميع والإنتشار ، وإستخدام تمويه الملابس والأسلحة والملاجئ . فلن يجد الطيران سبيلا لعرقلتهم .
فقط طائرات الهيلوكبتر لها قدرة أكبر على إيقاع الإيذاء لانها بطيئة ومحملة بالذخائر المتنوعة من رشاشات وصواريخ مع قدرة على التوقف فى الجو للفحص الدقيق والرماية . ومن حسن الحظ أن بعض مزايا الهيلوكبتر هى نقاط ضعفها مثل بطء الحركة والتوقف فى الجو للفحص الدقيق والتدمير .
فى هذه الوضعية يمكن إصطيادها بالنيران العادية بما فى أيدى المجاهدين من بنادق. واذا توفرت رشاشات خفيفة فيمكن إستخدامها بشكل جماعى ضد الطائرات المنفردة فلا تمكنها من العمل المستريح بل قد تسقطها .

كما أن إستخدام الصواريخ المضادة للدروع ضد طائرات الهيلوكبتر سبب لها الذعر فى أفغانستان وأسقط بعضها.
أما إذا توفر عدد من صواريخ الكتف المضادة للطائرات فهذا هو الوضع الأمثل .
{ يمكن القول هنا ايضا: أن الصواريخ المضادة للطائرات والتى يمتلكها المجاهدين، تسبب الكثير من الخوف لدى الطيارين ولكنها تسقط القليل من الطائرات}.
ويجب أن يستبعد المطاريد من أذهانهم أن تلك الصواريخ يمكن أن تشكل غطاء حماية لقواتهم الأرضية، فهذا أسوأ إستخدام يسبب هدر تلك السلعة النادرة. فلن يتمتع المطاريد بغطاء جوى طول مراحل الحرب، والصواريخ التى بحوزتهم إستخدامها الأمثل هو فى الكمائن، وبالذات ضد طائرات الهيلوكبتر وطائرات النقل العسكرى الثقيلة. هذا ما ثبت فعاليته من التجربة الأفغانية.
والكمين ببساطة هو إنتظار العدو فى منطقة منتقاه، ثم مباغتته بضربة قوية بغرض قتله أو أسره .
وإذا نجحت بعض تلك الكمائن الصاروخية ، سيتخذ طيارو الهيلوكبتر الكثير من إحتياطات الأمان فى عملهم ، فتقل خطورتهم كثيرا على المجاهدين .
ومن الأفضل ان تكون كمائن الصواريخ جماعية أى يشارك فيها أكثر صاروخ لزيادة إحتمالات الإصابة ولإرعاب العدو لتوقعه توافر تلك الصواريخ لدى المجاهدين .
فى بعض الأحيان يكون لطائرات الهيلوكبتر مهام نقل بين المدن أو من القواعد إلى المراكز البعيدة. دراسة تلك المناطق وعمل كمين بها هو أمر نفذه الأفغان بنجاح لمرات كثيرة ضد الهيلوكبتر وطائرات النقل العسكرية، وكلا الهدفين مفيد .
ويمكن أن يستدرج المطاريد الطائرات إلى منطقة معينة على أنها مركز تجمع كبير لهم ومن ثم نصب كمائن صاروخية حوله. ويمكن حتى إستخدام صواريخ مضاده للدروع لتعزيز الكمين، مع تعزيزه بنيران رشاشات خفيفة إن وجدت ، أو حتى بنادق عادية من أفراد مموهين ومختدقين جيداً (الخنادق البرميلية هى الأكثر فائدة هنا).
{ ضع شركا لإستدراج العدو حتى يهاجم، وكن بإنتظارة بأفضل رجالك المنتقين بعناية} صن تزو
فى حربه الأخيرة إستخدم حزب ا كل قوته الصاروخية المنطلقة من الأرض نحو (البحر ـ الجو ـ الأرض) طبقا لنظام الكمائن، وحقق نجاحات منقطعة النظير.
حتى الطائرات النفاثة المقاتلة ، إذا تأكدت أن لدى المجاهدين صواريخ كتف مضادة للطائرات ، فإنها تعمل من إرتفاعات خارج نطاق مدى تلك الصواريخ معتمدة على تجهيزاتها التكنولوجية المتطورة. ولكن ثبت عمليا عدم صحة ذلك، فلم تحقق تلك الطائرات ماتذيعة بيانات الترويج التجارى الصادرة عن وزارات الدفاع بهدف زيادة مبيعاتها من أسلحة الموت تلك.
وتجربة حرب جنوب لبنان ٢٠٠٦ خير دليل ، وقبلها تجربة أفغانستان .
فبعد الإنسحاب السوفيتى إستخدمت ضد المجاهدين فى أفغانستان طائرات متطورة تعمل من إرتفاعات كبيرة، وحققت نفس الدرجة من الفشل، منذ عام ١٩٨٩ وحتى عام

١٩٩٢ عندما سقط النظام الشيوعى فى كابول.(**من ضمنها الطائرة سوخوى٣٤ صائدة الدبابات القادرة على تدمير ١٧ هدفا ثابتا ومتحركا حسب الدعاية السوفيتية فى معرض دبى للطيران والدفاع عام ٩١ ـ أما فى واقع ما شهدناه فى أفغانستان فإنها لم تحث أى تأثير يذكر فى سير العمليات الأرضية ، رغم قولهم أنها ذات قيمة إستراتيجية لسلاح الجو السوفيتى)**

*مهاجمة القواعد الجوية للعدو بالصواريخ أو المدفعية هو إجراء مفيد للغاية وحقق نتائج مدهشة فى أفغانستان فى جميع مراحل الحرب. وإستخدام صواريخ الكتف المضادة للطائرات بالقرب من تلك القواعد حقق أيضا نتائج رائعة.

المطاريد وحرب الجواسيس

الجواسيس هم أخطر ما يواجه أى جيش محارب . خاصة فى حروب المطاريد. فإن ضعفهم الظاهر مقارنة بقوة عدوهم الطاغية ، تغرى الكثير من ضعاف النفوس على إحتراف "صناعة" التجسس سعيا للربح والثراء السريع من عوائد الجوائز التى تبذلها السلطات بسخاء لقاء المعلومات التى تفيدها فى القضاء على المطاريد .

لذا كانت عقوبة الجاسوس هى عقوبة قاسية جدا لدى كل الجيوش والأمم.

وحركات العصابات والتمرد تكون العقوبات لديها أشد لسبب بسيط ، وهو أنها أضعف وأكثر تعرضا للأذى من عدو أقوى .

لذا فهى فى حاجة لحماية نفسها وأفرادها، وفى حاجة أيضا إلى فرض هيبتها على الوسط المحيط ، فلا يتجرأ أحد على الإتجار بها .

طبعا كلما كانت حركة المطاريد وثيقة الإرتباط بشعبها وبيئتها الإجتماعية كلها كنت أكثر حصانة من عمليات التجسس . بل أن الشعب فى معظمه يعمل كجهاز معلومات لدى الحركة. وهو الذى يكشف لها جواسيس الأعداء. وهؤلاء عند الإمساك بهم وثبوت الجرم عليهم فإنهم يعاقبون بشدة رادعة، تفقأ عين العدو بقتل "الجواسيس" فى الوسط المحيط بالمجاهدين .

ومن الغريب أن أول عملية قتل شاهدناها فى أفغانستان فى أول زيارة لنا ، فى يونيو ١٩٧٩ كانت عملية إعدام لثلاث جواسيس أرسلتهم حكومة "جرديز" لرصد تحركات المجاهدين فى الجبال قرب المدينة .

وللنظام القبلى مزاياه المساعدة لحرب المطاريد وله أيضا عيوبه. فالقبيلة تحمى مجاهديها كما تحمى جواسيسها ، خاصة إذا وقعوا فى أيدى الغير من مجاهدى قبيلة أخرى. والحكم على جاسوس من نفس القبيلة يحتاج إلى " توافق قبلى" حتى لا تنشطر القبيلة ، وتقع بينها حرب داخلية وقد ينضم طرف منها إلى القوات المعادية .

والمنافسة القبيلية قد تدفع قبيلة إلى أن تتجسس على مجاهدى قبيلة أخرى فقط بدافع المنافسة والأحقاد القبيلية وليس ميلا سياسيا إلى النظام .

طبعا يكثر حدوث ذلك عند إفتقار الجهاد إلى قيادة شاملة ـ فوق قبلية ـ يخضع لها الجميع ويطيعونها. وقد كان ذلك نقطة ضعف كبرى فى جهاد المسلمين فى أفغانستان أى الافتقار إلى قيادة عليا شاملة لجميع المجاهدين.

وأخطر ما حدث فى جهاد الشعب الأفغانى ضد السوفييت كون زعماء المنظمات كانوا عملاء من النوع الرخيص لقوى خارجية غير إسلامية. أى يمكن إعتبارهم نوع من الجواسيس المزروعين فى أعلى مستويات القيادة.
التنافس بين هؤلاء ، جعلهم يتسابقون على إقتناء ضباط الجيش الفارين من الخدمة وإدخالهم فى جهازهم العسكرى إما فى الميدان أو فى عمليات الإمداد والتموين، وكان عددا من هؤلاء جواسيس للحكومة وتسببوا فى نكبات عظمى للعمل الميدانى.
هذا الإختراق على مستوى القيادات العليا لتنظيمات المقاومة هو الأخطر على الإطلاق ، وعلاجه فى غاية الصعوبة . إنها القيادات التى يضعها ويعينها أحد الأعداء كى تقود المقاومة، ضده شخصيا أو ضد طرف آخر منافس له.

وقد رأينا كيف أن الروس فى طاجيكستان (١٩٩٤) قد دفعوا "رضوان " كى يقود العمل العسكرى لحزب النهضة الذى يقاتل ضد حكومة طاجيكستان المدعومة من الروس . **"راجع الجزء الخاص بمشروع طاجسكستان فى سلسلة كتب أدب المطاريد".**

ورأينا كيف أن العديد من منظمات المقاومة الفلسطينية قد زرعها العدو بالجواسيس على المستوى القيادى .

وفى الجزائر فى بداية التسعينات عندما إنقلبت الحكومة على نتائج الإنتخابات التى أتت بالتيار الإسلامى المتمثل فى جبهة الإنقاذ ، وصعد الشباب إلى الجبال للمقاومة المسلحة، إفتعلت الحكومة حادث هروب من أحد السجون الكبيرة ، وطار السجناء إلى الجبال ، وكان فيهم جواسيس حكوميون أمسكوا بزمام العمل القتالى ، وفرضوا عليه الفكر التكفيرى الذى أذاق الشعب الجزائرى الويلات ، وأفشل عملية الثورة المسلحة .

وعندما إرتفع نجم أسامة بن لادن فى العالم وأصبح دوليا هو نجم أفغانستان الأوحد ، وأعلنت حكومة طالبان أنها لن تسلمه لأمريكا بدون دليل على إدانته ـ زادت وتيرة الهجرة الإسلامية إلى أفغانستان من أرجاء واسعة من العالم ، ضمن عائلات مسلمة جاءت للعيش فى ظل دولة إسلامية هناك .
بالطبع لم تفوت الحكومات العربية والأجنبية الفرصة، وأرسلوا عددا محترما من عيونهم إلى هناك ، لرصد تحركات العرب، والقاعدة، من الداخل إن أمكن.
وهكذا نرى أن سلاح الجاسوسية هو السلاح الأمضى والأكثر فعالية ضد ثورات المطاريد وحركات مقاومتهم وحروبه غير التقليدية.

ولعل أكبر مآثر حزب ا لبنان ـ فى حرب ٢٠٠٦ أنه أثبت إستعصائه على الإختراقات التجسسية ، سواء فى أوساط القيادة أو الكوادر والمقاتلين أو حتى بين الوسط السكانى فى الجنوب ، الذى أثبت تماسكا غير عادى وحماسا للمقاومة يفوق التخيل .
وهنا يظهر أهمية العامل الدينى فى التعبئة المعنوية للمقاتلين وللبيئة السكانية ـ وأهمية القيادة الدينية العالية التأهل والكفاءة . فكلا العنصرين عوامل تفوق لا تضاهى اذا أمكن توافرها لحركة مطاريد جهادية.

ومع ذلك تبقى إمكانية الإختراق التجسسى شيئا ممكنا فى كل زمان ومكان، ولكن الخطورة هى تفشيها حتى تصبح مرضاً أو ظاهرة يصعب السيطرة عليها .

ونشير هنا إلى تجربة حرب العصابات فى جزيرة قبرص فى بداية الخمسينات ضد الإحتلال البريطانى وهى تجربة تستحق التأمل من نواحى عديدة سنعود إليها لاحقا. تولت المقاومة هناك منظمة سرية تدعى "أيوكا" قادها عسكريا جنرال يونانى يدعى "جريفاس" وقادها سياسيا وروحيا أسقف يدعى "ماكاريوس". أى قيادة سياسية دينية لحركة مقاومة يقودها جنرال وكانت توليفة فريدة .

الشاهد هنا هو السياسة التى تبنتها الحركة فى التعامل مع الجواسيس .

فنظرا للمحدودية الشديدة لمساحة الجزيرة ، كانت قدرة المقاتلين على المناورة صعبة جدا ، فكانت الوشاية عملا مدمرا بشكل فوق العادة .

لذا تبنت الحركة أسلوبا غاية الحسم فى التعامل ليس فقط مع الجواسيس ، بل مع كل من يتعاون مع العدو ، أو يتبوأ منصباً فى جهاز الأمن .

كانت طقوسهم فى إعدام الجاسوس هى إرسال من يغتالة فى عز النهار فى الشارع العام أمام الناس بإطلاق النار عليه . وعندما تحضر الشرطة للتحقيق، لم يكن هناك من يتجرا على أن يتقدم للإدلاء بأى معلومات عما حدث، فقد تعلم الناس الدرس.

وكانوا يغتالون ضباط الشرطة بشكل منتظم ، حتى أنه فى نهاية الأمر لم تكن قوات الإحتلال تجد من يوافق على تولى مناصب الأمن القيادية .

يقول الجنرال جريفاس عن هذه السياسة أنها "**جعلت العدو أعمى**" نتيجة إفتقاده للمعلومات.

طبعا الإنجليز هم إساتذة الشياطين فى سياسة "فرق تسد" التى من خلالها يجدون لأنفسهم طريقا للحكم والتحكم ، وقد أخذها عنهم باقى الشياطين والحكام .

فكل ظالم حتى يحكم فانه يقسم شعبه شيعا يستضعف طائفة منهم. ويتخذ لنفسه جواسيس من داخل كل طائفة ، ويصبح هو الحاكم والحكم، بواسطة الإفساد والوقيعة بين الناس .

فى قبرص إتخذ البريطانيون من الأقلية التركية المسلمة ذراعاً لهم يتكئون عليها مستفيدين من كون منظمة المقاومة القبرصية ، منظمة مسيحية .

ولو أنها كانت إسلامية لإستفاد بالطبع من الطائفة الأخرى. ليس هناك ثغرة فى صفوف الشعب دينية كانت أو سياسية أو عرقية إلا واستفاد منها جيش الغزاة أو النظام المستبد الفاسد كى يحكم سيطرته على الشعب .

الوسط الشعبى الراعى لأبنائه المطاريد ، يمدهم تلقائيا بالمعلومات التى تهمهم. خاصة ما يتعلق منها بتحركات العدو العسكرية والأمنية. لكن ذلك لا ينبغى أن يمنع المطاريد من بناء جهازهم المعلوماتى الخاص. والإرتقاء بمستواه تدريجيا، وتخصيص الإعتمادات المالية لذلك . وفى كثير من الأحوال يكون الحصول على المعلومة الحساسة أهم من الحصول على سلاح متطور، بل ربما أدت إلى مكاسب أهم من ذلك بكثير." **أنظر ما قاله صن تزو عن ذلك، فصل: الجواسيس . الأخير من هذا الكتاب**"

وكلما صمدت حركة المطاريد وترسخت ـ حتى فى خلال مرحلتها الدفاعية الأولى تزيد إمكانية تمددها المعلوماتى داخل صفوف خصومها. ويتم ذلك إما تعاطفا وتبرعاً، أو سعيا خلف دوافع أخرى مثل الحصول على المال أو المراهنة على وضع سياسى قادم يهيمن عليه المطاريد فتنقلب الأدوار ، فيصبح المطاريد مطاردون، ويصبح الظلمة الطغاة مطاريد، تطاردهم العدالة الحقيقية .

وقد رأينا فى أفغانستان مدى قدرة المجاهدين على الحصول على المعلومات الهامة من أعلى مستويات خصومهم فى الجيش والحكومة. وكان الدافع هو المال أو المراهنة على وضع قادم أو الإنتقام من منافسين داخل أجهزة الدولة وتياراتها المتصارعة .

ولو أن المجاهدين الأفغان إمتلكوا قيادة موحدة حقيقية لما إستغرق جهادهم كل ذلك الوقت وكل تلك التكاليف الباهظة ثم يحصلون فى النهاية على تلك النتائج الهزيلة.

إن " حرب الجواسيس " لا تتعلق فقط بمرحلة واحدة من مراحل حرب المطاريد بل هى ممتدة فى كل مراحلها ، وحتى قبل أن تبدأ ، وبعد أن تنتهى .

* *

تكتيكات العدو العسكرية فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى:

بينما "المطاريد" استراتيجيا فى حالة دفاع تكون قوات الطغاة فى وضعية استراتيجية هجومية.المطاريد يماطلون لإكتساب الوقت لبناء قواهم ، والطغاة يسعون إلى حسم سريع قبل أن يستفحل أمر المطاريد ويفلت الزمام .

شعار قوات الطغاة فى تلك المرحلة هو "البحث والتدمير" وهو شعار وضعه الجيش الأمريكى فى حربه الخاسرة فى فيتنام .

"البحث" ويتم عبر كل وسائل البحث العسكرية وعلى رأسها الإستطلاع الجوى ، أوغير العسكرية، وعلى رأسها شبكة الجواسيس التى يبادر الطغاة إلى توسيعها بشكل غير طبيعى، مستغلين كل التناقضات الموجودة أو التى يمكنها إيجادها بين فئات الشعب ومستغلين أيضا حالة الفقر والحرمان التى تسود المناطق الفقيرة والبعيدة المهمشة ـ وهى مواطن إنطلاق حركات المطاريد .

ثم يأتى دور التدمير وتقوم به عادة الطائرات، وأحيانا أخرى الحملات البريه المدعومة جوا. هذه الحملات إما أن تكون خفيفة تشنها القوات المحمولة جوا ، وهى السلاح المفضل بريا فى مواجهة المطاريد ـ أو تقوم بها قوات المشاة المدعومة بالمدافع والدبابات ، وأيضا الطائرات.

إذا كان المطاريد يتبعون المبادئ التكتيكية الصحيحة فإن هذه الحملات تبؤ غالبا بالفشل ، وإذا صادفت نجاحا ما ، فإنه يكون مخيبا لآمال الطغاة ولا يساوى كل ذلك الضجيج والإنفاقات الباهظة .

إذن إنتهى المشهد هكذا : مجرد مجهود عسكرى ضخم ، وعائد مادى يساوى صفر تقريبا. إن معنويات الجيش سوف تنخفض. وفى المقابل ترتفع معنويات

المطاريد. والأخطر من هذا وذاك هو تزايد الإعجاب الشعبى بالمطاريد والقناعة بإمكانية نصرهم ، وبالتالى يزداد التعاون الشعبى مع الحركة وهذه البداية الفعلية لإنتصارها العسكرى .
القوات الحكومية ، ومن أجل تحقيق إنجاز عسكرى ، فإنها توجه ضرباتها إلى التجمعات السكانية القريبة من أماكن العمليات التى قام بها المطاريد .
تلك هى سياسة "العقاب الجماعى" الذى يتزايد تدريجيا حتى يصل إلى درجة إخلاء المناطق من السكان وتهجيرهم قسراً ، بتدمير البيوت وإحراق المحاصيل ، ويطلقون على ذلك "سياسة الأرض المحروقة " .
وفى بعض المناطق قامت القوات الطاغية بتجميع السكان فى معسكرات ضخمة محاطة بالأسلاك وقوات الحراسة ، حتى يمنعوهم من الإتصال بالمقاومين . أى أنهم يجففون الماء حتى تموت الأسماك ، ويطلقون عليها أحيانا "سياسة تجفيف المنابع" ، لأن الناس هم الوسط الذى تنبع منه حركات المقاومة ، وهم منبع كل عون يمكنها من البقاء والإنتصار.
* تلك السياسات الخرقاء والإستخدام المفرط للقوة يؤدى غالباً إلى عكس المطلوب منه ، إذ تزداد الكراهية للطغاة الظلمة وأجهزتهم المسلحة والأمنية ، وينضم الناس إلى المطاريد ، فيتزايد عدد هؤلاء وتقوى شوكتهم .
ليس هذا فقط بل أن كثيرا ما تتحول تلك الحملات إلى مصدر لتسليح المطاريد بشتى أنواع الأسلحة والذخائر من شتى العيارات .
حدث ذلك فى أفغانستان ، بالذات فى الولايات ذات التضاريس الجبلية ، فقد تمكن المجاهدون رغم تسليحهم البدائى جدا، من بقايا البنادق التى قاتلوا بها الحملة الإنجليزية الأخيرة على بلادهم فى بدايات القرن العشرين ، ولكن بقوة إيمانية هائلة ، وتضاريس وعرة، وحماقة وغرور ضباط العدو المراهقين فكريا وعسكريا تم تدمير حملات كبيرة الحجم ، والإستيلاء على أسلحة وعتاد لم يخطر على بال المجاهدين .
هنا تظهر نقطة هامة وهى أن القواعد التكتيكية لكل مرحلة هى لمجرد الإستفادة المرنة بها وليس للتطبيق الحرفى الصارم .
تحدثنا أن هذه مرحلة تستدعى الضربات السريعة الخاطفة ، ثم الإنسحاب السريع قبل ردة فعل العدو الكبيرة من الجو أساساً .
ولكننا رأينا فى المرحلة الأولى للحرب ، وإذ المجاهدون يخوضون مواجهات طاحنة ولساعات طويلة مع قوات عسكرية ثقيلة الإعداد ومدعومة جوا بكثافة. ثم كانت الخاتمة لصالح المجاهدين ! ! .
تكلمنا عن عنصر الإيمان لدى المجاهدين ـ ونؤكد أنه ليس إيمانا عاديا ـ وتكلمنا عن وعورة فى التضاريس ، غير عادية أيضا .
وتكلمنا عن تماسك قبلى أيضا غير عادى ، لايسمح لأحد بالتقاعد عن نصرة قبليته ، ظالمة كانت أم مظلومة ، فما بالك اذا كانت مجاهدة فى سبيل ا ؟.

هناك أيضا طبيعة القبائل الأفغانية التى تقدس البطولة الفردية والبسالة. لذا فطبيعة الأفغان تميل إلى المعارك الطويلة التى تتيح المجال لظهور البطولات الفردية وتبنى المجد الجماعى للقبيلة .
لقد أحرزوا فى ذلك نجاحات كبيرة ، وأيضا نكسات مؤلمة .
والقيادة الحقيقية هى التى تستطيع الموأمة بين قواعد التكتيك الصحيح والشخصية المحلية والتاريخية للمقاتلين . وتبقى القواعد التكتيكية دوما قابلة للتطوير أو التعديل ، أو حتى التجاهل ـ ولكن بحذر شديد .
نقول أن التكتيكات العسكرية للعدو تهدف إلى قمع مقاومة المطاريد فى أقصر وقت ممكن بإستخدام أقصى درجات العنف .

إتبعت أمريكا فى حربها ضد أفغانستان أسلوبا جديدا لقمع إرادة المقاومة لدى الشعب حتى لا يتجرأ على مجرد التفكير فى الإعتراض . فقامت بإستعراض غير مسبوق للقدرات التدميرية لقنابلها الجديدة (فوق ستة أطنان)،وقنابل اليورانيوم المنضب هائلة التدمير، والصواريخ الذكية ، التى يواجهها الأفغان لأول مرة بهذه الكثافة ـ وكان السوفييت إستخدموها لكن فى مناسبات نادرة ـ وكذلك طائرات الإستطلاع الجديدة التى تحمل صاروخين موجهين تطلقهما فور إكتشافها الهدف وذلك كان تطورا جديدا . فالخبرة مع السوفيت تقول أن طائرة الإستطلاع تستدعى طائرات قاذفة أو هيلوكبتر لضرب الهدف المكتشف، تصل بعد دقائق. .
لقد نجحت المفاجأة النفسية ، وإحتاجت المقاومة الأفغانية إلى عدة سنوات حتى تبدأ بحرب عصابات جديدة ضد القوات المحتلة . ولم تكن الصدمة ناتجة فقط من الأسلحة الجديدة بل أيضا من الخسائر الفادحة فى الأرواح التى منيت بها حركة طالبان فى شمال أفغانستان حيث خسرت ثلاث عشر ألف من مقاتليها هناك "**راجع كتاب صليب فى سماء قندهار**". ولكن إستطاع الشعب الأفغانى أن يبدأ حربا جهادية جديدة ضد المحتلين الأمريكان وحلفائهم وهى مرحلتها الدفاعية الأولى حاليا. وهى حرب لها خصوصياتها التى لم تكن موجوده فى الحرب السوفيتية .

نتكلم هنا عن ظاهرة جديدة رافقت الحروب الأمريكية وهى محاولة إستخدام التطور التكنولوجى الهائل والذى يظهر فى الحروب لأول مرة ، كى تخيف الشعوب وتقهر إرادتها وتفرض عليها الإستسلام الطوعى بدافع الخوف .
كان نجاح أمريكا فى العراق أقل منه فى أفغانستان . فالمقاومة الشعبية للإحتلال بدأت على الفور ، بدون فاصل زمنى ، والسبب الأرجح هو أن النظام السابق كان قد وضع فى إعتباره إحتمال لجوئه إلى حرب عصابات طويلة بعد تدمير آلته العسكرية التى لا يمكنها الصمود أمام آلة عسكرية جبارة ومتطورة مثل الآله الأمريكية .
الأرجح أن هناك ترتيبا مسبقا لحرب عصابات، وكان ذلك عملا بالغ الفائدة . كما أنه وفر مخزونا هائلا من الذخائر (مليون طن تقريبا) تم تخبئته فى أماكن سرية لإستخدامه فى حركة المقاومة الشعبية. كذلك وفر أموالا طائلة تمت تخبئتها بنفس الطريقة. كما

وفر أيضا عدة آلاف من الكوادر المدربة عسكريا بشكل جيد ، بل أيضا جهاز أمن من بقايا النظام السابق لديه خبرة هائلة فى النواحى الأمنية التى كانت عماد حياة النظام القمعى السابق(لو كان كل ذلك صحيحا ، يكون ذلك النظام القمعى الغاشم قد "إرتكب" شيئا وحيدا صالحا فى نهاية عمره المدمر).

* إن المرحلة الدفاعية الأولى لحرب العصابات لها سماتها الخاصة جدا فى العراق. وتحتاج إلى بحث خاص.

**

C ـ <u>الـسـياسـة:</u>

<u>سياسة المطاريد فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى</u>

ما أن تنطلق الرصاصة الأولى فى حرب المطاريد حتى يصبح محظورا بشكل قطعى إجراء أى مفاوضات مع العدو بشأن وقف الحرب أو التوصل إلى تسوية معه ولذلك أسباب منها:

أولا ـ إذا بدأت حرب المطاريد بالفعل فلابد أن تصل إلى الهدف الذى من أجله أعلنت. فحرب المطاريد هى حرب الشعب . وحتى يوافق الشعب على رفع السلاح ، فذلك يعنى أنه وصل إلى درجة عالية من التعبئة نتيجة لظروف قاسية تعرض لها ، وأنه أصبح جاهزا للقتال لتحقيق مطالبه الحيوية التى لا غنى عنها، مثل طرد جيش إحتلال أو إسقاط وإستبدال نظام طاغى أصبح بقاؤه لا يحتمل.

والقيادة التى تنوب عن الشعب فى إعلان الحرب ، إذا أسرعت إلى قبول تسوية ناقصة ـ إما بسبب ضعفها ، أو بسبب طمعها فى مناصب ومكاسب على حساب آمال الشعب ـ فإنها تصيب شعبها بإحباط شديد ويأس وفقدان ثقة قد يستمر مدة طويلة جدا، ربما عشرات السنين، إلى أن يجد قيادة جديدة يثق فيها ، وحتى يستعيد معنوياته من جديد . فحرب المطاريد هى حرب غير تقليدية يخوضها الشعب الذى يحتضن أبنائه المطاريد ويتبنى حركتهم ويسير خلف قيادتهم .

والشعب ليس جيشا نظاميا حتى يتم إستدعائه إلى الحرب بقرار ثم صرفه منها بقرار. فعملية إستدعاء الشعب إلى حرب مطاريد مسألة صعبة ومعقدة وتستغرق وقتا طويلا وإذا وضع الشعب السلاح ـ قبل أن تحقق الحرب أهدافها ـ فأنه ، غالبا ، لا يرفعه مرة آخرى بل ينصرف إلى شئون حياته العادية ، مصابا " بعاهة معنوية" من اليأس وفقدان الثقة .

نفس الشئ يحدث إذا هزمت حركة المطاريد فى حربها قبل تحقيق غايتها. وقتها يصل الشعب إلى نفس حالة الإحباط واليأس والعزوف الطويل عن المواجهة . وربما تستمر الحالة هذه لأجيال . ومن النادر أن يسير الشعب خلف قيادة جربها قبلا وفشلت أو هزمت فى المعركة أو خانته فى الطريق وجرت خلف مكاسب سياسية أو مالية لشخصياتها .

ثانيا ـ أى طاولة مفاوضات ، تنعكس فوقها موازين القوى بين المتفاوضين.

وإذا كان هناك حرب بينهما فالمفاوضات تعكس موازين الصراع الدائر على الأرض.
إذا بدأت مفاوضات بين المطاريد وأعدائهم فى المرحلة الأولى فإنهم لن يحققوا منها أى شئ لقضيتهم. وأقصى مايتاح لهم هو رشاوى شخصية على هيئة مناصب حكومية تجعلهم فى النهاية جزء من منظومة الإحتلال أو الطغيان الفاسد الذى يحكم البلاد.
هذا ما فعلته حكومة "دوشنبه" مع قيادات حزب النهضة. وما فعلته إسرائيل مع عرفات وعصابته كان أفدح وأشد كارثية.
وطالما كان المطاريد فى حالة دفاع وأعدائهم مهاجمين إستراتيجيا، فليس لدى العدو أى حافز يدفعة إلى التنازل وتقديم شئ للمطاريد، الذين لايملكون حتى الآن وسائل ضغط تجبر العدو على التنازل عن شئ. وكما ذكرنا فإن أى تفاوض فى هذه المرحلة لن يتعدى إن يكون محاولة إفساد ورشوة لقيادة المطاريد، وسيكون وفدهم المفاوض مجرد باحث عن صفقة يبيع فيها شعبه فى مقابل مكاسب شخصية من مناصب أو أموال أو حتى مجرد تلميع إعلامى يرضى نزعة مريضة إلى الغرور والشهرة.
(وهى النزعة التى أودت بالسادات ثم عرفات فى أستعراضات التفاوض مع إسرائيل حين بهرتهم أضواء الإعلام الدولى الذى رافقها، حتى أذهب عقولهم فقدموا من التنازلات مالا يحلم به العدو)
لذا تنتفى الحاجة، بل يحظر قطعيا أن يبدأ المطاريد أى عملية تفاوض سياسى مع عدوهم فى مرحلة "الدفاع الإستراتيجى".

المطاريد والسياسة الداخلية فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى

يشهد الوسط السياسى الداخلى حركة هائلة فى أعقاب شروع المطاريد فى حربهم غير التقليدية. فليس للمطاريد حزب سياسى أو مقرات معروفة. ولكن هناك شخصيات أوجمعيات تكون معروفة بقربها النسبى من المطاريد، فكريا أوسياسيا أو إجتماعيا.
هؤلاء يقومون من وقت وآخر بدور ناقل الرسائل أو الوسيط.
الموقف الحكومى والإستعمارى يكون غاية التشنج ، ولا يكف عن التهديد. بينما تعمل آلته الدعائية والأمنية والعسكرية، بأعلى درجة من الشراسة. وتطال ضرباتها ليس المطاريد فقط بل كل محايد لم يعرب علنا عن تأييده لذلك الخبال الذى تمارسه.
ولكن بشكل خفى يكون لكل طرف سياسى موقفين، واحد معلن وآخر سرى غير معلن. ومع إمتداد فترة الصدام تطرأ تغييرات كبيرة فى المواقف السرية، وتميل أكثر إلى جانب المراهنة على فوز المطاريد. البعض عن قناعة والبعض الآخر لضمان موطئ قدم فى نظام ربما يأتى، مع عدم التفريط فى موقعه داخل النظام الحالى.
أما الذين طالهم القمع من بين التيارات الوطنية والإصلاحية والشخصيات الدينية الشعبية البعيدة عن إفساد السلطة الفاسدة، هؤلاء عبر الوسطاء، يعربون عن تأييدهم لثورة المطاريد، وبشكل فردى ينخرط بعضهم فى صفوفها. وعندما يظهر أن النظام الحاكم بدأ يضطرب و يفقد زمام السيطرة على الأوضاع، فإن التيارات المؤيدة علنا للنظام تتحرك عبر الوسطاء للتعبر عن مواقف جديدة تتراواح مابين التعاطف إلى

التأييد. وعند إقتراب لحظة الإنتصار يقفز هؤلاء بالكامل فى سفينة المطاريد التى تدخل بسرعة وثقة إلى موانئ النصر. ويحاول هؤلاء القفز إلى مقود السلطة السياسية الجديدة، ويقدمون أنفسهم للمنتصرين الجدد على أنهم "مناضلون" وأصحاب تجربة سياسية يفتقر إليها المطاريد السذج عديمى الخبرة فى إدارة الدول.
أمثال هؤلاء تولوا زمام السلطة الفعلية فى أفغانستان بعد دخول حكومة زعماء الأحزاب إلى كابول، أما قادة الأحزاب فكان نصيبهم المناصب الوزارية الشرفية.
* الهدف الإستراتيجى للمطاريد فى هذه المرحلة الدفاعية، بل فى كل المراحل، هو زيادة معسكر الحلفاء والأصدقاء، على حساب معسكر الأعداء. وتقليص معسكر الأعداء، وجذب حلفاء العدو إلى الحياد، أو إلى معسكر الأصدقاء إذا أمكن.
المواقف السياسية الداخلية، فى بداية التحرك العسكرى للمطاريد تكون موزعة بين ثلاث معسكرات:
- معسكر المطاريد, وحلفائهم وأصدقائهم.
- معسكر أعداء المطاريد، من أعوان الإحتلال والسلطة العميلة المستبدة.
- معسكر المحايدين. ويشمل قطاعا لايستهان به مازال لم يحدد موقفه بعد.
هذا المعسكر يعتبر إحتياطا إستراتيجيا للطرفين المتصارعين، المطاريد وأعدائهم. لذا يكون ذلك الوسط ساحة للصراع السياسى.ويكسبه الطرف الذى يدير معركته بشكل أفضل.

سياسية العدو فى مرحلة الدفاع الإستراتيجى:
فى البداية يكون العدو غاية فى التشدد رافضا أى حوار مع "الإرهابيين و"الأشرار".
وإذا إستمرت الحركة قدما ، يتراجع النظام عن مواقفه قليلا طالبا من المطاريد "التفاوض"، كونه يعلم بأن قبول الحركة بالتفاوض فى هذه المرحلة يعنى فشلها. ويحاول إغراء من إستطاع من قياداتهم بوضع السلاح, مستمرا فى الهجوم الإعلامى الكاسح على المطاريد.
مازال النظام يمتلك ما يكفى من الغرور ليعتقد أنه قادر على إخماد التمرد، وأن مشكلته الداخلية بسيطة. وأن المشكلة الكبرى له تقع فى الخارج مع داعميه السياسيين، ومقرضيه الدوليين وكبار المستثمرين الأجانب فى بلاده.
فهو يخشى من أن يبحث داعميه الدوليين عن بديل يحرس مصالحهم فى ذلك البلد المضطرب. لهذا يبدا فى ضرب ورثته المحتملين فى الداخل، فيزيد ذلك من قاعدة حلفاء المطاريد.
وهو يخشى من هروب الرأسمال المحلى والأجنبى فيتفاقم وضعة الإقتصادى وفرص النهب المتاحة لكبراء النظام. فيبذل الوعود والتطمينات ويقدم المزيد من التنازلات الإقتصادية للحفاظ على زبائنه الأجانب وحيتان النهب الداخليين.

ومن أكثر ما يخشاه النظام أيضا هو إنتفاضة المقرضين، مطالبين بالسداد الفورى للديون خوفا من ضياع أموالهم فى المجهول. ويستنجد النظام براعيه الأجنبى حتى يدعمه ماليا وبسرعة.
وقد رأينا كيف هبت أمريكا ومعها أذيالها، الدوليين والإقليميين، إلى مساندة الأنظمة التى تعرضت لهجمات قوية من الإسلاميين. رأينا ذلك فى أفغانستان والعراق ومن قبلهما الجزائر ومصر التى يقول الأمريكان أنهم يقدمون المليارات لنظامها حتى لاتقع البلاد فى يد الإسلامين المعادين لأمريكا وإسرائيل.

ثانيا ـ مرحلة التوازن الإستراتيجى

****

A ـ الإستراتيجية:

يقول أحد خبراء حروب العصابات أنه من المستحيل ، تقريبا، هزيمة حرب عصابات تمكنت من دخول مرحلة التوازن الإستراتيجى مع عدوها.

الإستراتيجية العسكرية للمطاريد فى مرحلة التوازن:

المقصود هنا بالتوازن ليس التساوى العددى فى الأسلحة والأفراد. بل المقصود هو التقارب فى الفعالية، وبمعنى أدق الندية.
فى هذه المرحلة يظهر الصراع وكأنه يدور بين جيشين متكافئين. وليس كما كان الحال فى المرحلة السابقة حيث كان على الأرض جيش واحد يطارد مجموعات من العصابات الصغيرة تقاتل بأسلوب الكر والفر.
الشعار الإستراتيجى للمطاريد فى هذه المرحلة هو: الزحف من الجبال إلى الريف.
القوات المعادية، وتحت وطأة الفشل والإرهاق، تتخلى تدريجيا أثناء المرحلة السابقة من مناطق وعرة تراها أقل أهمية وتتكبد فيها خسائر تراها غير مبررة. وبذلك تتوسع حركة المطاريد على مساحات أكبر من الأرض التى لاينافسها فيها أحد. وما أن تبلغ مرحلة الدفاع نهايتها حتى تكون معظم الجبال فى أيدى المطاريد، فيما عدا تلك التى يرتكز عليه الدفاع عن المدن.
تلك الجبال شبه الفارغة التى لايرى فيها أى جيش تقليدى قيمة إستراتيجية، لدى المطاريد لها قيمة إستراتيجية كبيرة. وهذا واحد من النقاط الهامة فى إختلاف التقييم بين المطاريد والجيش التقليدى. فتلك الجبال "غير الإستراتيجية" تصبح مرتكزا "إستراتيجيا" لبناء القدرات القتالية والتنظيمية والإعلامية للمطاريد. ويظهر ذلك بشكل أوضح فى مرحلة التوازن التى نحن بصدد التحدث عنها.
التوسع فى الناطق الريفية هو السمة الأساسية لعمليات المطاريد. وبدون أسلحة ثقيلة من المستحيل تقريبا إحراز إنتصارات كبيرة، خاصة وأن للعدو سيادة جوية لاتنازع.

ومن واقع تجربة أفغانستان فإن الدبابات كانت هى النجم الساطع فى كل الإنتصارات الكبيرة، بعدها فى الأهمية جاءت راجمات الصواريخ "BM12" . أما المدفعية، وهى الأكثر دقة، فكانت تعانى من عجز مزمن فى الذخائر بعكس صواريخ الراجمات التى كانت متوافرة نسبيا، وتوفر كثافة نارية كبيرة فى وقت قصير، وذلك على حساب الدقة، ولكنها تناسب كثيرا العمل الهجومى.

القواعد الجبلية الثابتة:

وهى أهم سمات هذه المرحلة. ومنها وحولها ومن أجلها تدور أخطر النشاطات والأحداث.

يبدأ المطاريد فى بناء أولى قواعدهم الثابتة لأسباب عسكرية، كمركز لتجميع القوات والإمدادات.ولكنها لاتلبث أن تصبح محورا للعمل الجهادى كله، فتؤدى مهاما متنوعة:

عسكريا: هى مقر قيادى للتخطيط والتدريب والإمداد والتموين "اللوجستيك"، ومقر لورشات إصلاح وصيانة الأسلحة، وأخيرا مقرا لقيادة جهاز الإستخبارات.

سياسيا: هى مقر للجهاز الإدارى الذى يشرف على شئون المناطق المحررة، وبها تعقد إجتماعات لوفود من تلك المناطق.

إعلاميا: يوجد بها الإدارة الإعلامية المركزية. ومقر **الإذاعة المتنقلة** التى هى من السمات الإعلامية الهامة لتلك المرحلة. وقاعة "مغارة" للعرض السينمائى. ومعملا للتصوير الفوتوجرافى والفيديو لأعداد المواد الدعائية.

إذا قامت القاعدة بدورها كما ينبغى، فإنها ستشكل خطرا على النظام وقواته فوق مناطق شاسعة. لهذا ما أن يشعر النظام بتأثيرها حتى تصبح أهم إستهداف عسكرى لديه. وتكون وجبة روتينية لسلاح الجو وضرباته المفاجئة. أما الهجمات الأرضية فتصبح مسألة وقت، ويجهز الطرفان لها بعناية شديدة وقبل وقت طويل من حدوثها. أما قادة المطاريد فإنهم يدرسون خطط الدفاع عن قاعدتهم حتى قبل إنشائها. و تكون إعتبارات الدفاع عنها هى العنصر الأهم فى إختيار موقع القاعدة.

ولقد إستعرضنا قصة قاعدة جاور فى أفغانستان والحملات السوفيتية الضخمة عليها فى اعوام ٨٦ ـ ٨٧ **(راجع كتاب معارك البوابة الصخرية)** ثم الحملة السوفيتية الأخيرة والأضخم فى أفغانستان لفتح طريق زدران وإقتحام قاعدة "سيرانا" القريب من مدينة جرديزفى عام ١٩٨٧ **(راجع كتاب خيانة على الطريق).**

....

الإستراتيجية العسكرية للعدو فى مرحلة التوازن:

تخفت الروح الهجومية للعدو وتقل هجماته الكبيرة، ويلجأ بشكل متزايد إلى الدفاع الثابت والإستحكامات. وينكفئ من الجبال تاركا إياها فى قبضة المطاريد.

وينبغى ملاحظة أن الجيش مازال قويا وقادرا على الوصول إلى أى نقطة داخل البلاد. تبدو هذه الملاحظة بسيطة ولكن الجهل بها يعرض الكثيرين إلى حالة إحباط شديد وهو يشاهد قوات العدو تدخل إحدى القواعد الأسطورية(مثل جاورالقريبة من

مدينة خوست، أوسيرانا القريبة من مدينة جرديز)، وقد شاهدنا حالات الإحباط تلك وهى تنتاب قيادات أفغانية لها وزنها.
وقد ظهرت حالات مشابهة عندما تمكن الجيش الإسرائيلى من الوصول إلى بعض القرى الإستراتيجية القريبة من الحدود فى جنوب لبنان فى عدوانه عام ٢٠٠٦.
رغم أن وصوله إليها كان كارثيا وهزيمة حقيقية فى شكل إنتصار لامعنى له، لكونه باهظ التكلفة ومهدد بالتطويق. وهذه فكرة الدفاع عن القواعد الثابته،أى جعل وصول العدو إليها هزيمة حقيقية لاقيمة عملية لها، مع أنها تفيده دعائيا ونفسيا. لقد حقق حزب ا بشكل مثالى فلسفة دفاع المطاريد عن قواعدهم الثابته رغم إفتقاره إلى الدفاعات العميقة.
*****

B ـ الـتـكـتـيـك:

تكتيك المطاريد:

مفهوم الدفاع فى مرحلة التوازن:

إن خطط الدفاع عن القواعد الجبلية، بل الدفاع بشكل عام فى مرحلة التوازن لا توضع على إعتبار منع العدو من الوصول إلي المناطق التى يريد، ولكن على إعتبار جعل وصوله إليها باهظ التكلفة، وإستنزافيا بكل مافى الكلمة من معنى.
وحيث أن الدفاع هو مفهوم جديد يظهر لدى المطاريد لأول مرة بعد إنتهاء مرحلتهم الإستراتيجية الأولى ودخولهم فى مرحلة التوازن. فإننا نفصل فيه قليلا:
يعرف المجاهدون أن العدو مازال يتمتع بقوة عسكرية تمكنه من الوصول إلى أى نقطة يرغب فيها . لذا لا يدافعون تحت مبدأ " **إلى آخر رجل وآخر طلقة** " بل تحت مبدأ " **أكبر خسارة للعدو**" فيرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التى يدفعها العدو، من أرواح جنوده ومعداته العسكرية ، حتى يصل إلى النقطة التى يريد الوصول إليها ـ هذا فى الخطوة الدفاعية الأولى، ثم يرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التى يدفعها العدو ثمنا لبقائه فى المكان المنشود .
وإذا أخذنا قاعدة جاور مثلا ، فنجد أن دفاعات المجاهدين أحبطت محاولات العدو الإستيلاء على القاعدة فى معارك عام ١٩٨٥ وكانت معارك مواجهة ملحمية عنيفة، ومباراه مرعبة فى مدى البطولة والتحمل. فقد فيها المجاهدون عددا من أفضل قياداتهم الميدانية .
وكرر العدو المحاولة عام ١٩٨٦ وإستطاع الوصول إلى القاعدة بعد أن تكبد خسائر عالية جدا ، وكذلك كانت خسائر المجاهدين الذين قاتلوا تحت شعار "لآخر رجل وآخر طلقة" . ولكن العدو فضل آلا يمكث فى القاعدة غير ساعات معدودة كان فى أمس الحاجة إليها كى يخرج بقرار فى إجتماع الحزب الشيوعى الذى عقد بعد أيام فى موسكو من أجل الإنسحاب من أفغانستان، تحت وهم "الإنسحاب بشرف مع قدرة على

تحقيق الإنتصارات العسكرية ". ومع ذلك كانت كرامة الجيش قد أعطبت وفقد الإتحاد السوفيتى قوته الرابطة المتمثلة فى الجيش الأحمر ، فبدأ تصدع الأمبراطورية .

* وبالمثل سوف تتصدع وتنهار الأمبراطوريتان الأمريكية والإسرائيلية تحت ضربات حرب المطاريد غير التقليدية .

فقد رأينا كيف دافع حزب ا فى جنوب لبنان ـ ببراعة مدهشة ـ عن مدنه الحدودية ، التى كانت بمثابة مراكز أو قواعد ذات قيمة إستراتيجية ـ مثل مدن مارون الراس وبنت جبيل وعيترون .

فكان عمله الدفاعى تطبيقا مثاليا لما يجب أن يكون عليه دفاع المجاهدين عن قواعدهم الجبلية الثابته . مع خصوصية واضحة هى إفتقار حزب ا إلى العمق الإستراتيجى ، حيث أن قواعده الحيوية على مسافات قريبة جدا من خط إنطلاق حملات العدو الأرضية . وهذا خلاف الوضع الأفغانى الذى تمتع بميزة العمق المناسب. ومن حسن حظ حزب ا أن عدوه ـ إسرائيل ـ يفتقر أيضا إلى العمق الإستراتيجى الكافى لإتقاء ضربات معاكسه بسلاح الصواريخ لأهدافه الحيوية فى العمق . لقد أبدع حزب ا فى معالجة نقاط ضعفه الإستراتيجية وإستثمار نقاط ضعف خصمه الإستراتيجية.

تميز حزب ا عن الوضع الأفغانى بميزات منها : وحدة القوات " إلى جانب تدريبها العالى وتسليحها المتطور" ،ثم وحدة القيادة والسيطرة الكاملة على القوات فوق كامل مسرح العمليات .

وجميعها نقاط ضعف قاتلة عانى منها المجاهدون الأفغان . فقد دافعوا عن قاعدتهم ، فى ظل تعدد المجموعات والقيادات ، وإنغماس مجموعة فى الدفاع عن منطقة حيوية بينما باقى المجموعات فى سلبية مطلقة كأن معارك جاور تدور فوق كوكب آخر. وكانت مواقع حيوية للعدو مكشوفة تماما بحيث كان يمكن ببساطة توجيه ضربات هائلة وتحقيق إنتصارات مذهلة فى أماكن لا تبعد كثيرا عن جاور. ناهيك عن عمليات خيانة تكلمنا عنها فى موضعها.

· من الصعب تصور حدوث إنتصار لحركة مقاومة تعانى من تعدد التنظيمات وتشرذمها. ومن هنا يأتى الخوف على المقاومة فى كل من فلسطين والعراق ، بينما المقاومة الجهادية فى أفغانستان ضد أمريكا والناتو قد تخطت لحسن الحظ مرحلة التشرذم ، فالحركة الأساسية للشعب والمجاهدين تعمل تحت قيادة سياسية وعسكرية واحدة. وتحاول أمريكا وباكستان وأصدقاء آخرون إفتعال تعدد فى تنظيمات المقاومة حتى يتمكنوا من إفشال المشروع الإسلامى فى أفغانستان. فتعدد التنظيمات يعكس حقيقة التدخل الخارجى من أطراف متعددة ، بل وتخفى حقيقة إختراقات العدو لصفوف المقاومة. وفى نهاية المطاف تعلن بعض فئات المقاومة إنحيازها الصريح إلى جانب العدو ، وتكون تلك الحقيقة واضحة ومعلومة منذ البداية ، ولكن الآمال والتمنيات تمنع الإعلان عنها.

حدث ذلك فى أفغانستان فى الحقبة السوفيتية ، ويحدث حاليا فى فلسطين والعراق .
من أجل هذا لجأت بعض حركات المقاومة فى الماضى إلى ضرب التنظيمات الجديدة لمنع تلك الظاهرة. لهذا ترافقت بشكل شبه دائم عمليات الحرب ضد العدو المحتل مع عمليات القتال ضد محاولات إختراقات الجبهة الداخلية بواسطة إفتعال تنظيمات مقاومة تعمل كعيون فى الجبهة الداخلية، وتعمل على تفتيت المقاومة المسلحة.
تلك من أصعب النكبات والمحن التى تقابل مجموعات المقاومة فى أى بلد.

نعود إلى تكتيكات المجاهدين للدفاع عن قواعدهم الثابتة فنقول أنها تنقسم إلى جزئين :

١ ـ الدفاع الدائرى الثابت، عن محيط القاعدة. ومهمته التصدى لأى عمليات تسلل أو إبرار جوى، الذى كثيرا ما يلجأ إليه العدو. لذا يزود المدافعون بصواريخ مضادة للطائرات ، ورشاشات ثقيلة، وقواذف صاروخية، مع حقول ألغام مغطاة بالنيران. وبالطبع فإن هذه التجهيزات تتصدى للهجمات الأرضية المحتملة.

٢ ـ الدفاع المتحرك. ويعتمد على أسلوب الكمائن المتتابعة على محاور التقدم المحتملة، ومهمتها عرقلة تقدم العدو وتكبيده الخسائر بهجمات على مجنبة قواته المتقدمة ومؤخراتها.

عندما يؤدى أفراد الكمين مهمتهم ويجتازهم العدو، فإنهم ينسحبون فى إتجاه القاعدة وينضمون إلى قوة الكمين التالى فتزداد قوته وتزداد مشاكل العدو هناك.

القوة المهاجمة تكون فى العادة ضخمة العدد ولها خط إمداد أرضى، فهو إذن هدف تقليدى لهجمات رجال العصابات المتمرسين.

تتوالى الكمائن المتدرجة حتى تتجمع قوتها عند القاعدة لتوحيد كامل الطاقة فى معركة رئيسة حول القاعدة.

أثناء عرقلة العدو بالكمائن المتدرجة تكون القاعة نفسها قد أخليت من كل ما له قيمة، حتى يستلمها العدو وهى فارغة، هذا إن ظلت لديه الرغبة أو القدرة على مواصلة القتال من أجل إقتحام قاعدة حجرية فارغة مليئة بالأفخاخ المتفجرة.

قوات الدفاع عن القاعدة تتحول من الدفاع الدائرى إلى الإحاطة الدائرية بالقاعدة فى حال إقتحمها العدو بالفعل.

فى العادة لايمكث العدو طويلا فى تلك الأماكن الخطرة فينسحب منها سريعا. وهذا هو الوقت الأنسب للمطاردة التى تكون خسائر العدو فيها أفدح. فيلاقى وداعا أسوأ بكثير من الإستقبال الذى صادفه.

القواعد فى العادة تحيطها جبال شامخة فهى المكان المناسب لكمائن صاروخية لطائرات الهيلوكبتر التى يزداد نشاطها بشكل إستثنائى لنقل كبار الضباط والجرحى.

(أثناء معارك جاور ٨٥ أسقط المجاهدون من فوق أحد الجبال طائرة هيلوكبتر سوفيتية تحمل طاقما قياديا هاما وكان ذلك من أسباب فشل الحملة)
* *

قوات المطاريد النظامية:

يقول الخبراء أن قوات المطاريد فى هذه المرحلة تظهر بها تشكيلات نظامية تقليدية، مزودة بالأسلحة الثقيلة، وتستخدم فى التكتيكات النظامية فى قتالها.(وهذا هو قول ماو تسى تونج). ويرى آخرون أن هذا القول به مبالغة، فالذى نراه فى هذه المرحلة هو قوات عصابات كبيرة العدد ومزودة بالأسلحة الثقيلة.(وهذا هو رأى الجنرال الفرنسى بوفر)، وهو الرأى الأصوب.

فتزويد المطاريد بتلك الأسلحة وتدريبها على تكتيكات جديدة، لاينزع عنها طبيعتها الأصلية كونها قوات عصابات، تظل تتصرف بنفس الروحية. فأسلحتهم تكون دوما أقل من المطلوب، وكذلك أعدادهم. وأى جيش نظامى فى وضعيتهم يستحيل عليه تحقيق شئ يذكر ولكن لأنهم يحتفظون بخصائص رجال حرب العصابات المعنوية والذهنية فإنهم يحققون الكثير جدا.

ونضرب مثلا بعملية إقتحام مدينة خوست فى أفغانستان وهى الحالة الوحيدة فى الحرب الأفغانية، وكانت سببا فى سقوط النظام الشيوعى فى كابول.

فى هذه المعركة هاجم حقانى برجاله فى ظل إختلال كبير فى موازين القوى بلغ نسبة خمسة إلى واحد لصالح العدو فى قوات المشاة، وسته إلى واحد فى الدبابات.

وتمتع العدو بمظلة جوية لم يحدث لها نظير فى الحرب الأفغانية.

ذلك ليس بأداء قوات نظامية، إنه نفس المجاهد القديم ولكن:

بأعداد أكبر/ وتسليح أثقل/ وتكتيكات جديدة.

ولكنه لم يتحول أبدا إلى جندى نظامى. (وللتأكد من ذلك نرجوا مراجعة كتاب فتح خوست من سلسلة أدب المطاريد) .

وكذلك حزب ا فى لبنان الذى إمتلك قوات أكثر تدريبا وإنضباطا، وحتى ملابسهم كانت عسكرية تماما، بعكس الأفغان، إلا أنهم ظلوا مقاتلى عصابات من الطراز الأول. فلم يكن فى مقدور أى قوات نخبة فى أى جيش فى العالم أن يظهر مثل ذلك الأداء أو أن يحقق مثل تلك النتائج التى قادت قوات النخبة الإسرائيلية التى تواجههم، إلى الإنهيار النفسى والفرار من أرض المعركة.

مشاة ودبابات وصواريخ:

من التكتيكات الجديدة التى تظهر فى تلك المرحلة هى الهجمات الكبيرة بالمشاة المصحوبين بالدبابات، وتساندهم راجمات الصواريخ والمدفعية. وذكرنا أن الراجمات كانت هى الأهم فى أفغانستان،نتيجة وفرة الذخائر نسبيا وكثافة النيران.

فى المناطق الريفية، التى أصبحت الآن ميدان القتال الأساسى، تختفى تقريبا عمليات الحصار الطويلة التى كانت شائعة فى المرحلة السابقة من أجل أسقاط المواقع الجبلية المنيعة. فى مناطق الريف المفتوحة تعتمد العمليات فيها على الهجمات المركزة العنيفة. وإستخدام الدبابات يحتاج إلى عناية كبيرة لأنها تواجه دبابات معادية أكثر

عددا وأوفر ذخيرة. ومعضلة الطيران تجعل تكتيكات الدبابات حرجة جدا حتى لاتدمرها الطائرات. ويراعى بدقة أمور التوقيت فهو غالبا إما فى الصباح الباكر جدا أو قرب غروب الشمس، حتى لا يكشف الضوء أماكنها للطائرات ودبابات العدو.

وقد أبدع سائقوا الدبابات فى خوست فى الإستفادة من تضاريس الأرض، خاصة الجروف، وكذلك الأشجار والبيوت المهدمة ومجارى السيل. ببساطة لقد حولوا الدبابة، ذلك الجبل الحديدى، إلى رجل عصابات ذكى وخفيف الحركة وفى أحيان كثيرة خفيف الظل، جرئ ومغامر.. وفى الأخير ... الأخير : مدمر ومخيف.

(راجع أداء الدبابات فى معارك نادر شاة كوت، ودراجى، ومناطق دير ملك وإسماعيل خيل. فى كتب: "الحماقة الكبرى" ـ "المطار٩٠" ـ فتح خوست ـ من كتب أدب المطاريد)

القتال فى الجبال لا ينتهى بشكل كامل فى هذه المرحلة، بل تدور معارك عنيفة جدا من إجل الإستيلاء على السلاسل الجبلية التى يرتكز عليها دفاع بعض المدن. هذه الجبال تتميز بخطوط إمداد قصيرة وآمنة مع المدينة، لهذا تكون دفاعات العدو أقوى لأن إمداد القوات المدافعة تكون كثيفة وسريعة **(أنظرعملية فتح جبل تورغار كتاب" المطار٩٠").**

<u>شبكة الطرق:</u>

تكون للمجاهدين فى هذه المرحلة شبكة طرقهم الخاصة، التى أنشأوها بأنفسهم فى الجبال والمنطق الريفية التى حرروها.

لهذه الطرق أهمية قصوى فى العمليات لأنها تسهل تحريك المعدات الثقيلة والقوات والإمدادات التى تنقل الآن على الشاحنات وسيارات النقل الخفيف.

ويمكن قياس درجة أهمية منطقة من عدد الطرق التى شقها المجاهدون فيها. وهى على بساطتها وبدائيتها مكنت المجاهدين من تحقيق مفاجآت تكتيكية مذهلة، وحسم الكثير من المواجهات العسكرية الهامة لمصلحتهم. لهذا كان الطيران المعادى يقصف تلك الطرق بشكل روتينى.

<u>المغارات:</u>

المغارات لها أهمية إستراتيجية فى هذه المرحلة، وهى معلما هاما لها. فالعدو الذى قاص مجهوده القتالى على الأرض، زاد من مجهوده الجوى. ولا سبيل لمواجهة ذلك إلا بالتوسع فى الحفريات كما ونوعا. فتنتشر أفقيا بشكل كبير، وتتحسن هندسة بنائها للتتحمل القصف بالقنابل الثقيلة (العدو بدورة يبتكر أنوعا جديدة من قذائف الطائرات الى تخترق الأرض عميقا لتدمير المغارات).

إن التكافؤ المفقود بين المجاهدين وأعدائهم تعوضه الحفريات.

{ * القائد الماهر فى الدفاع يختبئ فى الأرض التاسعة، والقائد الماهر فى الهجوم ينقض كالبرق من أعالى السماء.

*المقاتل الماهر يقف فى مكان يستحيل هزيمته فيه. ـ "**صن يزو**" }

{وينسب إلى "**ماوتسى تونج**" قولا مشابها:

عندما تكون ضعيفا أحفر فى الأرض عميقا مثل الجرزان، وعندما تكون قويا إنقض من أعلى كأنك عقاب}

· أثناء إحتدام المعارك فى خوست قال رئيس النظام فى كابول أن مجهود الطيران هناك قد ضاع هباء بسبب المغارات. وأخذ يكيل السباب فى الإذاعة للحفارين من أبناء ولاية وردك العاملين فى حفريات خوست، طالبا منهم القدوم إلى كابول وأخذ ما يشاؤون من أموال.

فى مرحلة دفاعهم الأولى يقوم المطاريد بعمليات حفر بسيطة، بهدف الإختفاء ، وتخزين بعض الأسلحة والمهمات ولكن الحفريات فى مرحلة التوازن تصبح من المعالم البارزة للمرحلة نفسها.

تشكل المغارات وشبكة الطرق معا، معلما لمناطق عسكرية ضخمة، ستصبح مرتكزا لعمليات المرحلتين القادمتين: التوازن ثم الهجوم الإستراتيجى.

وغالبا ماتكون القاعدة الجبلية الثابتة، التى تكلمنا عنها، هى ضمن ذلك المجتمع القتالى الموسع، بل قلبه النابض وعقله الإدارى والعسكرى. وفى تلك البؤرة العسكرية القوية والمترامية الأطراف تزداد تلك القواعد الجبلية مناعة، وتستعصى على الإجتياح.

العمل التخصصى:

العمل العسكرى يعرف التخصص بشكل بارز. فالأسلحة الجديدة مثل المدافع والراجمات والدبابات تحتاج إلى أطقم متخصصة فى التشغيل والصيانة.

وتشتد الحاجة إلى أجهزة اللاسلكى لربط المناطق المحررة المتنامية، وللسيطرة على القوات. وأيضا لإعتراض إتصالات العدو أو التشويش عليها.

وهناك سلاح الهندسة الخاص بشق الطرق وحفر المغارات والتعامل مع الألغام والقنابل غير المنفجرة. وهناك التدريب المتقدم ، وأساليب القتال الجديدة.

وتكلمنا عن أهمية ذلك فى الإقتصاد فى إستهلاك الذخائر بأنواعها خاصة الثقيلة منها.

القوة المركزية:

وهى بمثابة قوات الصفوة فى الجيوش النظامية. وهى نواة الجيش فى مرحلة تأسيس الدولة التى تلى الإنتصار النهائى.

من ناحية التدريب والتجهيز تكون تلك القوة فى مستوى أعلى من باقى القوات الجهادية، وكذلك المستوى الفكرى والثقافى.

تلك القوة تكون تحت السيطرة المباشرة للقيادة العليا،وهى التى تقررتحريكها إلى مسارح عمليات بعينها، تكون ذات أهمية خاصة.

أنواع قوات المطاريد:

وبهذا تكون قوات المطاريد فى هذه المرحلة على ثلاث مستويات:

١ ـ القوة المركزية. ٢ ـ قوات الأقاليم. ٣ ـ القوات الدفاع المحلي.

تكلمنا عن القوة المركزية، أما عن النوعين الآخرين وهما:

قوات الأقاليم: فالقيادة العسكرية تقسم البلاد إلى قطاعات عسكرية،طبقا لإعتبارات جغرافية أساسا، مع مراعاة الوسط السكانى من عرقيات ومذاهب.
يكون لكل قطاع قيادة عليا تدير العمل العسكرى والسياسى فى الإقليم طبقا للإستراتيجية التى تحددها القيادة العامة.
قوات الدفاع المحلى: وهى مكونة من سكان القرى الموالين للحركة. يتم تسليحهم وتدريبهم، وتعين الكادر القيادى لهم. مهمة هذه القوة هى حفظ الأمن، وضرب اللصوص وقطاع الطرق، وضرب عمليات التسلل المعادى ونشاط الجواسيس. ثم التصدى لأى هجمات معادية إلى حين وصول النجدات من قيادة القطاع التى تتولى تدريبهم وإمدادهم بالذخائر ومعدات إتصال لاسلكى، وتحدد لهم خطط الدفاع عن المنطقة.
0000

إدارة المناطق المحررة:

المناطق المحررة تشهد نوعا متقدما من الإدارة المحلية الشاملة وليس فقط فى مجال الدفاع والأمن. فهناك كل الخدمات الضرورية لإستمرار الحياة بشكل طبيعى فى ظل السلطة الجديدة. مثل الخدمات الزراعية والطبية والتعليمية والقضائية، ومن إجمالى تلك النشاطات تظهر سمات النظام السياسى القادم وتوجهاته.
وبما أن المرحلة هى مرحلة قتال من أجل طرد محتل أجنبى وحاكم ظالم مستند إليه. فقوات المطاريد بأنواعها تكون معقد آمال الأمة، وبسالتها وتضحياتها وسلوكياتها الراقية مع الناس تكون خير دعوة لهم كى ينضموا للحركة ويقدموا العون لها.
0 فى حالة عدم توافر وحدة القيادة، وتعدد التنظيمات المسلحة فإن إختلال الأمن يستفحل، وتختفى الخدمات أو تقل كثيرا وتنتشر عمليات السطو وقطع الطرق، ويكثر الجواسيس، ويسهل على العدو تنفيذ سياسة الأرض المحروقة، فتصبح الأرض المحررة أرضا خالية من السكان. بل مزروعة بالعناصر الفاسدة المتعاملة مع العدو.
فى أفغانستان تعددت التنظيمات المسلحة وكثرت العناصر الفاسدة المندسة بها، فأدى ذلك إلى صراعات مسلحة وعدوان على الناس، الذين إستنجد بعضهم بالجيش الحكومى لإنقاذهم من هؤلاء المجرمين.
إن تعدد التنظيمات هى من أكبر الأخطار التى تهدد عملية التحرير فى أى بلد. وكما ذكرنا فإن أحد وسائل مقاومة حركات التحرر هو المساعدة فى تعدد التنظيمات وتنوع إتجاهاتها ثم إشعال نيران التنافس ثم الإقتتال فيما بينها.
0 أن توحيد التنظيمات واجب أساسى لإنجاح حركات التحرر. والوسائل السلمية والتفاهم هو خير السبل، وإلا فإن القتال سيحدث بالإختيار أو بالإجبار.
والقوات الجهادية فى أفغانستان كانت قبلية.وكان لهذا آثارة الإيجابية والسلبية. ولكن إذا تشكلت قوة جهادية فوق قبلية، فإن معاقبة المجرمين تصبح أيسر إذا تمت وفق أحكام الشريعة. وهذا ما حدث مع حركة طالبان عندما سيطرت على البلاد وحكمت

بالشريعة، فلم تجد مقاومة قبلية لأحكامها على المجرمين. ولو أن مثل هذا الوضع قد حدث منذ بداية الجهاد ضد السوفييت لتغير تاريخ أفغانستان والعالم.

تكتيكات العدو فى مرحلة التوازن:

يقل نشاط العدو على الأرض. فيميل أكثر إلى الدفاع الثابت عن المدن والمواقع الإستراتيجية ولكنه مازال قادرا على الوصول إلى أى نقطة داخل البلاد. وأهم نشاطاته فى تلك المرحلة هى حملاته الضخمة والمكلفة على القواعد الثابته للمطاريد. الذين إذا أحسنوا عمليات الدفاع عنها فإن النتائج تكون ضارة جدا على قوات العدو وتزيد من ضعفها وتفككها. هناك الهجمات الجوية أو بالقوات المحمولة على خطوط إمداد المطاريد وبعض تجمعاتهم المنعزلة. وهى أهداف أسهل تمكن العدو من إحراز مكاسب ذات قيمة دعائية لاغير. وسريعا ما يعالج المطاريد نتائجها. يظل الطيران وسوف يستمر إلى نهاية الحرب هو العمود الفقرى لنشاط العدو عسكريا، تلية الصواريخ. وتظهر ذخائر اشد فتكا يستخدمها العدو ، مثل القنابل العنقودية، وقنابل ضد المغارات، والغازات السامة، والألغام التى تنثرها الطائرات من الجو. وذلك كلة يكون محدود التأثير بالنسبة لقوات مطاريد متمرسة، ولكنه ضار جدا بالسكان. الذين يتمكنون، وبمساعدة المطاريد من إكتساب المهارات اللازمة لفن البقاء وسط تلك المهالك.وتزداد مسئوليات المطاريد لأن الوسط السكانى الذى حرروه قد أصبح كبيرا، فتصبح وقاية هؤلاء والدفاع عنهم مسئولية أدبية وسياسية كبيرة جدا.

0000000

C ـ الـسـيـاسـة

سياسة المطاريد فى مرحلة التوازن الإستراتيجى:

فى هذه المرحلة يبدأ المطاريد العملية التفاوضية مع أعدائهم. وهى العملية التى إمتنعوا عنها فى المرحلة السابقة للأسباب التى شرحناها.

فتح باب المفاوضات يكون السمة الأهم لنشاط المطاريد السياسى فى هذه المرحلة.

عملية التفاوض تكون غالبا مترافقة مع هدنة مؤقتة للعمليات العسكرية.

جولة المفاوضات تكون مسبوقة بمعارك عنيفة، فى محاولة من كل طرف إحراز إنتصارات تحسن مركزه التفاوضى فى جولة المفاوضات القادمة.

وهكذا ينقضى الأمر فى مرحلة التوازن تلك مابين جولات قتال عنيفة، وجولات. مفاوضات أصعب وأخطر.

يكون الطرفان كليهما فى حاجة إلى فترات الهدنة لتحسين مواقعه القتالية، وإمداد قواته بالعتاد والطعام ونقل الجرحى ، وإستبدال القوات المنهكة بأخرى جديدة نشطة.

لا أحد يحترم الإتفاقات إلا بقدر حاجته إليها، سواء كان الإتفاق هدنة عسكرية أو كان صفقة سياسية. فلا يتوقع المطاريد أن عدوهم سوف يحترم أى إتفاق سياسى أوهدنة عسكرية. فالعدو لايحترم إلا لغة القوة،وهودائما غادر ومخادع. لهذا فالحذر واجب

دائما، وأى إعتذار فى هذا الصدد غير مقبول. وبغير حقائق القوة على الأرض وإنجازات قوات المطاريد، لايستعيد الشعب أى شئ من حقوقة، ولا يكون هناك أى جدوى من التفاوض.

وكما أنه غير ممكن أومعقول أن يتولى طرف آخر القتال نيابة عن المطاريد من أبناء الشعب "**كما حدث فى العراق مثلا إذ قاتلت أمريكا نظام صدام نيابة عن شعب العراق فكانت النتيجة المعروفة**"، بنفس القدر لايمكن ومن غير المسموح أن يتولى طرف آخر عملية التفاوض نيابة عن المطاريد، مهما بلغت درجة الصداقة أو قوة التحالف بين المطاريد وذلك الطرف.

أن يتولى طرف آخر التفاوض نيابة عنهم يعنى بيع دماء ومعاناة الشعب وكل آمالة لهذا الطرف.ولا يعنى فعل ذلك سوى خيانة عظمى متكاملة الأركان. أو أن المطاريد كانوا يخوضمن حربا بالوكالة. وهذا ماحدث فى حرب الأفغان مع السوفييت إذ تركوا العمل السياسى لقضيتهم كاملا لليد الباكستانية الآثمة، التى ساومت به الولايات المتحدة للحصول على المزيد من الرشاوى المالية والسياسية. وما زال الشعب الأفغانى يعانى من خيانة قادة الأحزاب "الجهادية" الذين كانوا مجرد سماسرة حرب وتجار دماء.

بل أن عملية التفاوض يقوم بها من جانب المطاريد قيادات مارست العمل القتالى بكل معاناته وتفاصيله. ولا يستخدمون لذلك عناصر فنية من التكنوقرط. لأن المقاتلين هم الأحرص على دماء شعبهم وإخوانهم من أن تضيع فى مساومات أو مجاملات أو رشاوى وشهوة الوصول إلى السلطة.

حتى عندما يصل المطاريد إلى سدة الحكم فإن قيادة عملهم السياسى فى وزارة خارجيتهم تظل فى أيدى القيادات العسكرية الميدانية، حرصا على سلامة التوجه السياسى لنظام قام على دماء الآلاف من إخوانهم ومعاناة الملايين من أفراد شعبهم.

إن دور طبقة الفنيين "التكنوقراط" فى وزارة الخارجية ينبغى أن لا يتعدى العمل الفنى فقط وليس رسم السياسات، فهذا عمل من خاضوا العمل القتالى. ويمكنهم الإستعانة فى ذلك بأفضل من يمكن الثقة بهم من الفنيين السياسيين.

إن إنفصال عملية التفاوض السياسى عن العمل العسكرى المقاوم لهى من أشد الأخطار التى تطيح بتضحيات أى شعب. وإنفصال القيادة السياسية عن العملية القتالية تقود إلى نفس النتيجة المهلكة.

والأشد خطورة هو أن يكون العمل الجهادى المقاوم فى جهة بينما العمل السياسى واقع فى يد أخرى مساومة أو متواطئة وخائنة. حدث ذلك فى الكثير من التجارب المريرة منها ماهو حادث حاليا فى فلسطين ولبنان. حيث هناك حكومات تدخل العدو فى تشكيلها. أما فى أفغانستان والعراق فالحكومات تعادى المقاومين صراحة، فهى حكومات إحتلالية، شكلتها عناصر أحضرها المستعمر فى جعبته عندما إجتاح البلاد.

والمقاومة العراقية الممزقة لايمكنها بوضعها الراهن أن تنهى مقاومتها المسلحة بنجاح أو أن تدخل فى أى عمل سياسى ناجح سواء فى مجال التحالفات أو مجال التفاوض، الذى بدونه لايمكن دخول مرحلة ما بعد حرب التحرير.

المواقف التفاوضية:

فى جولات التفاوض آنفة الذكر تكون مواقف طرفى التفاوض، ومواقف الأطراف الواقفة على حافة التفاوض،هى تقريبا كالتالى:

· بشكل عام يكون موقف المطاريد هو إستبدال الحكومة القائمة بحكومة جديدة يشكلها المطاريد، لأن المطلوب حقيقة هو إستبدال النظام وليس الحكومة، فلا تقوم حرب طويلة عريضة بكل آلامها وتكاليفها، لمجرد تشكيل حكومى جديد. وتعرض الحركة على أعدائها الداخليين عفوا مشروطا، ومحاكمة المجرمين منهم أو مغادرتهم البلاد إلى حيث يشاؤون.

· بينما يكون موقف المستعمر"أو الحكومة العميلة" هو تشكيل حكومة جديدة يشارك فيها المطاريد. وتعرض عليهم "عفوا عاما" ومشاريع تنموية فى المناطق المحرومة "رشوة مالية" تمولها "الدول المانحة" التى منها بالطبع السعودية ودول الخليج.

· يصر المطاريد منذ البداية على أن يكون التفاوض بين طرفين هما المطاريد والدولة المحتلة،أو الراعية للحكم المحلى العميل. ذلك لضمان جدية التفاوض. فالذى يفاوض هو الذى يمتلك مفاتيح القوة الفعلية على الأرض. وماسوى ذلك يكون خداعا وإضاعة للوقت.

· أثناء جولات التفاوض تكثر المبادرات ومجهودات الوساطة وجميعها تهدف إلى قطع الطريق على حل نهائى يكون فى صالح المطاريد. تكون العروض على هيئة حلول وسط ولكنها منحازة إلى الطرف الآخر. تحتوى عروض الوساطة، التى قد تأتى من جهات دولية كالأمم المتحدة، على مكاسب شكلية وميزات سطحية يسهل الإنقضاض عليها بعد أن يضع المطاريد سلاحهم. فترجع الأمور إلى ماكانت عليه.

· فى أفغانستان، بعد الإنسحاب السوفيتى، كانت الأمم المتحدة، ناطقا رسميا بإسم الولايات المتحدة، والمروج لمشروعها فى أفغانستان، الذى كان يهدف إلى إستبعاد المجاهدين عن الحكم، وإستبعاد أى إمكانية لحكم الشريعة ، مع عناية خاصة بإستبعاد العرب المجاهدين من أفغانستان وعدم السماح لهم بالإستقرار فيها، بل طردهم وإعتقالهم وتسليمهم إلى حكومات بلادهم حتى تستكمل ما فشل فيه الجيش الأحمر.. أى قتل هؤلاء المجاهدين.

سياسة العدو فى مرحلة التوازن:

ـ تستمر الحملات الإعلامية المركزة ضد المطاريد. ولكن العروض السياسية المقدمة لهم سرا تصبح أكثر سخاء، وتصل إلى حد الإشراك فى الحكومة.

ـ هذا مع إستمرار محاولات الرشوة الشخصية لبعض قيادات الصف الأول والثانى.
ـ يقوم العدو بإصلاحات جزئية لاتمس صلب النظام، بهدف إسترضاء الناس وسحب تأييدهم للمطاريد. تزداد الإصلاحات وتتسارع مع زيادة حرج موقفه القتالى.
ـ تستمر محولات إسترضاء وتطمين النظام لحلفائة فى الخارج، والمستثمرين والمقرضين، ولكن من موقف أشد ضعفا.
ـ فى حال وجود دولة جوار حليفة للمطاريد، يكون الوصول إلى حل معها له أولوية قصوى. وتقديم تنازلات للجار أو رشاوى قيمة ، مثل تنازلات عن أرض أومياه أو نفط وغيرها، أهون من سقوط النظام وضياع كل شئ، وذهابه إلى المطاريد.
....

ثالثا ـ مرحلة الهجوم الإستراتيجى (مرحلة الحسم العسكرى)

****

A ـ الإستراتيجية

الإستراتيجية العسكرية للمطاريد:

يؤدى الهجوم الإستراتيجى فى المرحلة السابقة إلى إنحسار النفوذ السياسى والعسكرى لنظام الإحتلال إلى داخل المدن الرئيسية والقليل جدا من الأرياف القريبة منها. ومرحلة الهجوم الإستراتيجى هى مرحلة الهجوم على تلك المدن لإقتلاع النظام عسكريا، فى سلسلة معارك تنتهى بإقتحام العاصمة نفسها.

ومن علامات تلك المرحلة ومظاهرها، تزايد القواعد الجبلية فى أنحاء البلاد، بل وقواعد أقل أهمية فى المناطق الزراعية أو على حوافها عند إلتقائها مع الجبال. وتستخدم كمرتكزات لتحرير الأرياف ومن ثم الهجوم على المدن القريبة.

قواعد المجاهدين فى المناطق الريفية تظل معرضه للضربات الحيوية لذا تكون قيمتها ثانوية جدا ، وهى غالبا قواعد سرية، أو مؤقتة ومتنقلة وتستخدم كمخازن أو لتقديم خدمات الأيواء المؤقت أو الخدمات الطبية .

تبدأ عملية إقتحام المدن بالمدن الأضعف والأصغر. وفى العادة تحاصر المدن لفترات طويلة ، وتستنزف بهجمات متواصلة وأعمال فدائية من داخلها ، وضرب مطاراتها . وغالبا ما تكون الحامية العسكرية قابلة للإستسلام الطوعى أو لقاء مقابل أموال تدفع لكبار الضباط الذين يعرفون أن رهانهم على النظام خاسر وأن النظام الجديد قد يحاسبهم، فيفضلون أخذ الأموال والفرار إلى الخارج .

تزداد حالات الفرار من الجيش خاصة فى المدن المحاصرة. وكذلك الفرار من الميليشيات وأجهزة الأمن ، ويغادر السكان المدن قبل نشوب المعارك ، وحتى قبل ذلك لأنهم يتضررون من الحصار .

كلما سقطت مدينة تزود المجاهدون بغنائمها من أسلحة وطعام وذخائر ومعدات ، فتزداد قوتهم وقدرتهم على مهاجمة مدن أقوى .

لا يشترط أن تكون العاصمة هى آخر المدن سقوطاً ، إذ ربما تستسلم قبل ذلك وربما تطرأ ظروف داخلها تستدعى مهاجمتها وإقتحامها. ولكنها نادرا ما تكون أول المدن سقوطا. إلا فى حالات خاصة مثل إنقلاب عسكرى مفتعل أو حقيقى يحاول به ضباط كبار الإلتقاء مع النظام القادم قبل فوات الفرصة. وربما يطمعون فى مقاسمتة الغنائم . وربما يخادعون برفع شعاراته حتى يسحبوا البساط من تحت أقدام المطاريد ويسرقون منهم ثورتهم، وينفض الناس عنهم مادام الجيش تحرك وسوف يحقق الأهداف المنشودة بدون المزيد من المعاناة والدماء. أثناء تلك المرحلة فى أفغانستان أحبط النظام العديد من المحاولات الإنقلابية دبرها كبار الضباط، كان هدفهم حجز مواقع متميزة فى النظام الجديد بإعتبارهم منقذين وليس مجرمى حرب. ولهذا بادر قائد الميليشيات الشيوعية رشيد دوستم بالإنقلاب على النظام والإستيلاء على مزار شريف بالتعاون مع القائد الميدانى مسعود. فكانت أبرع الضربات لحرف الجهاد فى محطته النهائية.

* بشكل عام يحاول النظام فى هذه المرحلة الإستمساك بالمدن الأساسية كلها فى يده، وأن يبقى الطرق والمطارات مفتوحة .

ويضغط مع حلفائه للوصول إلى تسوية سياسية مع المطاريد على أساس مشاركة فى السلطة كل طرف ينال بقدر ما فى يده من أوراق : النظام معه العاصمة والمراكز الصناعية والمدن الهامة . والمطاريد معهم جبال لا قيمة لها ومزارع فقيرة . إذن فلتتم المشاركة حسب تلك النسبة ولكن ما أن يتمكن المطاريد من إنتزاع المدينة الأولى حتى يبدأ تصدع سريع للنظام، وتتسارع وتيرة تنازلاته وحتى تنكمش فى النهاية إلى مجرد إعطاء رموزة الكبيرة ممرا آمنا للهروب خارج البلاد .

ومن المعروف أن نظرية أمن النظام فى هذه المرحلة هى إبقاء المدن الأساسية فى قبضته. وأن تلك النظرية تنهار بمجرد سقوط المدينة الأولى . وعندها يكون وقت التفاوض والمساومات قد أنقضى . هذا على إفتراض أن المقاومة المسلحة موحدة القيادة عسكريا وسياسيا .

فى أفغانستان دخل المجاهدون مرحلة الهجوم الاستراتيجى " الحسم العسكرى" وهم فى حالة سياسية يرثى لها . وكانت "المنظمات الجهادية!!" قد وافقت سرا على الطرح الأمريكى لمقاسمة النظام الشيوعى السلطة فى كابول .

وبينما حقانى يتجهز لاقتحام مدينة خوست ـ واحدة من المدن الرئيسية السبع ـ أصدر رئيس أحد المنظمات الجهادية "صبغة ا مجددى" فتوى تقول بأن حقانى باغى لأنه يهاجم المدن وهذا عمل منافى للإسلام لأنه يعرض حياة الناس للخطر وأن القتال ضد النظام بعد رحيل السوفييت أصبح قتالا ضد الشعب الأفغانى !!! .

* الساسة الفاشلون المنفصلون عن شعبهم وجهاده، لا يطيقون الإنتصار ويحاربونه بشتى السبل واضعين أيديهم فى أيدى كافة الشياطين .

وقد رأينا شيئا مشابها فى لبنان فى أعقاب إنتصار حزب ا على الجيش الإسرائيلى عام ٢٠٠٦، أذ تصدى سياسيون خونة لإدانة الإنتصار والمطالبة بنزع سلاح المسلمين المنتصرين .

ورأينا فى فلسطين مثالا آخر للساسة الخونة الذى يتآمرون مع اليهود وكل الشياطين الآخرين من أجل نزع سلاح المقاومة الإسلامية وذبح المقاومين، لمجرد بقائهم على كراسيهم وقبول العدو بهم كسلطة شرعية خائنة ومعترف بها دوليا. .

الإستراتيجية العسكرية للعدو:

ـ التشبث بالمدن والطرق الرئيسية إلى حين الوصول إلى تسوية سياسية.

ـ إضعاف المطاريد عسكريا بإستنزاف طاقتهم فى مناطحة دفاعات المدن المنيعة. وكلما فشلت هجماتهم كلما تحسنت فرص النظام فى الوصول إلى صفقة سياسية.

ـ إضعاف المطاريد عسكريا يشمل تكثيف الضغط الجوى على قواعدم الثابتة الكبيرة والفرعية وطرق الإمداد، الداخلى أو القادم من خارج الحدود.

ـ ويشمل أيضا تسليح المجموعات السكانية المعادية للمطاريد أوالتنظيمات المنشقة عنهم. والمطالبة بالإعتراف بهم كطرف فى المفاوضات. أوالتنازل لهم عن مناطق شبه مستقلة يديرونها ويدافعون عنها بأنفسهم.

ـ ويشمل أيضا قصف مراكزهم وراء الحدود، لتشكيل ضغط عسكرى وسياسى على المطاريد وحلفائهم. **(قد يقوم العدو بذلك العمل منذ مرحلة التوازن أوحتى الدفاع الإستراتيجى)**

*****

B ـ الـتـكـتـيـك

تكتيكات المطاريد فى مرحلة الهجوم الإستراتيجى :

تتآلف قوة المطاريد من كتائب من المشاة المدعومة بالدبابات والمدفعية وصواريخ الكتف المضادة للطائرات. وربما أيضا بطاريات مدافع ثقيلة ضد الطيران .

فى هذه المرحلة يتمكن المطاريد من الحصول على أسلحة أكثر تطورا مضادة للدبابات والطيران لأن قوتهم المتصاعدة تجذب لهم المزيد من الأصدقاء الهامين الراغبين فى التمهيد لمرحلة صداقة مع حكم قادم سادته هم المطاريد .

الأسلحة الثقيلة بالذات الدبابات والمدفعية هى محور العمل العسكرى فى هذه المرحلة من الهجمات الحاسمة.

قوات الصفوة (القوة المركزية) لها دورها الكبير فى تحقيق ضربات سريعة وقوية تفقد العدو توازنه وتضعف معنوياته التى تعانى من الإنهيار فى هذه المرحلة .

ـ تكلمنا عن عملية الحصار الطويل نسبيا وتعطيل المطارات بالقصف المدفعى أو الهجمات الأرضية ، ولايبدأ الهجوم النهائى على المدن إلى بعد إستنفاذ كل الفائدة من عمليات "القضم" التدريجى للمساحات المحيطة بالمدينة، فلا تصبح القوات المدافعة عن المدينة قادرة على المناورة إلا داخل نطاق المدينة نفسها ، أى أنها تقاتل تقريبا من مواقع ثابته . وقديما قال الخبراء "نادرا ما يأتى المحاصر بخير"، أى أن الجندى الواقع فى الحصار ـ أو الجيش المحاصر ـ نادرا ما يستطيع فعل شيئ مفيد لنفسه . ومن المفروض أن يهاجم المجاهدون من كل المحاور الممكنة لتشتيت طاقة المدافعين وأن يتواصل الهجوم ليلا ونهارا لإرهاق العدو وإستنزاف طاقته . كل ذلك مع

مناشدات الجنود بالإستسلام ، وتسهيل ذلك لهم وتقديم كل عون للفارين ـ بالذات الجنود ـ ومعاملتهم معاملة طيبة لكونهم من الطبقات الفقيرة والمجبرين على القتال . "هذا اذا لم يكن الجيش قائم على التطوع الإختيارى". أما الضباط فيطلب منهم الإتصال بزملائهم لاسلكيا وإقناعهم بالتسليم، وأن فى إنتظارهم سيكون الصفح والمعاملة الكريمة .

وأيضا لدى الضباط الفارين فى هذه المرحلة معلومات قيمة جدا تساعد على إنجاح الهجوم ، ولابد من الحصول عليها منهم ، وعدم التسرع فى إطلاق سراحهم إلا بعد فحص حالة كل واحد منهم على حده بعد المعركة، هذا مع تقديم المعاملة الكريمة لهم عند الأسر وإقناعهم بالتعاون وتقديم المعلومات التى بحوزتهم والتى تساعد فى المعركة الدائرة حاليا أو ما يليها. هذا مع التشديد على الإلتزام الفعلى بأية وعود تقدم إليهم، سواء بالعفو أو المكافأة. فليس هناك أسوأ من حركة تخون وعودها حتى مع العدو، فهذا مقدمة حقيقية لإنقلاب الحركة على أهدافها المعلنة التى بدأت لأجلها الجهاد. فالغدر وإخلاف العهد، سلسلة نكدة، إذا بدأت فإنها لا تقف عند حد.

هؤلاء الضباط والجنود ، تسجل معهم أحاديث ويوجهون نداءات عبر إذاعات المجاهدين ، للتأثير على المدافعين فى المدينة ، بل وعلى مجمل المدن التى تنتظر دورها ، فيؤثر ذلك على نفسيات المدافعين ويحرضهم على الفرار والإستسلام .

* للإتصالات اللاسلكية دورا هاما جدا فى هذه المرحلة. وتحتاج إلى مستوى متطور من العاملين ، لمواجهة إجراءات التشويش والإختراق المعادية وتعطيلها ومواجهتها بالمثل .

* وحدات المهندسين لها دور هام جدا قبل عمليات الهجوم على المدن وأثنائها فى التعامل مع حقول الألغام، وإزالة العقبات الهندسية للخصم ، وبناء تسهيلات هندسية لقوات الهجوم .

* تظهر فائدة شبكة المغارات والخنادق التى بناها المهندسون فى هذه المرحلة إذ أن الهجمات الجوية تبلغ مستوى غير مسبوق ، وتركز على المؤخرات والمناطق الإدارية الخلفية والوسطى ، أما الخطوط الأمامية فتكون الأكثر أمنا من الضربات الجوية لأنها تكون قريبة جدا أو متداخلة مع خطوط الخصم ، وهذا يضعها فى حالة من "الرفاهية الأمنية" إذ لا تواجه سوى نيران الأسلحة الخفيفة ، وصواريخ الكتف التى يطلقها العدو ، وتكون فى مأمن من الطيران والمدفعية وحتى الدبابات إلا فى حالات خاصة يمكن معالجتها بسهولة نسبية .

<u>تكتيكات العدو فى مرحلة الهجوم الإستراتيجى</u>

سلاح الجو هو الأهم لدى العدو فى هذه المرحلة، إذ يصبح العدو عاجزا عن إحداث أى تغيير إستراتيجى على الأرض معتمدا على قواته الأرضية. يمكنه فقط تحقيق بعض النجاحات التكتيكية التى يعالجها المطاريد بسهولة. فالجيش يكون فاقدا لروحه الهجومية ويركن إلى الدفاع الثابت.

يزداد إعتماد العدو على الصواريخ الثقيلة كمساند لسلاح الطيران الذى أصابه الإرهاق من فرط الإعتماد عليه فى مساندة قوات أرضية فاشلة، ولكبح جماح مطاريد يهاجمون من كل مكان، مثل الإعصار لايوقفهم شئ.

وفى الحقيقة أثبت سلاح الطيران أنه الأكثر إستخداما فى كل مدة الحرب، وأنه يعرقل المهاجمين ولكنه لايمنع الهزيمة عن قواته الأرضية.

تركز الصواريخ على ضرب القواعد الإدارية ومراكز القيادة، وتضرب أحيانا تحشدات قريبة من خطوط الإشتباك الأولى، والهدف منها معنوى لأن تلك الضربات نادرا ما تحقق إنجازا يذكر. وبدلا من أن ترتفع معنويات جنود العدو، فإنها تواصل الهبوط الحاد وهم يرون أن لاتأثير لتلك الضربات إلا زيادة حنق المهاجمين وإثارة حماسهم.

يستخدم العدو الغازات السامة، لإفشال هجمات المطاريد، وإرعابهم (وصلت تهديدات للمجاهدين قبل إقتحامهم مدينة خوست أن السوفييت سيوجهون لهم ضربة نووية إذا ما دخلوا مدينة خوست). إستخدام الغازات يتوقف على عوامل مناخية وطوبوغرافية، وأيضا حسابات سياسية لعوامل داخل البلد وخارجها. ويصعب التنبؤ بسلوك العدو فى إستخدام ذلك السلاح، ولكن ذلك أمر عادي بالنسبة للدول المستعمرة ولها فى ذلك سوابق كثيرة جدا.

(إستخم العدو صواريخ سكود برؤوس مشحونة بغاز الخردل، من أجل إحباط الهجمات ضد المدن. شاهدنا ذلك فى جلال آباد "١٩٨٩"، وفى خوست "١٩٩١".

وبينما نجح هجوم المجاهدين على خوست، فإنه فشل فى جلال آباد. ليس بسبب الضربات الروسية ولكن بفعل التآمر الباكستانى الذى أثبت أنه أشد فتكا من الغازات السامة ـ راجع كتاب الحماقة الكبرى ـ من سلسلة أدب المطاريد)

إستخدام العدو للغازات السامة كان أكثر فى معارك خوست، لأن هجوم المجاهدين كان أخطر. ويمكن إتخاذ ذلك مقياسا لوضعية العدو على أرض المعركة، فإذا بدأ فى إستخدام ذلك النوع من الأسلحة، فمعنى ذلك أن موقفه على الأرض متدهور وحرج.

فى فيتنام إستخدم الجيش الأمريكى كميات هائلة من الكيماويات السامة، ألقاها على الغابات التى يتمركز فيها أعداؤه من قوات "الفييت كونج" وتخترقها قوافل أمدادهم القادمة من فيتنام الشمالية عبر طريق وهمى يدعى "طريق هوشى منة". ومازال الشعب الفيتنامى يعانى من الآثار المهلكة لذلك الغاز، رغم مرور أكثر من ثلاث عقود على إنتهاء الحرب وفرار الجيش الأمريكى من هناك.

ويمكن أيضا الإستنتاج هنا بأن الدول الإستعمارية المتغطرسة إذا رأت نفسسها ستخرج مهزومة وذليلة من معركة مع شعب ضعيف ولكنه صلب العزيمة، فإنها تتسبب له فى "عاهة مستديمة" قبل أن تنسحب. والسوفييت قبل إنسحابهم من أفغانستان دفنوا فى أرضها عشرات الملايين من الألغام. وقال أحد جنرالاتهم الكبار عند الإنسحاب: لقد إنسحبنا، ولكن الأرض ستظل تحاربهم لمئات السنين.

غالبا ماينسحب العدو عسكريا من البلاد قبل أن ينهار النظام العميل، ويتركة يواجه مصيره منفردا، مكتفيا بدور الداعم من بعيد. ولاينتظر العدو حتى يورط قواته فى عملية عقيمة للدفاع عن مدن محاصرة يدافع عنها جيش منهك ونظام متهاو.
يحتفظ المحتل ولأطول فترة ممكنة بتواجد إستخبارى ودبلوماسى ومستشارين عسكريين لشد أزر النظام، ليس من أجل الإنتصار ولكن لتأخير سقوطة، إلى أن يتداركة حل سياسى ما، لايؤدى إلا إحتراق أوراق الدولة المحتلة وضياع مصالحها بشكل نهائى، إذا سيطر المطاريد منفردين على زمام النظام القادم.
وما زال العالم يتذكر الفرار المهين للأمريكيين بواسطة طائرات الهيلوكبتر من فوق سطح مبنى سفارتهم فى العاصمة الفيتنامية سايجون.
* * *

C ـ الـسـياسـة

سياسة المطاريد فى مرحلة الهجوم الإستراتيجى

المطاريد الآن هم سادة الساحتين السياسية والعسكرية. وأمامهم نظام حكم يحتضر وينتظر رصاصة الرحمة. وكبراؤه يبحثون عن مخرج بأى وسيلة، ويستغيثون بالمنقذ الأجنبى، الذى بدأ فى مد جسور للتفاهم مع المطاريد، والتأسيس لعلاقة قادمة معهم، ضمن مرحلة لم تتضح معالمها بعد.
نوبات الحمى المتتابعة من نوبات: "قتال، تفاوض، قتال"، تستمر ولكن بمعدل أقل بكثير. أذ أن المصلحة من إستمرار المفاوضات لم تعد متوازنة. فالمطاريد فى وضعية أفضل حالا، ولا يناسبهم الهدنات المتكررة. ومن مصلحتهم مواصلة الضغط العسكرى حتى سقوط الخصم أو إستسلامة. لقد مالت الكفة كثيرا إلى مصلحتهم، لذا نراهم غير متحمسين للتفاوض ، مع عدو منهزم لامحالة، إلا أن يتفاوض معهم حول شروط إستسلامه.
العروض التى يقدمونها لإغراء العدو بالإستسلام، تقل مع مضى الوقت ومع تحسن متواصل فى موقف قواتهم على الأرض.
فى بداية التفاوض قد يعرضون على أركان النظام الإستسلام فى مقابل العفو عن أصحاب الرتب الصغيرة فى النظام، و تسهيل خروج الكبار من البلاد. وقد يبدون إستعدادا لقبول عدد من التكنوقراط المستقلين ضمن حكومتهم القادمة. وأيضا قد يعرضون على الدول الخارجية المتحالفة مع النظام الفاشل أن يتخلوا عنه فى مقابل علاقات ندية متوازنة مع النظام الجديد.
وكلما مضى الوقت، قل السخاء فى العروض المقدمة من المطاريد (وهذا طبيعى أيضا من جهة أن عناد النظام وتأخره فى الإستجابة أدى إلى إطالة أمد المعارك وفقدان المزيد من دماء الشعب) . يزداد التصميم على محاكمة السياسيين من رموز النظام وكبار الجزارين فى الجيش وأجهزة البغى "الأمن" وأبطال التعذيب والإنتهاكات والتصفيات الجسدية، وأبطال الكسب الحرام وإختلاس المال العام.

الآن إعتدلت الموازين، وأصبح المظاليم المطاريد يطالبون بالقصاص العادل ورد المظالم إلى أهلها، ويطاردون أعدائهم الطغاة الظالمين. وفقا لقانون العدالة الحقيقية: العين بالعين، والسن بالسن، والجراحات قصاص. وجاء فى الأثر: إن يوم المظلوم على الظالم أطول من يوم الظالم على المظلوم.ودولة الظلم ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة.

سياسة العدو فى مرحلة الهجوم الإستراتيجى:

مع بداية هذه المرحلة تبدأ القوى الداخلية الحليفة للنظام فى فك شراكتها معه، وتقديم عربون الولاء للقادمين الجدد، المطاريد سابقا، والحكام لاحقا.

حكومات الجوار التى كانت حليفة أو صديقة للنظام المحتضر، تفعل الشئ نفسه. وحتى القوى الدولية، مع الأمم المتحدة، تبحث عن أساليب جديدة من التعامل مع النظام القادم، وإن كان من الممكن تقديم نوع من الترضية تغريه بالتفاهم والحفاظ على شئ من مصالحها مستقبلا.

وتراود المطاريد حول التخفيف من حدتهم الأيديولوجية. إن بالإغراء: بالمعونات الإقتصادية من أجل إستبدال العقائد بالذهب. أو بالوعيد: بالحصار الإقتصادى والتجويع وإشعال الفتن الداخلية أو الحروب مع دول الجوار.

{ بإختصار العرض هو: عليك أن تختار بين دين مع جوع وخوف، أو كفر مع شبع وأمان }.

الهدف السياسى للعدو وحلفائة الدوليين هو منع حدوث إنتصار سياسى كامل للمطاريد. ولا يريدون ترك الساحة بشكل نهائى، والمشاركة بأى قدر فى النظام القادم لعل المستقبل يحمل لهم فرص إنقضاض جديدة.

يستنزف النظام كل ما فى جعبته من مخادعات الإصلاح والشراكة السياسية مع أحزاب المعارضة، أو إصدار القوانين والإصلاحات المخادعة.

* * *

إعلام المطاريد فى مرحلة الحسم:

•• إعلام المطاريد يتكلم فى هذه المرحلة عن النصر الكيد، ويتحاشى الحديث عن السلام الوشيك.لأن الحديث عن نهاية وشيكة للحرب تضعف معنويات المقاتلين وإستعدادهم لتقديم التضحيات، بينما هناك معارك قوية ضد عدو يائس مرعوب ومتحصن، وهناك تضحيات سوف تبذل لهزيمته وقهره.

يعمل إعلام المطاريد على بث الطمأنينة والثقة فى نفوس الشعب. ويبشر المستضعفين بإستعادة ما إفتقدوه من عدالة وأمن وكرامة وحقوق، فى نظام جديدة هم أصحابة وسادته، وليسوا له رهائن أو عبيد.

إعلام النظام فى مرحلة الحسم:

•• ما أن يشعر النظام بإقتراب أجله حتى يبدأ فى عزف ألحان السلام، والوحدة الوطنية، ويكتشف أن للدين سماحة ، و يعيد إكتشاف حرمة الدم الوطنى، وتحكيم العقل، ووساطة العقلاء...إلخ. ويبدأ مشايخ الإستخبارات وقمع الدولة فى ترويج

الرؤية الإسلامية التى إكتشفوها فجأة. وبعد أن كان الدين لديهم، وقت قوة الدولة، يعنى الضرب بيد من حديد على أيدى المطاريد الإرهابيين، الخارجين عن طاعة ولى الأمر المفترض الطاعة، وأصدقائه المسالمين المعاهدين، ضيوف الدولة وأحباب الدين، جيوش أمريكا وبنى صهيون.
مثقفى النظام يغيرون ثيابهم بسرعة. فيخلعون جلد الذئاب الذى إرتدوه طويلا، ويلبسون فرو النعاج. والفنانون مدمنى السعادة الأبدية والإنفتاح الدائم، يبدأون فى تغريد أناشيد السلام والوحدة الوطنية وحب الوطن الغالى الذى ملأ حياتهم عشقا وغراما. ومثل باقى القوى البائدة، يعرض بعضهم خدماته للقادمين الجدد. وآخرون يفرون خارج البلاد باحثين عن من يستخدمهم فى تشويه النظام الذى لم يولد بعد. ويجهزون فى أرض العدو، ساحة حرب إعلامية لاهوادة فيها سيكونون هم فرسانها ونجومها المرموقين.
. . . .

ملاحظات هامة حول خطوط الإمداد فى حرب المطاريد:

إبقاء خطوط الإمداد مفتوحة وآمنة هى من التحديات الهامة لدى المطاريد، خاصة فى مراحل الحرب الثانية والثالثة. قد تغلق بعض الطرق فيتوجب عليهم إيجاد البديل، أو إعدة فتحها من جديد وكلما كانت الطرق أقصر وأسهل وأكثر، كان ذلك من علامات النجاح والتقدم. والعكس صحيح.
ـ وتشهد طرق الإمداد معارك عنيفة. أكثرها يكون بطلها هو الطيران وأقلها مع القوات البرية والمحمولة جوا. وطرق الإمداد تأتى فى صدارة الأهداف التى يركز عليها العدو، مع القواعد الثابتة.
ـ يوزع المجاهدون مواقعهم العسكرية الهامة حول طرق الإمداد وعلى إمتدادها من أجل توفير الحماية والتأمين الدائم لها كونها تمثل القصبة الهوائية التى يتنفسون منها.
ـ ينبغى تخفيف الضغط عن خطوط الإمداد، وتقليل الحركة عليها إلى أقصى حد ممكن، توفيرا للنفقات من جهة، ولتقليل فرص تعرض المنقولات للأخطار.
وبوجه عام من الأهمية بمكان أن تكون الأطعمة والملابس، مصدرها الشراء من الأسواق المحلية حول المطاريد. فذلك أوفر إقتصاديا، وأكثر أمانا من الهجمات، كما أنه ينشط الإقتصاد الداخلى ويشجع الناس على البقاء وعدم الهجرة. وذلك كما شرحنا يعتبر مطلبا حيويا للمطاريد، وحتى لاتجف الأنهار من حول الأسماك.
ـ وبشكل عام تكون خطوط الإمداد مخصصة لتنقل الأسلحة والذخائر أما الطعام فيشتريه المطاريد من القرى والأسواق التى حولهم. وفى ذلك قال "صن تزو":
{{ إجلب العتاد الحربى معك من خطوطك الخلفية، أما المطعم والمشرب فمن أرض العدو}}.
ولأجل التخفيف من أخطار ونفقات الحركة على خطوط الإمداد، تكون الغنائم طريقا مثاليا لحل المعضلة. وفيها أيضا قال الحكيم الصينى" صن تزو"
{{هكذا فالقائد الحكيم سيعتمد على العدو كمصدر للطعام والمئونة. فعربة واحدة محملة بمئونة العدو، تعادل عشرين عربة من خطوط الإمداد}}.

{ فصل: }

حرب الإرهاب { حرب المدن }

للمدن أهمية كبيرة فى بنيان الدولة، وتأتى العاصمة على رأس كل المدن. فهى رأس الدولة، ومرتكز القوى السياسية والإقتصادية والثقافية.وبها يستقر صفوة المجتمع ، والبعثات الدبلوماسية والإعلام الدولى.

ولأن العاصمة هى رمز قوة وإستقرار النظام، أو هكذا يريد كل نظام من عاصمته أن تكون، لذا يبذل جها ضخما لتكريس تلك الصورة الزاهية من القوة والإزدهار، و... الأمن.

فى المقابل تسعى أى حركة مناوئة للنظام إلى أن تعكس الصورة وتبين زيفها. فإذا أثبتت المعارضة، بوسائلها أيا كانت ، أن الوضع فى العاصمة ليس على مايرام، فإن الجميع سيفهمون أن الوضع فى خارجها أسوأ، وان البلد كلها تعانى.

لاتهدف أى حركة مقاومة إلى السيطرة على العاصمة إلا فى المرحلة النهائية للثورة. ولكنها تضع عينها على العاصمة منذ اللحظة الأولى ولذلك أهمية كبيرة فى هز صورة النظام وإتلاف أعصابه، ومدخلا إلى إستهانة الشعب به والتجرؤ عليه، وفقدان ثقة حلفائه وتشككهم فى إمكان إستمراره فيبدأ كثيرون فى البحث عن البديل القادم، ومحاولة مد الجسور معه تحسبا لإحتمالات المستقبل ، إذا ما نجح القادم الجديد فى كسب معركته مع النظام. وبشكل غير مباشر يتزايد العمل الدبلوماسى لحركة المقاومة وتكثر الإتصالات معها فى الداخل والخارج ، من أصدقاء النظام وحلفائه أو من خصومة وأعدائه.

الحرب النفسية والدعائية:

الحرب النفسية والدعائية هى جوهر حرب المدن . وهى الحرب التى أسماها الباحثون الغربيون "حرب الإرهاب" معتمدين على بعض أساليب تلك الحرب، فى بعض الحالات الخاصة، من عنف يشمل الإغتيالات والتخريب والتفجيرات.

هذه التسمية ليست دقيقة، لأن الغاية من كل نشاطات المقاومة فى المدن والعاصمة تحديدا، هو التأثير على نفسية النظام وجعله أكثر عصبية فى تصرفاته، فيرتكب المزيد من الأخطاء، ويتصرف بعنف زائد، يزيد رصيده من الأعداء ورصيد الثوار من الأنصار والمتعاطفين.

نشاطات المقاومة فى العاصمة والمدن، تهدف إلى رفع معنويات الشعب، وبث الأمل فيه، لكون النظام ضعيف ومهتز، وأن التغلب عليه ممكن.

فسياسة الأنظمة الطغيانية قائمة على إرهاب الشعوب، وإفهامها أن مجرد الإعتراض على النظام هو أمر مستحيل ومهلك، فما بالك بمواجهة النظام.

لهذا فإن المقاومة عندما تبدأ يكون نصب عينيها إقناع الشعب، بالدليل الحى، أن هزيمة النظام ممكنة، وأنه أضعف مما يتصورون.

إن كل أعمال المقاومة والثوار داخل المدن له قيمة دعائية لتوضيح الموقف السياسى أمام أعين الناس، وتحمل فى ثناياها "رسالة"، أى يقول شيئا للناس ويشرح حقيقة سياسية أو إجتماعية.
قد يرسل الثوار رسالتهم على شكل منشور يوزعونه، او يلصقونه علي الجدران. أوشعارات يكتبونها على الجدران. أو شرائط كاست مسموعة، أو أفلام فيديو مصورة، أو رسائل عبر الإنترنت.
إذا كان هناك فرصة فإن مقاومة النظام تعرض رسالتها واضحة بالمظاهرات والإعتصامات والمسيرات. وإذا كان هناك شيئا من القانون وكرامة القضاء فربما تتاح الفرصة لإبلاغ الرسالة عبر القضاء، حيث تعرض حالات التجاوز على الحقوق و إنتهاك الحريات.
خبراء مقاومة الثورات فى الغرب الديموقراطى أوصوا حكوماتهم فى الدول المتخلفة، بان يغلقوا منافذ القانون ويعتمدون الحالة الإستثنائية فى الحكم، بمصادرة الحريات العامة والحجر على حرية القضاء وخلق قضاء بديل يحكم بأوامر الحكومة تحت مسميات مثل: محاكم عسكرية أو طوارئ أو أمن دولة إلى آخر المسميات الكثيرة التى تعنى حقيقة واحدة:هى القمع.
القمع الذى تؤكدة القوانين سيئة السمعة ذات الأسماء المتعددة، مثل قوانين الطوارئ أو قوانين مكافحة الإرهاب، أو الأحكام العرفية.
ومن التوصيات الهامة لباحثين أمركيين من أجل مكافحة الثورات وحروب العصابات، هوتضييق هامش الحريات الفردية والعامة إلى أقصى مدى ممكن حتى لا تتاح الفرصة لنشر الآراء الداعية الى التغيير ومكافحة الظلم.
وحاليا وتحت لافتة "الحرب العالمية على الإرهاب" تعدت أمريكا ومعظم حكومات العالم على حريات الشعوب وقمعت معارضيها وتوسعت سلطاتها على حساب حقوق المواطنين. وأصبح التعذيب وإختطاف المواطنين وحتى قتلهم سرا، كلها ممارسات عادية. وإختفت المحاكمات العادلة وأصبحت أجهزة الأمن هى الحاكم الحقيقى من قمة العالم فى أمريكا إلى قاع العالم فى الدول العربية.
كل ذلك لمنع إمكانية ثورة الشعوب على أوضاع شاذة بدأت تتحكم فى رقابهم بشكل متزايد . من سيطرة إسرائيلية على المنطقة العربية،إلى سيطرة "صهيونية/ صليبية" على مقدرات العالم، أى سيطرة فئة قليلة العدد من أصحاب الترليونات على مصائر الجنس البشرى كله.
عندما يزداد الظلم والقهر إلى ذلك الحد، فإن الشعوب تلجأ إلى التمرد، ويرسل المطاريد رسائل تظلمهم بالبريد العنيف. وبدلا من الحناجر، تتكلم التفجيرات وطلقات الرصاص.
لهذا يطلق الأمريكان وأتباعهم على حرب المدن إسم "حرب الإرهاب". أى أن صرخة المظلوم وإنتفاضة أجساد تحتضر من الجوع والقهر ذلك هو الإرهاب. أما ما

يفعله هؤلاء الوحوش فى نهش أجساد البشر وشرب دمائهم، فتلك هى الديموقراطية وحقوق الإنسان والعولمة والحداثة.
الإرهاب هو ممارسة القهر والقمع لإقناع الناس بقبول الظلم والعدوان على حقوقهم.
ذلك هو الإرهاب الحقيقى الذى تمارسه السلطات الحاكمة الطاغية، وهو ما يدفع الشعوب إلى مقاومة الظلم بالقوة. وبغير ذلك تكون الشعوب قد فقدت طبيعتها البشرية وتحولت إلى ماهو دون ذلك.
مع وجود القهر والعدوان وإختفاء قيم العدل والحرية، ومع وجود (الإحتلال الظاهر) بجيوش محتلة، أو (إحتلال غير ظاهر) بواسطة عرائس خشبية تدعى حكاما، وأنظمة معدومة السيادة إلا سيادة القمع وإذلال الشعوب وبيع الأوطان للعدو.
فإذا كان القانون الدولى لا يعيد الحقوق إلى أصحابها، والقرارات الدولية تساند المعتدى والمحتل، فإن قتل جنود الإحتلال فى الشوارع وتفجير مركباتهم فى الأحياء السكنية، هو إعلان عن رفض شعبى للإحتلال وتصميم على التحرير مهما كان الثمن. إنه إذن ليس إرهابا بل إعلان موقف حق.
وإذا كانت حكومة ما تنفى علاقتها مع العدو، وأنه يسيطر على الحياة الأمنية الداخلية، وتحظرعلى الناس معرفة تلك الحقيقة أو الحديث عنها، فإن إغتيال عدد من عناصر العدو الأمنيين أو العسكريين هو رسالة تحمل وجهة نظر معترضة، لم تجد سبيلا للتعبير إلا تلك اللغة التى لايجيد النظام وأسيادة الحديث إلا بها.
إن الحكومات كبيرها وصغيرها أصبحت تستأجر شركات القتلة الدوليين، لقتل شعوبها وقمع ثوراته. شركات القتل الدولية هذه أصبحت ظاهرة دولية "معولمة" تعمل بترخيص وحماية قانونية كاملة من أمريكا ودول الغرب، وتعمل مع جيوش الغزو الأمريكية وبتعداد ضخم يعادل تقريبا تعداد قوات الغزو، وتعمل أيضا فى خدمة حكومات عربية فى قتل الشباب المسلم، الذى أصبح العدو المشترك لأمريكا وإسرائيل والأنظمة العربية. جيوش القتلة من المرتزقة الدوليين تقتل الشباب المسلم فى الشوارع تحت ستار مكافحة الإرهاب، حتى فى بلاد الحرمين الشريفين. كل ذلك يتم تحت اللآفتة الرهيبة: " مكافحة الإرهاب".
فى حال إختفاء الحريات وتفشى الظلم والإرهاب المنظم الذى تمارسه الدولة، وإفساد النظم القانونية والقضاء، يصبح التعبير العنيف عن الرأى وبإستخدام الوسائل المسلحة، هو من طرق الدعاية السياسية المعتمدة، والكفاح الشعبى المشروع.
ولذلك أمثلة تفوق الحصر، فى القديم والحديث، وعلى إتساع القارات وتعدد الديانات والوثنيات. لأنه فطرة بشرية لايمكن إقتلاعها بالعنف، إلا إذا أدى ذلك العنف إلى إقتلاع الجنس البشرى، أو على الأقل إبادة الأغلبية المستضعفة ، وبقاء القلة الثرية المسيطرة تتمتع بخيرات الخراب على سطح كوكب دمرة المستكبرون.
• حاليا نرى أن المقاومة العراقية ضد الإحتلال الأمريكى تعطى أهمية قصوى للقتال داخل بغداد وذلك كما قلنا بسبب الأهمية الإستثنائية لموقع أى عاصمة فى بنيان

الدولة. وقد أعطى ذلك الكثير من الإيجابيات للمقاومة لولا السلبيات التى حرفت تلك المقاومة عن مسارها الصحيح. وهو الأمر الناتج من غياب القيادة وتشرذم المجموعات، الأمر الذى جلب التدخلات الخارجيية فى شئون المقاومة من شتى الملل والنحل، وكأن المسلمين لم يتعلموا شيئا من المصيبة الأفغانية ومن قبلها كارثة المنظمات الفلسطينية.

· وفى أفغانستان حاليا يوجه المجاهدون ضرباتهم داخل كابول من وقت إلى آخر، بوتيرة أقل كثيرا مما يحدث داخل بغداد، ولكن بإنضباط أخلاقى أشد. فليس هناك إستهدافات متعمدة للمدنيين على أى أساس عرقى أو طائفى. وفشل المحتلون فى دفع الأمور إلى هذا الطريق. وهذه نعمة كبيرة لكون المقاومة الأفغانية مازالت تتمتع بميزتين هما: الوحدة و "إنعدام الحلفاء" ـ ((**ويبدوا أن الأمرين مرتبط أحدهما بالآخر أى أنهم موحدون لإنهم يفتقدون إلى الحلفاء الخارجيين ـ ولا شك أن الوحدة الداخلية أهم كثيرا من وجود حليف خارجى**)).

وبالتالى لايضغط أحدهم فى إتجاه الفتنة، تحت الشعار الشيطانى الذى نجح فى العراق وهو شعار: "الفتنة الطائفية فى مقابل المعونات المالية" أو شعارات مثل:

" أقتل الجار تحصل على دولار"، أو " أقتل أخيك يحتار عدوك فيك".

بالطبع سيحتار العدو لأن جيوشه لن تجد ما تفعلة، فربما سرحوها من الخدمة أو أرسلوها تبحث عن رزقها فى بلد آخر.

· فى فلسطين يعتبر الضرب داخل المدن الإسرائيلية، سلاحا رادعا فى يد المقاومة، وإن كان قد فقد الكثير من فعاليته لأسباب متعددة، تتعلق بالداخل الفلسطينى المنهك، والمحيط العربى المتخاذل أو الخائن، ثم المحيط الإسلامى المستبعد والمتقاعد بقرار دولى وقومى عربى.

· وضرب المدن الإسرائيلية بصواريخ حزب ا ، كانت الأداة العقابية فى يد المجاهدين لعقاب الإسرائيليين على قصف طائراتهم للأهداف المدنية داخل لبنان.

وتهديد حزب ا بقصف العاصمة الإسرائيلية منع هؤلاء من قصف بيروت.

أذن فالرسائل السياسية المسلحة تصبح هى موضوع حرب المدن منذ المراحل الأولى للثورة، سواء إتبع الثوار نهج حرب العصابات، أو نهج العصيان المدنى والثورة الشعبية الشاملة. ولكن فى المراحل النهائية لأية ثورة، أيا كان نهجها، فإن العاصمة تكون ساحة الحسم النهائى.

وأخطر العقبات التى تواجه عمل أى ثورة داخل المدن هو التحدى الأمنى، نتيجة التركيز الهائل لأجهزة القمع على تدجين المدن، والعاصمة بوجه خاص.

إستراتيجية العمل فى العاصمة وباقى المدن، تخضع هى الأخرى لمبدأ التدرج والمرحلية، شأن كل النشاطات الأخرى العسكرية والسياسية.

كما أن العمل العسكرى داخل المدن يكون منفصلا تماما عن جميع نشاطات المقاومة الأخرى، ولا يتداخل معها بأى شكل، وله قيادته الخاصة وهيكله التنظيمى

المنعزل كليا عن الآخرين. والهدف هنا أمنى، ولكن ذلك الجهاز العملياتى خاضع بالتأكيد لتوجيهات القيادة السياسية، ومرتبط بها بشكل مباشر.
وللعمل العسكرى داخل العاصمة وباقى المدن مواصفاته الأمنية والتنظيمية الصارمة للغاية، ليس هنا مجال التفصيل فيها، ولكن منها:
تجنب البناء الهرمى للتنظيم. ومنها إنفصال المجموعات عن بعضها البعض إلا من أربطة ضيقة جدا ومخفية. ومنها المجموعات الإحتياطية، والقيادات البديلة التى تتولى العمل فور سقوط القيادات أو المجموعات الأصلية العاملة. ولذلك كلة تفاصيل معقدة للغاية لمواجهة التحديات الأمنية لأجهزة القمع التى تطورت كثيرا من حيث الكمية العددية ونوعية التجهيزات الفنية والخبرات القمعية المتراكمة، ليس فقط محليا، بل على نطاق العالم وهى خبرات "معولمة" ومشاعة لجميع أنظمة الطغيان.
لابد لكل ثورة من قيادة مركزية عليا ، على المستويين السياسى والعسكرى. ولكن لابد أن تتمتع جميع الوحدات بقدرة كبيرة على إدارة شئونها طبقا لظرفها الموضعى داخل مناطقها، وقدرة على إتخاذ المبادرات التنظيمية والتكتيكية، مع الحفاظ على وحدة التوجه الإستراتيجى العام والذى تحدده القيادة العليا، التى من مهماتها الأساسية مراقبة وقوع كافة المبادرات من كافة الوحدات داخل إطار الخط الإستراتيجى العام، حتى لا تحدث الفوضى وتتعدد المسارات.
هذه قاعدة هامة جدا لكل ثورة مهما كان منهجها الحركى (حرب عصابات ـ أو عصيان مدنى). وهامة جدا لمجموعات المدن، نظرا لظروفها الخاصة. وتأثير حركتها على النظام الحاكم وعلى مسيرة الثورة. ونظرا للمرونة الزائدة فى حركتها وتنظيمها. حتى أن العديد من المجموعات العاملة فى المدينة قد ينقطع إتصالها مع المركز نتيجة للضغط القمعى. بل ربما تتكون مجموعات عاملة بدون علم المركز. وهنا يكون فهم التوجه الإستراتيجى والعملياتى والأخلاقى للحركة هو الذى يمكن تلك المجموعات من العمل الصحيح الذى يدعم الثورة ولايضر أو يعرقل مسارها.
<u>الجمع بين المركزية فى القيادة العامة والمرونة ولامركزية العمل الميدانى:</u>
(خاصة فى البلاد الواسعة المساحة وكثيرة السكان)، كان متجليا بصورة كبيرة فى الثورة الإسلامية فى إيران. إذ إنضمت إلى الثورة تنظيمات كاملة مستقلة بهياكلها التنظيمية ولكنها إتبعت القيادة العليا وخطها الإستراتيجى وتوجيهاتها العملياتية. أعطى ذلك ميزة التمدد الكبير والسريع للثورة والمرونة التنظيمية العالية، التى أربكت ولا شك أجهزة القمع. ولكن ليس هناك من ميزة إلا وتقابلها سلبية ، والمسأله هنا تتعلق بقدرة القيادة على إجراء الموازنات الصحيحة. وهنا تتضح المميزات الكبيرة للقيادات الحقيقية.
مازلنا نتكلم عن الثورة فى المدن، وهو موضوع مرتبط بقوة بالوضع الثورى العام. لذا يتداخل الحديث عن الموضوعين.

. ما نحذر منه بشكل عام، وفى المدن بشكل خاص، هو "التيارات المفتعلة" التى تخلق التشويش والتفرقة والصراع الداخلى فى النسيج الإجتماعى، فتحرف الصراع عن مسارة الصحيح. القليل من تلك المجموعات تنبت من تربة الجهل، وأكثرها تستنبتها أنظمة الطغيان وجيوش الإحتلال، أو الجيران والأصدقاء. ونعاصر حاليا العديد من الشواهد على تلك المأساة فى فلسطين والعراق. ونسأل ا أن يحفظ مجاهدى أفغانستان من شر الأصدقاء والجيران و" فاعلى الخير" من محسنى البترودولار.

تلك التيارات المفتعلة ينبغى التصدى لها منذ الوهلة الأولى وعدم السماح لها كى تستفحل وتترسخ وينصب عليها الذهب والدعم الإقليمى والدولى، المالى والسياسى والدعائى، حتى ينخدع بها تيار كبير من الناس، ثم تصبح هى "الممثل الشرعى والوحيد" للثورة والشعب المنكوب. تلك الثورة الكاذبة ستجلب بلا شك ،إذا لم تعالج مبكرا، مصائب ونكبات على شعبها ، عجز عنها المتجبر المحتل.

وسائل مجابهة إنحراف التيارات المفتعلة، مسألة تقدرها القيادة العامة، ومن الطبيعى أن تبدأ المجابهة بالحسنى والموعظة الحسنة. من أجل إزالة الشبهات والغموض، ولتبصرة الجاهلين أوالغافلين. أما إذا كان الإنحراف مدبرا ومدعوما بقوة الأعداء ومستقويا بهم، فالقيادة عندها قد لاتستبعد إستخدام القوة قبل أن يستشرى المرض فى النسيج الإجتماعى، ويطعن المجاهدين فى ظهورهم. وماحدث فى غزة بين منظمات فتح وحماس ليس منا ببعيد. وما حدث قبله فى أفغانستان وقت الجهاد ضد السوفييت كان أكبر وأبشع.

<u>الإرجاف الفقهى:</u>

الإرجاف الفكرى واحد من أكبر الأخطار التى تهدد الثورات. والأرجاف الفقهى هو أخطر أنواع الإرجاف كون الدين هو المحرك الأساسى للثورات ضد الطغيان الكافر الذى يطحن البشر تحت قنابل الطائرات وجنازير الدبابات، كما بسلاح الحصار الإقتصادى والتجويع ، كما بالنشر المتعمد للأوبئة والأمراض كما بإشعال الفتن والحروب بين المستضعفين وتحطيم قواهم.

سكان المدن هم الأشد عرضة للتأثر بموجات الإرجاف، كونهم الأكثر إحتكاكا بتيارات الثقافة ولديهم تعيش أهم وسائل التثقيف وأجهزة الإعلام، وأهم رجالات الفكر والثقافة والمعاهد الدينية والعلماء النجوم.

وإذا تحرك المسلمون لدفع الظلم الواقع بهم، واجههم الطغاة بسلاح فقهاء السلطة، وتهاطلت الفتاوى عبر وسائل إعلام السلطة كى ترفع درجات الظالمين إلى أعلى عليين، وتطيح بالمظلومين الثائرتن إلى أحط دركات الجحيم.

وحسب المنطق الرأسمالى فلا شئ له قيمة فى ذاته، إلا إذا كان قابلا للبيع والشراء وأصبح له سعرا فى السوق. وهكذا دخلت الفتوى عصر العولمة، فأصبح هناك مفتيين، ليس فقط للحاكم المستبد، بل صار هناك مفتين للشركات عابرة القارات والبنوك الدولية، وأيضا للإتحاد الأوروبى والبنتاجون.

إذن تزايد الإرجاف الفقهى بينما خلت الساحة الإسلامية من العالم المجاهد ـ إلا فى القليل النادر ـ وخلت معظم الحركات الإسلامية من العلماء وتصدرها مثقفون من التكنوقراط. ودخل ميدان الفتوى كل من هو غير كفء، فصارت مساجلات الفتاوى عبارة عن مباريات فى الإسفاف الذى يدمى القلب ويطمس الأبصار عن رؤية الحق.

وحتى لايكون كلامنا فى التجريدات النظرية فقط، سنضرب بعض الأمثلة العملية: عندما يكون الشعب الأفغانى واقعا بين تحت ضربات ساحقة من قوات الجيش الأحمر وجيش النظام العميل، ويتلقى من الجو ضربات مزلزلة تزيل القرى من الوجود، وتترك الحقول قاعا صفصفا. نجد دعاة من الأراضى المقدسة يجوبون أوساط المجاهدين العرب داعين إلى:

١ ـ مجابهة المذهب الحنفى، على أساس أنه مذهب إسلامى منحرف، يخالف السنة النبوية الصحيحة ولا يأخذ بها.

٢ ـ أنه لايجوز الجهاد مع الأحناف لأنهم لن يقيموا دولة إسلامية. فعقائد الأفغان منحرفة، ويقولون أن ا فى كل مكان.

٣ ـ أن الأفغان مشركون، يتبركون بقبور الأولياء، وأن الحرب فى أفغانستان هى حرب ما بين المشركين "الأفغان" والكافرين "الروس". وأن المسلمين العرب لاشأن لهم بتلك الحرب.

وعندما إنسحب الجيش الأحمر من أفغانستان وإستمر الجهاد ضد النظام الشيوعى فى كابول، ثارت ثائرة هذا التيار وعلمائه،وبنشاط منقطع النظير صارت فتاويهم كالتالى:

"**إنه ليس جهادا بل فتنة بين المسلمين**". إذن لقد أعادوا المجاهدين الأفغان إلى حظيرة الإسلام. بل أعادوا إليها أيضا الغزال الشارد... نظام كابول الماركسى.

كان ذلك كان ضروريا حتى يوقفوا الحرب وبإسم الإسلام ، كما أشعلوها بإسم الإسلام. بالطبع كل ذلك التلاعب بالدين كان خالصا لوجه البنتاجون والبيت الأبيض. الذى تبدلت مطالبه مع تطورات صراعه مع موسكو.

فى البداية كان لابد أن يدفع السلمون ضريبة الدم من إجل إعادة الدب الأحمر إلى خلف حدودة الدولية بعيدا عن نفط الخليج والمياة الدافئة التى وهبها الخالق خالصة لأساطيل الرأسمالية. ولما تبلور التواجد العربى والإسلامى المتطوع إلى رقم قتالى له وزنه وكاد إن يتخذ لنفسه مسارات تنظيمية وفكرية مستقلة عن إرادة البنتاجون وفقهاء الجاز الخليجى. جاءت فتاوى "شرك الأفغان" وضرورة تركهم وشأنهم فى حربهم مع الكفار الروس. ولما أوشك الأفغان على حسم المعركة عسكريا ويدخلون كابول مع حلفائهم العرب والمسلمين الآخرين، أصبحت الحرب فتنة عمياء بين المسلمين المجاهدين فى الجبال والمسلمين الماركسيين فى كابول.

أليس هذا من غرائب الإرجاف الفقهى بعد أن أصبحت الفتاوى سلعة فى السوق الرأسمالى المنفتح، يشتريها من يستطيع أن يدفع أكثر فى بورصة الإفتاء المتعولم. ونستعرض منها المزيد مما يتعلق بقضايانا ومعاركنا المشتعلة حاليا:

* فى فلسطين بينما الشعب هناك يجاهد بأياديه الخالية وبالأحجار ضد أقوى جيش فى "الشرق الأوسط" ، نجد مشايخ عظماء فى البلاد "السعودية" يفتون بحرمة العمليات الإستشهادية، بل أفتى كبيرهم بحرمة مقاومة الإحتلال الإسرائيلى كونه معصية لولى الأمر!!. وهذا ما دفع كبار القادة الإسرائيليين إلى الإشادة بذلك المفتى المعتدل والمستنير، ودعوة كافة العلماء المسلمين إلى الإقتداء به.

* فى العراق ما أن بدأ الجهاد والمقاومة المسلحة ضد الإحتلال، حتى إكتشف البعض أن الشيعة هم الخطر الأكبر من اليهود والنصارى (أصحاب المصلحة الفعلية فى إحتلال وتجزئة وتدمير العراق)، وأن قتال الشيعة وإغتيال قادتهم وعلمائهم وعامتهم أولى من ضرب المحتل. ورأوا أن ذلك يستنهض همم أهل السنة فى العالم حتى يقوموا بدفع الخطر الأهم على المسلمين، ألا وهو الخطر الشيعى.

(ملاحظة: تلك الفقرة ليست مأخوذة من بروتوكولات حكماء صهيون)

وهكذا بجرة قلم، وفتوى محكمة الأطراف، أصبح الأمريكان واليهود عدوا ثانويا، بل حليفا واقعيا ضد عدو مشترك فى إيران.

لقد أراد هؤلاء المفتين الإيهام بأن ماحدث في العراق كان خيانة شيعية متواطئة مع الأمريكان. ولكن المشهور فى العراق والعالم أن جميع التيارات السياسية وممثلين عن كل الفرق الدينية كان منها خونة إستدعوا الإحتلال وفتحوا له الأبواب ورشوا فى طرقاته الورد والرياحين. وهذا ماحدث عند إحتلال أمريكا لأفغانستان. وقبل ذلك إحتلالها للكويت وجميع دول الخليج. التنافس هنا من سيكون بعد الإحتلال قريبا من سلطة الإحتلال ويكون أكثر حظوة لدى الجيش المحتل. نعم فازت تيارات شيعية بالسباق الآثم فى العراق، ولكن أهل السنة لم يضيع سعيهم الفاسد عبثا، فقد إستأثروا بالحظوة كاملة فى أفغانستان وقبلها فى الكويت والسعودية ودول الخليج. لقد فازوا بأغلبية الحظوة فى أغلبية الساحات المحتلة، فهم الأغلبية بين المسلمين، أليس ذلك هو المنطق الديموقراطى الأمريكى الذى جاءت الجيوش الأمريكية كى تنشره فى بلاد المسلمين؟؟. إنه قانون ديموقراطى يقول: إن الأغلبية فى الحكم هى للأغلبية التى خانت أكثر من غيرها.

سياسة خلط الأوراق:

تكلمنا عن إعلام المطاريد، المقرؤ والمسموع والمرئى والمسلح. وعن أهمية ضم صفوف الشعب وتياراتة المتنوعة، والإتفاق على برنامج للثورة، يحقق مطالب الأغلبية العظمى ويحظى برضاهم.

الحوارات الفكرية بين المطاريد، رواد الثورة، ومناوئيهم، ينبغى أن تستمر بكافة القنوات الممكنة. ذلك طالما كان الحوارمفيدا ويدور فى الأطر الصحيحة للحوار الجاد، وليس المجادلات التافهة المليئة بالإسفاف. ويحظر على المطاريد الإحتداد فى المناقشة، أو التشبث بالأخطاء لمجرد المكابرة والعناد. والأهم هو الإمتناع حتى عن مجرد التلويح بالعنف حتى ضد أشد المعاندين وقاحة.

السبب هو أن قوة المجاهدين الحقيقية تنبع من الحق الذى يتبعونه ومن القدوة الأخلاقية العالية لسلوكياتهم. أما الحوار الفاحش أو البذئ فهو يضر بأى صاحب قضية حتى ولو كانت صحيحة. أما التصرف العنيف، أو التهديد بالعنف أو إستخدام لهجة التهديد الصريح أو المبطن، فهو تصرف خاطئ فى ذاته، كما أنه يفسح المجال للعدو أن يمارس بنجاح لعبة خلط الأوراق، وهى سياسة ينتهجها الستبدون والمحتلون، لإفساد العلاقة بين المطاريد وشعبهم.

تقوم تلك الجهات المعادية بإركاب جريمة قتل ضد واحد من المناوئين لحركة المطاريد، سياسيا أو مثقفا أو حتى عالم سلطة أومفتى فى أجهزة القمع السرية. ثم إتهام المطاريد بإرتكاب الجريمة، والتشنيع عليهم والتخلص من بعض رموزهم الفاعلة والمعروفة.

* جميع عمليات الدعاية المسلحة التى يقوم بها المطاريد، سواء داخل المدن أو خارجها، يجب أن نخضع لحسابات سياسية دقيقة، تقوم بها القيادة العليا، وليس أى قيادة ميدانية مهما كان مستواها. لأن النتائج إما أن يكون مفيدة جدا أو أن تكون كارثية.

وفى التاريخ لدينا ضربات النظام الخاص للإخوان المسلمين فى النصف الأول من القرن الماضى، والتى تحولت إلى كوارث على الجماعة، لأن العمليات لم تكن مدروسة سياسيا بشكل مناسب، وربما أنها لم تعرض على المرشد العام للجماعة.

* العمليات العسكرية داخل المدن لابد أن تبتعد تماما عن الإضرار بأرواح المدنيين، إلا مايقع بشكل عرضى يتعذر تفاديه، وهذا هو شأن الحروب، وعندها يجب أن تقدم الحركة إعتذارها وتدفع الفدية الشرعية لأهل الضحية. وعليها أيضا التحقيق فى الحادث للتأكد من أن الخطا كان بالفعل يصعب تفاديه. وإذا ظهر خطأ أو تقصير فلا بد من إيقاع العقاب المناسب. وإستبعاد المقصرين عن العمل العسكرى فى المناطق المدنية.

* إن الطيش والإستهتار بالأرواح البريئة، لهو من أغلظ الذنوب الشرعية والسياسية. ويدمر سمعة الحركة، ويفشل عملها ومشروعها كله. ويفتح الباب واسعا أمام الإحتلال والسلطة الإحتلالية المحلية، أن يمارسوا سياسة خلط الأوراق, فيرتبون ضربات قاتلة للمدنيين وربما أيضا لأهداف إقتصادية تضر بحياة الناس، أو كما يحدث فى العراق يرتب الإحتلال لتفجير الأسواق والمساجد والمدارس، ويلصق ذلك كله بالمجاهدين الثائرين. وقد مارست العديد من فصائل المقاومة العراقية أعمالا مشابهة بدافع الإنتقام والتطهير المذهبى أوالعرقى. فتحولت المقاومة عند هؤلاء إلى عملية قتل جماعى للشعب، ربما لإراحته من آلام الإحتلال.

* فى أفغانستان حاول المحتل بشتى الطرق إشعال الفتن بتوجيه ضربات مدروسة إلى العرقيات المختلفة، وإرتكاب عمليات مدبرة للقتل على الهوية، أو على الملامح، وتدبير تفجيرات حتى فى مساجد السنة فى قندهار (هناك تواجد شيعى فى قندهار، وهى

عاصمة الإمارة الإسلامية سابقا وعاصمة المقاومة الإسلامية حاليا) . كل ذلك لم يفلح لأن حركة طالبان تعلمت الكثير من دروس العراق. وقد مارست العمل الشعبى الجامع والسابح فوق النزعات القبلية الضيقة. فأوصلها الدعم الشعبى وأسلحة الشعب ودمائه إلى السلطة بشكل أذهل أعداء الإسلام وراحوا يخترعون له أسبابا شتى، منها أن بكستان صنعتهم وأرسلت جيشها للحرب إلى جانبهم.
لذا ساند الشعب حركة طالبان فى وصولها إلى السلطة، وبعد عبور عاصفة بن لادن، عاد الشعب مرة أخرى لمساندة حركة طالبان فى جهادها لطرد المحتل الأمريكى. جاء التأييد للحركة من كافة الطوائف والعرقيات. رغم أن هناك أناس خرجوا من كل طائفة يتعاونون مع المحتل ويفتحون لة الطريق ببنادقهم.
فليس هناك إحتكار للخير بين أتباع مذهب معين، أو طائفة معينة أو عرقية خاصة.
وليس الشر "موهبة" لأحد يحتكرها لنفسه ولقومة. فالنفس البشرية لديها القدرة على الإستقامة والقدرة على الإنحراف, وكل إنسان مسئول عما فعله هو (ولا تزر وازرة وزر أخرى)

الحسم فى العاصمة:

منذ فجر التاريخ وحتى الآن، والحسم فى الصراع بين عدوين ينتهى بالهزيمة العسكرية، ودخول أحدهما العاصمة السياسية للطرف الآخر.
وحتى إذا كان الصراع بين سلطة جائرة والثائرين من رعاياها، فإن كلا الطرفين لايرفع عينه أبدا عن العاصمة، طرف يريد تأمينها والآخر يود الإستيلاء عليها.
ورغم ضراوة حرب فيتنام وأعوامها الطويلة، فإن ذكرها يستدعى على الفور معركة العاصمة سايجون وملحمة إقتحام الثوار لها.
وكذلك ذكر حرب إستقلال الجزائر، يستدعى معركة العاصمة، التى ظلت طول الحرب هى شعلة الجهاد البطولى الصامد والمنتصر فى النهاية.
الحركات الإنقلابية تختصر المسافة بالقفز مباشرة إلى كرسى الحكم فى العاصمة.
وبما أن الجيش قام بالعمل كله منفردا، فإنة يفرض بقوة السلاح صيغة الحاكم المطلق الذى لاشريك له. ويستبعد جميع الآخرين مهما كان لهم من تاريخ وطنى أونضالى أو إسلامى، وبمعنى أصح، بالذات إذا كان إسلاميا.
فالجيش هو الجيش، مؤسسة بناها النظام للحفاظ على سلامته وأمنه ضد أى تهديد داخلى كان أو خارجى. فهو إذا إنقلب فإنه لاينقلب على جوهر الإستبداد والفساد بل يبدل تغليفة الخارجى فقط. ويظل محتقرا للناس ودورهم وقدراتهم ولا يوافق على غير تواجدهم الحاشد فى الساحات للتصفيق والهتاف "للزعيم الملهم".
وتاريخنا العربى والإسلامى المعاصر ملئ بالشواهد على ذلك عبر سلسلة طويلة من الإنقلابات: فى سوريا ومصر والعراق واليمن وليبيا والجزائر والسودان وإيران وباكستان وأفغانستان ...إلخ.

إذا كان كل صراع من أجل بناء نظام سياسى جديد ينتهى بدخول العاصمة، فإن النظام الإنقلابى هو التحرك الوحيد الذى يبدا وينتهى فى العاصمة.

رأينا أن حرب المطاريد طويلة الأمد تبدأ من البرارى الموحشة والجبال النائية وعينها على العاصمة، التى هى الموضوع الأساسى لمرحلة الهجوم الإستراتيجى.

والثورات الشعبية وحركات العصيان المدنى، محورها الأساسى هو العاصمة. ولكنها تنتشر مثل القطر أو بقعة الزيت فوق كل المدن والأرياف، والأماكن النائية تكون فى خلفية المشهد ولكن ليست خارجه تماما. أى أن أولويات المكان بالنسبة للثورة الشعبية تكون معكوسة بالنسبة لأولويات حرب العصابات طويلة الأمد.

ولكن تبقى العاصمة هى الهدف النهائى للجميع، فمنها تبدأ الأزمة، وفيها خاتمة الصراع.

ونقول أن أى نظام يمكنه إنكار وجود قافلة من الجمال فى الصحراء أو قطيع من الفيلة فى الغابة، ولكنة لايستطيع إنكار وجود خلية نحل فى العاصمة.

فمهما كانت المناطق النائية ثائرة مضطربة، يبقى النظام منكرا لوجود شئ هناك. ويدعى أن الأمن مستتب كالعادة، وأن كل ما يقال ليس سوى شائعات مغرضة.

أو يصور الإضراب على غير حقيقته، فيدعى أن المجرمين قد عبثوا بالأمن وروعوا المواطنين ولكن عين الأمن الساهرة قامت باللآزم فقتلت وإعتقلت وأعادت الأمور إلى نصابها، وضبطت وثائق تثبت أن المؤامرة قادمة من الخارج الذى دفع أموالا وجند أعوانا من ضعاف النفوس....إلخ.

ولكن حادثا صغيرا فى العاصمة يسمع به الشعب كله والعالم أجمع. وكلمة واحدة تقال فى العاصمة، تكون مسموعة أكثر من مئات الخطب الرنانة خارجها.

....

<u>حرب العصابات فى ظل شرائط غير مكتملة:</u>

غلبة ماهو سياسى على ماهو إستراتيجى

ربما تبدأ حرب عصابات طويلة الأمد فى ظل شرائط إستراتيجية غير مكتملة، أو غير مواتية. مثلا:

- قد تبدأ حرب عصابات فى دولة تفتقر إلى العمق الإستراتيجى.(لبنان مثلا)
- قد تبدأ تلك الحرب فى غياب جار صديق (دولة) تمد يد العون.
- قد تبدا تلك الحرب فى حالة إنقطاع تام عن كل الجوار.

إما نتيجة الموقع الجغرافى المعزول، كما فى، الدولة/ الجزيرة، مثل قبرص وكوبا وسريلانكا والفلبين..

أو تواطؤ دول الجوار مع المحتل فى فرض حصار على المقاومة. كما فى حالة جهاد الأفغان ضد الإحتلال الأمريكى حاليا.والمقاومة الفلسطينية ضد اليهود.

<u>كيف نجحت قبرص؟؟:</u>

فى كل الحالات الناجحة كانت الظروف السياسية المواتية هى التى عوضت الخلل الإستراتيجى الذى تعانى منه حركة المفاومة. حدث ذلك فى تجارب المقاومة فى قبرص ضد الإحتلال الإنجليزى. والثورة الكوبية ضد الحكم الإستبدادى للدكتاتور باتيستا. وكلاهما دولة/ جزيرة، صغيرة المساحة، أى تفتقر إلى العمق اللآزم، ومطوقة بالبحر. وليس لها أى جار صديق كما فى الحالة كوبا. أو أن الصديق موجود ولكنه بعيد خلف مياه البحر، كما هى اليونان صديقة الثوار القبارصة، بل أن الثوار يعتبرونها وطنهم الأم، وهى كذلك بالفعل. ولكن هناك البحر الذى يقف حاجزا أمام أى دعم يونانى خاصة مع تفوق المحتل البريطانى وسيطرته على البحر والجو.

أوضاع السياسة الدولية كانت سندا هائلا لحركة العصابات. وسنذكر تلك العوامل السياسية ، ولكن ليس قبل أن نشير إلى أنه مهما كانت العوامل الخارجية المواتية ، فى السياسة أو فى الجوار الصديق ، فلا يمكن أن يتحقق النجاح بلا عنصر جوهرى للغاية هو القيادة الممتازة والتنظيم الفعال المحكم الذى يؤدى مهام الثورة ويتحرك الشعب من خلفه بالدعم والتأييد.

<u>كيف نجحت قبرص ؟؟.</u>

فى قبرص كان هناك الأسقف مكاريوس القائد العام الذى يتميز بالجاذبية الشعبية (الكاريزما) وكان هنا الجنرال جريفاس ، القائد العسكرى الكفؤ والمنظم القدير .

وكان هناك التنظيم الثورى "أيوكا" الصلب المحكم .

ثم هناك المحيط الشعبى المتعاون والمتعاطف والإيجابى . وهكذا يمكن الإستفادة من أى عامل "خارجى" مواتى .

دوليا كان المشهد الدولى يعاد تشكيله طبقا لموازين القوى الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية .

فبريطانيا المحتلة لقبرص خرجت من الحرب منتصرة ظاهريا لكنها فى الحقيقة منهكة القوى وتحتاج إلى إعادة بناء قوتها معتمدة على حليفها الشقيق من خلف الاطلنطى ـ الولايات المتحدة ـ الذى كان المنتصر الحقيقى والوحيد فى تلك الحرب والذى يسعى بكل بساطة إلى الإستحواز على التركة الإستعمارية لحلفائه المنهارين فعليا، أى بريطانيا وفرنسا.

بريطانيا لم تعد قادرة على الحفاظ على إمبراطورية كبيرة ، فلابد من الإنحسار. وعندما زاد عليها الضغط عن حد معين أضطرت للإنسحاب مقابل إنتصار منقوص للمقاومة. ولأن المقاومة القبرصية لم تكن قوية بما يكفى فقد وافقت على الإنتصار المنقوص والذى تمثل فى إستقلال الجزيرة وليس ضمها إلى اليونان كما كان يخطط جريفاس مفجر المقاومة وقائدها العسكرى. ولكن ماكاريوس كان قد وافق على صفقة بهذا الشكل، وإنتهى الأمر.

<u>كيف نجحت كوبا؟؟ :</u>

كان الوضع فى كوبا أصعب منه فى قبرص . فالحاكم الفاسد وبطانته من اللصوص يبعدون مسافة قليلة عن الشواطئ الأمريكية التى ترعاهم حكومتها .
والثورة لا تدعمها أى حكومة وتعتمد على المهاجرين الكوبيين من الشباب الثائر لدى جيرانها من اللاتين ، التى تنتهى تمرداتهم إلى مزيد من سفك الدماء والضعف ثم مزيد من الإرتماء تحت القدم الأمريكية .
أما عوامل القوة الذاتية لدى الثوار فى كوبا فكانت كافية لإحراز النصر فى ظل عدم تدخل عسكرى يساند النظام .
كانت الثورة تتمتع بزعيم كفؤ، ذكى ويتمتع بجاذبية شعبية كبيرة وذو ماضى نضالى مشهود لدى الشعب. المنطقة الجبلية التى تمركز بها الثوار كانت مكسوة بالأشجار وصعبة التضاريس، فوفرت لهم مناعة ضد الطيران والهجمات الأرضية.
وكانت القوات الثورية متحمسة وإكتسبت الخبرة تدريجيا من خلال الممارسة.
تمتعت الثورة بالكثير من الكوادر الثورية الممتازة مثلوا أذرعاً للثورة فى أنحاء كوبا، وقادوا القوات الثورية وحركوا الجماهير وألهبوا حماسها .
من العوامل المساعدة كان هروب الطبقة الفاسدة بأموالها إلى الخارج ، فانفض الأقوياء من حول النظام ، الذى مالبث أن تهاوى.

كيف نجحت الجزائر؟؟:

خاض الشعب الجزائرى نضاله ضد المحتل الفرنسى تحت قيادة جبهة سياسية متحدة هى جبهة التحرير الجزائرية ـ التى تحولت بعد النصر إلى الحزب الحاكم للبلاد .
لم تستطع الجبهة تطوير نضالها لابعد من مرحلة "الدفاع الإستراتيجى" التى تحدثنا عنها ، هذا رغم أن الجزائر تتمتع بالعمق الاستراتيجى ، ولكن تشوبه شائبه الصحراء الواسعة فى الجنوب والتى لا تصلح كثيرا لنشاط فعال لحروب العصابات متنامية .
إعتماد المجاهدين الجزائريين (وهذا كان إسمهم رسميا وقتها !!!) كان مركزا على سلسة جبال الاوراس الموازية للبحر المتوسط ، وهو مناسب تماما لنشاط حرب العصابات ، ثم كان تركيزهم تاليا كان العاصمة الجزائرية.وفيها حقق المجاهدون أروع ملاحم الشجاعة فى حرب المدن التى أدهشت العالم وحركت وجدان شعب الجزائر والشعوب العربية بل والعالم. ثم تأتى بعد ذلك مناطق ومدن فرعية آخرى أقل أهمية .
ويمكن القول أنه لولا حرب المدن "حرب الإرهاب!!" فى العاصمة الجزائر ، ربما لم يكن الجهاد الجزائرى ليصل إلى نتيجة التحرير وطرد المحتل وإقامة حكم وطنى .
وكان القلب النابض للحرب فى العاصمة هو "حى القصبة" الشعبى العتيق . الذى كان أشبه بغابة كثيفة من المبانى القديمة والحوارى المتعرجة التى تشبه المتاهة. بالطبع كان هناك تجاوب كبير جدا من السكان مع المجاهدين الجزائريين فقدموا لهم شتى أنواع العون التى يمكن تصورها ، وشارك المئات منهم فى العمليات الفعلية سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفال .

عانت الحركة الجزائرية من نقاط ضعف عديدة ، فقد كانت فى حصار سياسى من دول الجوار الخاضعة كليا أو جزئيا للمستعمر الفرنسى . والمساعدات الوحيدة ذات القيمة كانت من حكومة عبد الناصر فى مصر ، وتصل بالتهريب بحرا وبرا . والأهم كان الدعم الإعلامى الذى قدمته إذاعة (صوت العرب) من القاهرة التى كان لها نفوذ هائل فى المنطقة العربية كلها ، وكانت جبهة التحرير الجزائرية تبث منها برامج خاصة وتذيع بياناتها عبرها.وقدمت الحكومة المصرية دعما سياسيا كبيرا للحركة .

أما العامل السياسى الدولى فكان ذى أهمية كبيرة جدا .

فالقوة الإستعمارية ـ فرنسا ـ كانت مهزومة فعليا فى الحرب العالمية الثانية ، وكانت أوهامها الإستعمارية أكبر بكثير من قدرتها الفعلية. وشعوب المستعمرات السابقة بدأت تستيقظ. فمنيت بهزيمة هائلة فى فيتنام ، وحاولت التمسك بالجزائر بكل وسيلة حتى أوشكت هى نفسها ـ أى فرنسا ـ على الإنهيار .

كان على المسرح الدولى قوة جديدة هى الإتحاد السوفيتى الذى أعلن سياسة دولية تقوم على دعم نضال الشعوب المستعمرة لنيل حريتها وكان يأمل فى أن تختار تلك الدول نهجة الإشتراكى ، وقد حدث ذلك بالفعل فى دول عديدة منها الجزائر .

تحدثنا أن القطب الدولى الآخر ـ الولايات المتحدة ـ وكانت تسعى نحو وراثة الإمبراطوريات الإستعمارية القديمة ، والإستحواز على ممتلكات حلفائها فى الحرب بالذات بريطانيا وفرنسا .

ذكرنا أن مجاهدى الجزائر لم يتخطوا عتبة "الدفاع الإستراتيجى" رغم أن مصر بنت لهم جيشا نظاميا تحت إسم "جيش التحرير الجزائرى" وتم حشد جزء منه على الحدود التونسية الجزائرية،لكنه لم يشارك فى العمليات القتالية، وكان الجيش مزودا ببعض المعدات الثقيلة .

. . . .

<u>الجزء الثالث</u> : الثورة الشعبيـ ـ ـ ـة
(العصيان المدنى ـ الإنتفاضة)

<u>تعريف:</u>

الثورة الشعبية هى عملية عصيان مدنى واسع النطاق ، تقوم فيه الجماهير تحت قيادة مقتدرة، بهدف إسقاط نظام الحكم القائم وإستبداله بحكم صالح يلبى مطالبها الحالية وطموحاتها المستقبلية فتشل الإنتفاضة قدرة الحكومة على إدارة البلاد. وتستمر الجماهير فى الشوارع،متصدية لحملات القمع والترويع إلى أن يستسلم النظام ويسقط، وتتولى قيادة الإنتفاضة زمام الحكم وإدارة البلاد .

نشير هنا إلى أن عملية التغيير بواسطة الثورة الشعبية والعصيان المدنى هى عملية تتمتع بمزايا كثيرة جدا عن عملية التغيير بواسطة المواجهة المسلحة بإسلوب حرب العصابات .
فالخسائر فى هذه الحالة قليلة جدا إذا ما قورنت بخسائر الحرب المسلحة، والبنية التحتية تبقى سليمة بوجه عام ، وخسائر الأرواح محدودة إذا قورنت بمثيلتها فى الحرب المسلحة.
والثورة الشعبية لا تعرض الشعب لمخاطر الحرب الأهلية وبالتالى تبقى صفوف الشعب أكثر تماسكا.
لهذا تبقى الإنتفاضة أوالثورة الشعبية خيارا مفضلا إذا كان الإختيار ممكننا بين الوسيلتين. ولكن الأغلب هو أن الظروف المحيطة بعملية المواجهة هى التى تدفع نحو الخيار الأنسب المتاح .
هناك عنصران هامان فى الشروط الواجب توافرها لنجاح الإنتفاضة الشعبية وهما :
١ ـ وضعية المدن ٢ ـ وضعية الجيش

فكرة الثورة الشعبية تركز على دور العاصمة والمدن فى الإقتصاد المحلى.
فإذا كان الإقتصاد متطورا بحيث يكون للإنتاج الصناعى دورا هاما وبارزا، فإن العصيان يكون مؤثرا لأنه يشل ذلك القطاع الهام، ويظهر التأثير سريعا على إقتصاد الدولة، وتترنح الحكومة، ويبدأ النظام فى التفكك إذا إمتدت فترة العصيان.
أما إذا كان إقتصاد الدولة بدائيا ويعتمد أكثر على الزراعة والرعى فإن إنتفاضات المدن تكون قليلة التأثير على النظام ويمكنه إستيعابها حتى ولو إستمرت لفترة طويلة.
أيضا كلما كانت العاصمة كبيرة ومعقدة، ومكدسة سكانيا، وتركزت بها حركة تجارية ضخمة، مع قطاع صناعى كبير بداخلها وعلى أطرافها، وكلما تضخمت الأحياء الشعبية الفقيرة والأحياء العشوائية ، ومدن المقابر على أطرافها، كل ذلك يسهل عمل الثوار ويجعل الإنتفاضة أكثر فعالية ومهمة قُمعها غاية الصعوبة ، كما أنها تستغرق وقتا أقصر فى إسقاط النظام القائم وإستيلاء الثوار على زمام السلطة.
<u>معضلة الجيش:</u>
هو التحدى الأكبر أمام الثوار ، سواء كان خيارهم هو الكفاح المسلح طويل الأمد، أو كان الإنتفاضة المدنية. لذا كانت دراسة الجيش وتحديد السياسة إزائه هى من أهم الدراسات "المصيرية " التى تجريها قيادة الثوار .
ويلتحق بتلك الدراسة حالة القوات العسكرية الأجنبية الموجودة على أرض الدولة على إعتبار أنها قوات معادية قد تتدخل ضد محاولة الشعب تغيير النظام العميل.
إذن هناك الجيش "الوطنى" وطبيعته ـ ثم القوات الأجنبية وأوضاعها ونواياها .

* إذا كان الجيش "الوطنى" قائم على مبدأ التجنيد الإجبارى فإن جنوده يكونون من أبناء الطبقات الشعبية ، ويتأثرون بما يجرى فى البلد ويؤثر عليهم كباقى أفراد الشعب. فإذا كانت حالة الثورة متفشية فى الشارع فإنها تكون فى صفوف جنود الجيش بنفس المقدار.

وإذا كان ضباط الجيش ليسوا حزبيين أو عقائديين، فإن الضباط يكونون أقرب إلى التيارات السياسية فى الشارع .

هناك الجيوش الحزبية والعقائدية وفيها طبقة الضباط تكون معادية بشكل أكبر للشعب وقريبة جدا من السلطة ، وهى أقرب لإستخدام العنف دفاعاً عن النظام .

أيضا الجيوش القائمة على الإحتراف والتطوع وليس التجنيد الإجبارى ، فإن جنودها يكونون أبعد عن نبض الشارع ، وهم أقرب إلى إرتكاب جرائم العدوان على أفراد الشعب . وهم أفضل تدريبا وإنضباطا من الجيوش الآخرى .

هناك أنظمة تصنع طبقة "مرتشية " من الضباط وفيها يخصص للضباط إمتيازات إقتصادية كبيرة تضعهم فى مستوى أعلى بكثير من المستوى المتوسط للشعب لكسب ولائهم. هؤلاء فى الأغاب يكونون على إستعداد للقتال دفاعا عن أوضاعهم المعيشية العالية وعن النظام الذى يقدم لهم الرشاوى الكبيرة .

هناك أيضا طبقة الضباط الجهوية أو الفئوية ، وتظهر فى الأنظمة المتخلفة التى يسيطر فيها أبناء جهة أو فئة أو طائفة معينة على مقاليد النظام كله بما فيها الجيش .

هؤلاء يدافعون بعنف عن النظام لأن الإطاحة به تعنى ضياع مستقبلهم المهنى والسياسى والإقتصادى الذى بنى على هذا الوضع الشاذ .

ـ بالطبع هناك دول متخلفة تجتمع فى ضباط جيوشها، عدد من المواصفات السابقة. فقد تكون عقائدية وفئوية وحزبية فى آن واحد حدث ذلك فى افغانستان "السوفيتية" سابقا، وفى سوريا والعراق واليمن الجنوبى وغيرهم .

مثل تلك الجيوش أكثر إستعدادا لإستخدام القوة المسلحة ضد أى تحرك شعبى.

وقد برهنت الجيوش المذكورة على ذلك فعليا. واستخدمت العنف المفرط وقتلت عشرات بل ومئات الألوف من مواطنيها دفاعا عن الأنظمة.

ـ إذا كانت الدولة تحت الإحتلال، فإن الثورة الشعبية أو المسلحة، تجابهها قوات الإحتلال، التى تدفع أمامها قوات القمع المحلية وهذا يتيح مرونة أكبر لقوات الإحتلال أن ترتكب المجازر وتجد لها شريك، تلقى عليه المسئولية كاملة.

كذلك عمليات التعذيب والقتل فى المعتقلات، تضيع مسئوليتها، إن كان هناك أى مسئولية، ما بين الإحتلال والسلطة العميلة.

ـ خلال الإنتفاضة الشعبية، إذا تقاعس الجيش الوطنى عن إطلاق النار بالشكل المطلوب، فربما شاركت قوات أجنبية، ترتدى ملابس الجيش الوطنى، فى أطلاق النارعلى المتظاهرين،كما فعلت قوات إسرائيلية أثناء أحداث الثورة فى إيران.

والهدف من ذلك كان تخريب العلاقة بين الثوار والجيش ، وهى العلاقة التى بدأت تتحسن وبدأ الجيش يميل إلى جانب الثوار بالتدريج، وقد إنضم إليهم فى نهاية الأمر.
وفى الحقيقة فإن أى دولة إستعمارية تتردد كثيرا فى دفع قواتها للعمل ضد ثورة شعبية مقتدرة، من أجل مساندة نظام عميل وعاجز. ذلك أن إحتمالات فشلها تكون كبيرة ومستقبلها فى ذلك البلد سيكون مظلما.

الثورة الشعبية المسلحة:

ـ إذا كانت الدولة ضعيفة إقتصاديا وغير صناعية، ومتخلفة إقتصاديا إلى درجة أن العاصمة لاتمثل قيمة إقتصادية كبيرة بحيث أن تكبيلها بعصيان مدنى لايؤثر كثيرا على الوضع الإقتصادى للدولة وبالتالى إستقرار النظام.
ـ أو أن الدولة متطورة صناعيا والعاصمة أيضا قوية ولكن الدولة واقعة تحت إحتلال أجنبى مصمم على البقاء، وما زالت البلاد تمثل قيمة كبيرة لديه، فإن الثورة الشعبية ستجابه بالمجازر.
فى تلك الحالات يجد الثوار أنفسهم أمام إختيار إجبارى بإسخدام السلاح المتاح بين أيديهم دفاعا عن أنفسهم، ونكون أمام حالة خاصة يطلق عليها "الثورة الشعبية المسلحة" ـ أو الإنتفاضة المسلحة" ميدانها الأساسى هو شوارع العاصمة والمدن. فإذا كان الجيش الوطنى قويا بما فيه الكفاية تحول الأمر إلى مجازر وحمام دم تزهق فيه آلاف الأرواح من أبناء الشعب.
أما إذا كان الجيش ضعيفا، فيمكن أن تتقدم الثورة وتحرز نجاحا وقد يصلون إلى الحكم، كما حدث مع حركة طالبان فى أفغانستان فى زحفها المسلح نحو العاصمة الذى إستغرق عامين (٩٤ ـ ١٩٩٦).
وحتى إذا كانت الدولة صناعية ولكن إنتفاضتها عشوائية وغير منظمة، بينما يتمتع النظام بحلفاء أقوياء مستعدون لإستخدام القوة لحمايته من ثورة عشوائية لايمكنها الصمود ولا تتمتع بقيادة جيدة، فإن الإنتفاضة ستجابه بالقمع العنيف وتفشل.(ثورة المجر ١٩٥٦ وثورة تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨).

****

إستخدام سلاح الوقت فى الثورات:

نشير هنا إلى الأهمية الفائقة لعنصر الوقت. تماما كما فى حرب عصابات طويلة الأمد، فإن النظام يسعى إلى إنهاء الأزمة فى أسرع وقت، قبل أن تتفاقم تأثيراتها. بينما الثوار يسعون إلى إطالة أمد المواجهة، لدافع أساسى هو بناء قواهم الذاتية تدريجيا وصولا إلى حالة من القوة تمكنهم من حسم معركتهم مع نظام كان قويا فيما مضى ولكن جراح المعارك الطويلة إستزفت قواة المادية والمعنوية.
إن السعى لكسب الوقت ليس من أجل إضاعته، لأنه هنا سلعة غالية جدا ثمنها كان دماء وأرواح فإذا أضاع الثوار الوقت المكتسب فإن مصيرهم الفشل أى الهلاك.

للوقت نفس القيمة فى حالة الثورة الشعبية. يحتاج الثوار إليه حتى يختنق النظام فى أزماته الأمنية والإقتصادية، وتتبخر قيمته السياسية لدى سادته فى الخارج. ويودى التآكل السريع بهيبته، ويفر كبار الرأسماليين برؤوس أموالهم إلى الخارج. والدائنين الخارجيين والبنوك الدولية تصبح قلقة على أموالها ، والجيش متذمر وتبحث قياداته العليا، مع السفارات الأجنبية، مشروع إنقلاب عسكرى يقطع الطريق على ثورة تنشد التغيير الجذرى وليس الإصلاح الشكلى الذى يبقى جذور المشاكل على حالها.

الوقت ينخر بسرعة كبيرة فى قوائم النظام، ولكن بشرط أن تتولى القيادة الشعبية، زمام الأمور بكفاءة وإقتدار، وتستثمر عنصر الوقت على أفضل وقت لتقوية الثورة ومحاصرة النظام وشل فعالياته.

التحدى الأكبر أمام القيادة هو إبقاء معنويات الشعب عالية، وأن يصمد الناس لبطش الشرطة فى الشوارع رغم سقوط الشهداء والمعتقلين والتعذيب الوحشى.

وتمنع ، بل وتحبط أى محاولة لإثارة الفوضى العامة مثل السرقات وإشعال الحرائق أو الإغتيالات. ذلك لأن النظام هو صاحب المصلحة فى تلك الأعمال، لتنفير الناس من طريق الثورة، التى سيتهمها بالفوضى والتخريب والإضرار بمصالح الشعب، محاولا عرض نفسه على أنه الأمل والمنقذ من الفوضى.

قوات الأمن:

على قيادة الإنتفاضة إبقاء الشعب فى الشوارع وتعطيل النشاط الحكومى إلا مايتعلق بشكل مباشر مع مصالح الناس مثل المستشفيات والمخابز ووسائل المواصلات، بل والمساعدة فى تشغيلها أو حتى إدارتها بشكل مباشر.

- يحظر بشكل مطلق على المتظاهرين إستخدام أسلحة نارية أو سلاح أبيض.

مجابهة الشرطة تكون بإقامة المتاريس على نطاق واسع فى المدينة . وكلما إنتشر نشاط الثوار أفقيا فى المدينة، نشر النظام قوات الأمن على مساحة أكبر لتغطى جميع الأماكن المضطربة، فتصبح ضعيفة فى كل مكان. وإذا إنتشر العصيان المدنى فى معظم المدن تشتت قوة القمع وتبعثرت وفقدت فعاليتها. لأن فعالية أى قوة عسكرية تكمن فى تركيزها.

عرقلة قدرة هذه القوات فى الحركة داخل العاصمة، أوالمدينة، يزيد من ضعفها. وكذلك عرقلة تحركها هلى الطرقات الرئيسية للدولة.

التصدى لقوات القمع هو أول تحدى يواجه الثوار. وهى قوات متعودة على البطش المبالغ فيه بلا ممانعة من الضحية، كونها تعمل فى أوساط مدنية عاجزة عن الدفاع عن نفسها. أما وقد خرج الناس إلى الشوارع وهم مصممون على التصدى والإنتصار، فإن تلك القوات تفقد معنوياتها بسرعة وتكتشف فى نفسها ذلك الخوار المهين وضعفها الداخلى.

وذلك شأن كل طاغية باطش ، يخفى بوحشيته الظاهرة خواء وضعفا عجيبين تتجلى وقت إحتدام المعارك الحقيقية مع جنود الحق ولو كانوا ظاهريا ضعفاء، إلا أن قواهم الدخلية الساحقة تتجلى لأعين أعدائهم فى ميدان المعركة، فيموتون رعبا حتى قبل أن يطالهم سلاح المظاليم.

أمن الإنتفاضة.. والأسرى:

- تولى قيادة الإنتفاضة موضوع الأمن أهمية خاصة. وتبدأ على الفور بتكوين جهاز أمنى خاص للإنتفاضة. وكل مدينة تبدأ بها الإنتفاضة تكون قيادتها جهاز أمنها الخاص. مع الوقت تترابط تلك الأجهزة ويتكون منها جهاز أمن وطنى، يتولى أدارة أمن البلاد بعد تسلم زمام السلطة.

أثناء الصدامات المتكررة يسقط قتلى وجرحى من جماهسر الشعب المعتصمة فى الشوارع، وهذا شئ طبيعى. ولكن يسقط جرحى من رجال الشرطة، ويقع أسرى. فإذا كان الأسرى من الجنود، يبقون لفترة قصيرة مع الثائرين ويعاملون معاملة أخوية كريمة ثم يطلق سراحهم ومعهم بعض الهدايا إذا أمكن .

أما إذا كانوا من ضباط الأمن فيجرى التحفظ عليهم ومعاملتهم معاملة حسنة إلى أن يتم التحرى عن سلوكياتهم أثناء المظاهرات، ثم يحالون إلى محاكم الثورة الميدانية. فإذا كان سلوكهم غير عدوانى بشكل إستثنائى، فيطلق سراحهم. وإن كانوا من ذوى السلوك العدوانى، فيتم إحتجازهم كأسرى حرب إلى مابعد سقوط النظام ثم يقدمون إلى المحاكمات.

رجال الخدمة السرية وباقى جواسيس النظام الذين يقعون فى الأسر يحتجزون لمحاكمتهم بعد سقوط النظام. ويحظر حظرا باتا أى ممارسات سيئة تجاه الأسرى. بل يعاملون أفضل معاملة إلى أن يبت القضاء فى أمرهم. وذلك هو الفرق بين نظام قادم لتحقيق العادلة ونظام قائم على الظلم والبطش.

الجرحى من أسرى النظام تقدم لهم أفضل عناية طبية ممكنة. والأسلحة التى تؤخذ من الأسرى يزود بها جهاز أمن الإنتفاضة.

للقيادة العامة أن تضع قوانين التعامل المناسبة لهذه الحالات، وربما جرت عمليات تبادل للأسرى مع النظام قبل إنتهاء المواجهات.

الجيش فى الشارع:

إذا كان جنود الجيش غير محترفين ، وتربى الضباط على مبدأ حب الوطن والدفاع عنه ، وحتى لو كانوا طبقة مرفهة تأكل جيدا من خزينة الدولة . فإن تعامل الإنتفاضة الشعبية مع ذلك الجيش تكون أيسر منها فى أى حالة أخرى .

وتكتيكات الثورة فى إيران مع الجيش كانت هى الأنسب على الإطلاق . إذ قرر قائد الثورة عدم التعرض للجيش أو مقاومته ، بل إظهار الترحيب به والهتاف له وإلقاء

الزهور على قواته فى الشوارع ، حتى ولو أطلق الجيش النار وسقط الشهداء على أرض الشوارع . وأيضا عدم إخلاء المتظاهرين للشوارع وبقائهم فيها مهما حدث.
هذا الأمر ليس من السهل تطبيقه عمليا لأنه يعنى تخطى عدة عقبات شائكة وخطيرة وتحتاج إلى سيطرة هائلة على الشارع ، وإنضباط شديد من مئات الألوف من المتظاهرين الغاضبين ، مع رفض لمغريات إستخدام العنف المضاد حتى لو توافرت وسائلة ، أى حتى لو توافر سلاح فى يد المتظاهرين.
وقد حدث كل ذلك ، وحافظ المتظاهرون على ثباتهم فى الشوارع مع سقوط الشهداء. فكانوا يعودون سريعا إلى الشوارع التى سادها الإضطراب ويخلون منها الجثث والجرحى . ويطوفون فى جنازات كبيرة حاشدة تثير المشاعر وتؤلب الناس على النظام فتتسع رقعة الثورة والعصيان المدنى .
ظهر عدد من قطع السلاح فى يد المتظاهرين ، وكان مصدره جنود فروا من الخدمة ورفضوا الإستمرار فى مواجهة شعبهم بالدبابات فى الشوارع .
ولكن أحدا من الثائرين لم يستخدم السلاح إلا فى الأيام الاخيرة أو الساعات الأخيرة من الثورة حينما إستولى الثوار على مقار الشرطة والإستخبارات والمبانى الحكومية، وطاردوا رجال الخدمة السرية "السافاك" فى الشوارع وألقوا عليهم القبض وقدموهم لمحاكم الثورة .
إن إستخدام الثوار للقوة فى أى مرحلة، لابد أن يكون خاضعة لرؤية استراتيجية فى إطار مفاهيم الإنتفاضة، فلا ينبغى بأى حال السماح بإستخدام عشوائى للسلاح أو للعنف بأى صورة، مثل التخريب أو إشعال الحرائق أو عمليات الإغتيال . لأن ذلك يؤدى إلى أسوأ العواقب بالنسبة للتحرك الشعبى . حتى أن الحكومات الفاسدة تلجأ إلى تلك العمليات لإفتعال الظروف التى تؤدى إلى إجهاض الثورة .
(فى عام ١٩٥١ أفتعل النظام المصرى حريقا فى القاهرة إتخذه وسيلة لإعلان الأحكام العرفية والقضاء على حركة الفدائيين فى قناة السويس ضد القاعدة البريطانية هناك، ويقضى على ثورة شعبية لاحت علاماتها) .

إنضباط وتكافل:

إن السيطرة على الجماهير قضية محورية فى الثورة الشعبية . إخراج الجماهير إلى الشارع ـ وتحريكها فى الشارع ـ ضبط حركتها فى الشارع حماية التحرك الجماهيرى من إختراقات النظام لحرف مسار الإنتفاضة نحو أعمال سلب ونهب أو عنف طائفى أو دينى ـ إبقاء الجماهير فى الشارع لمدة طويلة جدا أسابيع أو أشهر إلى أن تتحقق أهداف الإنتفاضة ـ إبقاء الناس فى الشوارع حتى مع إطلاق النظام النار عليهم وسقوط الشهداء ـ ضبط المشاعر وعدم الإنجرار إلى العنف فى مواجهة الجيش إذا نزل إلى الشوارع ـ مساعدة الجرحى وتضبيط عمليات إمداد المتظاهرين بالطعام والماء والخدمات الضرورية بواسطة نظام من التكافل الشعبى الوطنى.

فإطعام المتظاهرين فى الشوارع أثناء الثورة الإسلامية فى إيران كان يتم بواسطة المواطنين أنفسهم ، وكل بيت كان يساهم بقدر بسيط من الطعام ـ وكل شارع يضع محصول الطعام لديه على طاولة فى الطريق يأخذ منها المحتاج ما يريد .

أنظر الفرق بين هذه الحالة وبين الثورات "المخملية" التى أفتعلتها أمريكا بعد حرب العراق فى عدة دول مثل أوكرانيا وجورجيا ، حيث أن تمويل المظاهرات يتم من الخارج وملايين الدولارات أنفقت فى شراء الوجبات الجاهزة والخيام الحديثة، وقدمت لهم تغطية إعلامية لا مثيل لها ومساندة قانونية من المؤسسات الدولية وجماعات حقوق الانسان.

القائد ـ التنظيم ـ البرنامج

إن هذه السيطرة المحكمة على شارع يضج بالحركة والصراع ، وعلى إمتداد الوطن ، فى العاصمة والمدن الكبرى . كل ذلك يحتاج إلى ثلاث عناصر هامة :

١ ـ قائد موثوق ومطاع وذو علاقة تاريخية جيدة مع جماهير الشعب.

٢ ـ تنظيم يربط ما بين القائد وجماهير الشعب. ينقل إليهم أوامر وتوجيهات القائد فيسمعها الجمهور من القائد مباشرة عبر الوسائل الممكنة. ويجرى تطبيقها فورا بمساعدة وإرشاد كوادر الثورة والقادة الميدانين فى الأحياء والمدن خارج العاصمة.

هذا التنظيم على درجة عالية من المرونة، ويجارى فى توسعة سرعة إنتشار لثورة وتزايد نزول الجماهير إلى الشوارع. ويمكنه إستقبال الكوادر الجديدة وتدريبهم والإستفادة منهم على الفور.

هؤلاء الكوادر ممن فجروا الثورة أو الذين إنضموا إليها أثناء العمل، لديهم قدرات كبيرة ومنوعة، علمية وثقافية وفنية. وعلى أكتافهم يعاد بناء أجهزة الدولة فى مختلف التخصصات.

٣ ـ البرنامج الذى يطرحه القائد على الشعب. له دور هائل فى تفجير الثورة وديمومتها ونجاحها. فالبرنامج فى هذه الحالات لايكون برنامج القائد أو الحزب، بل هو برنامج الأمة كلها.وما يتكلم به الناس سرا وعلنا، بل ويحلمون به فى نومهم.

ولا يمكن أن يضع مثل ذلك البرنامج إلا قائد حقيقى، نابع بالفعل من صفوف الشعب. هو برنامج لا يعبر عن أى مجموعة صغيرة أيا كانت. بل هو تعبير عن شعب بكامله. يعبر عن آمال مستقبلية وآلام حالية فاقت الإحتمال. برنامج يجمع الأمة ولايبعثر قواها. ويشعر كل فرد وفئة وجماعة أنه واضع ذلك البرنامج.

إنه برنامج الأمة المنصهرة عناصرها لمقاومة ظلم فادح واقع عليها وأصبح من المستحيل الإستمرار فى تحمله.

فإذا كان فى البرنامج المطروح للثورة الشعبية مطلبا واحدا، أو بندا واحدا لايشارك فيه الجميع، فإن النتيجة هى تشقق الصفوف، وتسرب مؤامرات العدو خلالها، فينهار مشروع الثورة. ومعروف أن تكلفة الفشل فى مشروع ثورة أو حرب مسلحة هى أفدح من تكاليف الإنتصار.

نفس الخسائر الباهظة تقع إذا ضعفت القيادة وإنحرفت إلى طريق المساومات وأنصاف الحلول، أوالبحث عن مكاسب ضيقة للحزب أو الأشخاص. فما أن يسود الهدؤ وينصرف الناس إلى حياتهم المعتادة، ويسترد النظام أنفاسه، حتى يسترد كل ما قدمه من تنازلات. ويقوم بحملة بطش هائلة تطال كل القوى الفاعلة فى الشعب أو التى يمكن أن تشكل خطرا فى المستقبل ، حتى وإن لم تكن شاركت بالفعل فى أى شئ ضده . وتنتكس حركة الشعب لفترة طويلة تمتد عادة إلى عقود من الزمن .

من أجل هذا تطرح قيادة الإنتفاضة مطالب جذرية وليست مطالب هامشية. المطلوب يجب أن يكون رأس النظام ، لأن الشعارات المطلبية يستطيع النظام تلبيتها مؤقتا، إلى أن تهدأ الأمور ويعود الناس إلى بيوتهم وعندها يبدأ الإنتقام البشع الذى لا يبقى أى شيئ .

فالثورة لا ترفع شعارات مطلبية مثل : غلاء الأسعار أو رفع الرواتب أو تخفيض الضرائب ، أو رسوم التعليم والخدمات الطبية وأجور السفر ... الخ

الثورة تطرح مطالب جذرية مثل: تغيير النظام الحاكم وإنسحاب قوات الإحتلال . وتحقيق العدالة الاجتماعية ـ والقضاء على الفساد ومحاكمة المفسدين من أركان النظام . والاستقلال السياسى والإقتصادى للبلاد ـ وإغلاق القواعد الأجنبية , وإلغاء الإتفاقات الجائرة والتى لا تحقق مصالح الشعب أو التى تعطى إمتيازات للمحتل أو الدول المعادية ـ بناء إقتصاد وطنى قوى ـ بناء نظام دفاعى مستقل وفعال ـ وقف التعاون العسكرى والأمنى والإقتصادى مع الدول المعادية ..

إعادة المركزية لقضية فلسطين ، وتحرير البلاد العربية المحتلة ، وإخلاء المنطقة من القواعد العسكرية الأجنبية ، توحيد المنطقة العربية إقتصاديا وقانونيا وسياسيا وعسكريا حتى يمكن مواجهة التحديات الخارجية المعادية والاجتياحات المتوالية على المنطقة . تحقيق الفصل بين سلطات الدولة ـ الإنتخاب الشعبى المباشر للمحافظين ومديرى الأمن فى المحافظات والمدن ، محاكمات علنية للمسئولين عن قضايا التعذيب والإنتهاكات والرشوة والفساد والتعاون مع الأعداء والتضليل المتعمد للشعب بتقديم معلومات كاذبة أو مغلوطة أو المشاركة مع الأجنبى فى الحرب النفسية على الشعب . تحقيق العدالة الإجتماعية والتنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة والحقوق الشخصية والدينية الكاملة لجميع المواطنين ـ وقف الغزو الثقافى والفكرى القادم من الخارج. تقوية دور الدولة فى الإقتصاد الوطنى، وتبنى مصالح الفقراء وحمايتهم وتأمينهم.إصلاح جذرى لنظام التعليم، وتبنى فلسفة جديدة للأمن والدفاع ، وإعادة بناء تلك الأجهزة، بحيث تؤدى دورها الطبيعى فى حماية المجتمع، وليس أعداء المجتمع فى الداخل والخارج.

إغلاق البعثات التبشيرية مهما كان غطاؤها الخارجى ، وسواء كانت موجهة إلى المسلمين أو المسيحين من سكان البلاد . نشر العلم الدينى والثقافة ة والقيم الدينية بعيداً عن التعصب والشكليات والإستفزازات بين جميع الطوائف ، وإعادة الإعتبار

لعلماء الدين وإستقلالهم العلمى والإقتصادى ـ وجعل الدين مستقلا تماما عن أجهزة الدولة وتدخلاتها. وتحريرالمعاهد و الجامعات الدينية من كل أشكال التدخل الحكومى.
وإعادة الإعتبار للمساجد وتحريرها من سلطة الدولة وتطهيرها من جواسس الأمن.
تحرير الأوقاف الإسلامية من سيطرة الدولة، وجعلها من الفعاليات الشعبية الحرة.

الشعار الخاطئ = خسارة المعركة

وبما أن الاشياء تعرف بأضدادها فإننا نسوق مثلا فاشلاً لإستنهاض الشعب من أجل الثورة على نظام قمعى مستبد وفاسد فى بلد عربى.
قام بالمحاولة تنظيم سلفى جهادى فتقدم بالعرض التالى إلى من هم خارج "الجماعة" فقالوا :
١ ـ بما أن نظام الحكم فى البلاد لا يحكم بما أنزل ا إذن فهو نظام كافر .
٢ـ وبما أن نظام الحكم كافر فنحن سنخرج عليه بالسلاح .
٣ـ وبما أن (من لم يكفر الكافر فهو كافر) طبقا للقاعدة الفقهية الشهيرة لديهم، فإن فإن المتلقى أو المستمع مالم يكفر النظام ومالم يخرج معهم بالسلاح لمقاتلته فانه سيكون هو اللآخر كافر .
(توقف العرض عند هذه النقطة لأن التكملة معروفة وهى :)
٤ـ بما أن المتلقى أو المستمع كافر أيضا ، فهم سيقاتلونه بالسلاح .
٥ـ وبما أنه هو الأقرب والأسهل فسيبدأون به .
وقد كان ...
يبدأ التنظيم السلفى الجهادى فى قتال من حوله من أفراد الشعب الذين لم يسعفهم فهمهم الدينى وذكائهم على فهم هذه الألغاز الفقهية وتلك الإستنتاجات المتتابعة المبهرة التى لا يفهمها إلا الضالعون على علوم الشريعة .
الرسالة إذن غير مفهومة وغير واضحة ، وتتكلم فى موضوع بعيد تماما عن ذهن الفرد العادى وإهتماماته ، حيث أن أحكام الحرام والحلال إستبيحت فى المجتمع وفقدت هيبتها من الجميع، بما فيهم تلك الجماعات نفسها التى أضافت إلى قائمة الحرام الكثير جدا مما لم توافقهم عليه المذاهب المعتبرة عند أكثرية المسلمين، فاختلط الحابل بالنابل .
وكذلك أستبيحت الفتاوى بنفس الطريقة ، ولم تعد الفتوى ذات أهمية أو جدوى فى تحريك الناس، مهما كانت درجة صحتها ، فهناك عدد لا يحصى من الجهات التى تصدر كل غرائب الفتاوى ، وتنقض وتسفه أى فتوى يصدرها غيرهم مهما كان مركزه الدينى . بكل بساطة : لقد فقد المسلمون مرجعيتهم الدينية وعمت الفوضى .
مثال آخر :

عندما حاول أسامة بن لادن تحريك المسلمين لإنقاذ الحرمين الشريفين من الإحتلال الأمريكى الذى أضحت قواته على مرمى حجر من مكة والمدينة . لم يتحرك أحد لا من خارج المملكة ولا من داخلها .
فى خارج المملكة الناس أعينهم على علماء المملكة وشعبها . فلا العلماء تحركوا ولا الناس رف لهم جفن.
فطالما أن جنود المارينز لا يقومون بتنظيم عملية الطواف حول الكعبة ولا عملية السعى بين الصفا والمروة ، ولاحفظ الأمن فى منى وعرفات . وباقى المشاعر .. فالدنيا بخير ـ ولا داعى لإثارة الفتن .
إن المشاعر الدينية لمسلمى القرن العشرين ليست هى مشاعر المسلمين فى القرون الخالية . فالناس غير الناس ، والعلماء غير العلماء والحكام غير الحكام .
ولنكن أكثر تحديداً ولنسأل أنفسنا ولنكن صادقين:
هل مازال الحج شعيرة إسلامية تؤدى دورا عباديا ؟ ودورا فى توحيد الأمة ؟. أم أنه أصبح موسما سياحيا(يسمونها الآن سياحة دينية!!) لإكتساب فوائد دنيوية منها لقب حاج ومنها فوائد تجارية وإستثمارية وشئ من الوجاهة الإجتماعية؟؟ .
وبالتالى: هل مازالت النظرة المقدسة للمشاعر قائمة ؟ إن الغالب لدى أهلها هو النظر إليها كمشروع إستثمارى ومجموعة بوتيكات تدر الأرباح الهائلة، إلى جانب المكانة الأدبية الرفيعة للمسيطرين عليها .
وما دام العمل دائر بنشاط والزبائن تتوافد تروح وتجئ، والبضاعة رائجة ، فما يهم أن تكون البوتيكات تحت حماية آل سعود أم آل بوش ؟ .
وما دام الحكام سعداء والعلماء سعداء والشعب سعيد والجميع مستفيد والفتنة نائمة لعن ا من أيقظها ـ فلماذا يتحرك المسلمون مطالبين بحق نام عنه أهله؟؟.
أو ليست مقدسات الحجاز ملك لآل فلان و رعاياهم، تماما كما هى مقدسات فلسطين ملك لآل عرفات وأبومازن وزعران آل دحلان ؟ .
لهذا لم يقتنع الشعب الأفغانى أيضا بدعاوى بن لادن عن المقدسات، وأكثر من نصف حركة طالبان لم تقتنع . وجاءت الحرب والشعب منقسم وناقم على الحرب ومن أشعلها ويدين بن لادن وأعوانه والطالبان وضعفهم فى ضبط ضيوفهم المزعجين. فكانت الهزيمة فى أفغانستان هى إمتداد للهزيمة فى السعودية. إمتداد لهزيمة عقائدية لفقه متجمد أنفض عنه المسلمين ، ولا يقنع حتى أهله والقائمين على إستثماره .
ـ نقول هذا رغم أن شباب جاءوا من المملكة إلى أفغانستان يستغيثون بأى مسلم كى ينقذهم من فظائع "غير شرعية" يقوم بها النظام الحاكم فى مكة نفسها ومحيطها من الحرم . فظائع لم تقتصر على تواجد منظم ومحمى لغير المسلمين فى مكة والحرم بل وصل إلى إدارة شبكات منظمة للدعارة تحت رعاية الكبراء جداً فى المملكة !!. وأعطى الشباب تفاصيل وأسماء وحددوا أماكن.

ناهيك عن إنتشار عدد كبير من المنكرات والمحرمات داخل الحرم وقرب المسجد الحرام!! ولكن النظره الحداثية للسياحة ـ ويظهر أنها وصلت أيضا للسياحة الدينية(!!) فجعلت المحرمات وعلى رأسها الزنا أحد عوامل تنشيط "صناعة" السياحة.
وهل يصبح غريبا على هؤلاء ال(آل) أن يطبعوا فى بلادهم ويوزعوا بين رعاياهم قرآنا جديدا/ مختصرا/ لمطابقة المطالب الأمريكية والإسرائيلة ؟.
قرآنا يكتفى فى مرحلته الأولى ـ الحالية ـ بحذف كل مايمس أهل الكتاب أو يحرض على الجهاد " **لأن الجهاد الذى فرضه ا على المسلمين أصبحت أمريكا وكلابها يحرمونه ويعاقبون عليه، ويسمحون فقط بالجهاد الذى يفرضه البنتاجون والبيت الأبيض".**

أى قيمة
لأولى الأمر
طوال العمر
والأوطان لولا أنهم عاشوا
لما صارت يتيمة
بلغ الرخص بنا
أن نمنح الأعداء تعويضا
إذا ما أخذوا أوطاننا منا... غنيمة !!

" أحمد مطر "

أما النسخة الحديثة من المصحف الكامل، فيكتبونه فى أمريكا حاليا وفيه تعديلات ترى أمريكا وإسرائيل أنها ضرورية لتحديث القرآن ، حيث أنه أمضى أربعة عشر قرنا بلا أى تبديل ، فأصبح قديما أكثر من اللازم ولزم تحديثة أو بمعنى أصح "تهويده". (والخطوة الطبيعية بعد ذلك قد تكون منع تداول "القرآن القديم" ، وبقرار من مجلس الأمن تحت البند السابع الذى يتيح إستخدام القوة المسلحة، حيث أنه " مادة إرهابية" تحرض على العنف والكراهية و"معاداة السامية" ـ والعياذ با ـ وبالفعل فقد طالبت مسئولون أمريكيون كبار فى أعقاب أحداث سبتمبر بمنع تداول القرآن الكريم، وتقديم من يقرأه إلى المباحث الفيدرالية والمخابرات الأمريكية CIA).
إذن هناك عوائق فقهية ـ بل وإعتقادية تمنع الفقه السلفى من إدخال جماهير المسلمين إلى ساحة المعركة ضد متجبرى العالم وكلاب صيدهم المحليين.
وإذ لم يحدث إجتهاد فقهى حقيقى فى مواضيع السياسة الشرعية، فالأرجح أن يبقى أصحاب الجمود الفقهى بعيدين عن مجال توجيه المجتمعات وصناعة مستقبلها السياسى، بل أنهم على الأرجح قد يصبحون إحدى القوى المعادية للتغيير، ومؤيدة بشكل مباشر أو غير مباشر للطاغوت الدولى وخدامه المحليين.

* إن مقولة "من لم يكفر الكافر فهو كافر" لاتصنع ثورة إسلامية ولا تحرك الناس نحو التصدى للظالمين وطواغيت العالم من أجل حياة أفضل لأنفسهم ولأولادهم ولأوطانهم.

* وحتى مقولات أيسر فهما ووضوحا مثل: "القدس فى خطر" أو أن "اليهود دنسوا المسجد الأقصى بعد أن إحتلوا كل فلسطين" أو أن"المشركين إحتلوا جزيرة العرب" أو أن "مكة والمدينة أصبحت محاطة بالقواعد العسكرية الأمريكية" أو أن " آل سعود دنسوا عمدا الحرم المكى ويغيرون فى المصحف الشريف".أو أن" الأوربيون يسبون رسولنا، وفى أمريكا يسبون إله المسلمين"... كل هذا على فظاعته لم يحرك جمهور المسلمين كى يفعلوا شيئا. ربما عكر مزاجهم قليلا، ولكن لم تلبث المياة أن عادت إلى مجاريها.

هناك حلقة مفقودة يجب العثور عليها لتحريك الموات السلبى للمسلمين.

لايتحرك المسلمون بفتاوى تاريخية فقدت القدرة على التأثير فى الواقع بعد أن فقدت إرتباطها به. سيتحرك المسلمون إذا **شرح لهم** (عالم ما) و**قادهم فى الميدان**، من أجل تحقيق معنى أن يكونوا مسلمين، وماذا يعنى الإسلام بالنسبه لهم فى واقعهم الراهن، وماذا يعنى لحريتهم ولقمة عيشهم وكرامتهم المهدرة ومستقبل أولادهم.

وماذا تعنى فى واقعنا الراهن ولحظتنا التى نعيشها الآن الكلمة الهائلة "لا إله إلا اله".

وماذا يعنى الآن فهم "أن محمدا رسول ا ".

وماذا يعنى الآن تحديدا هذا القرآن الذى نزين به أرفف المكتبات ونقرأه فى الجنائز وعلى القبور. وكيف أنه وسيلة لإنقاذ الأحياء وليس أداة لتشييع الموتى.

الإسلام كله، إجمالا وتفصيلا، فى حاجة إلى العالم المجاهد الذى يجدد معانيه ويقدمه لأناس هذا العصر بما يناسب عقولهم وظروف حياتهم وتيارات عالمهم.

حتى توضيح الفهم الصحيح أصبح لايكفى، إذ لابد من قيادة الناس نحو تطبيقة حيا على واقع الحياة.

مازال الفقه الذى بين أيدينا يخاطب الناس بخطاب كان موجها لأناس كانوا هنا ورحلوا منذ مئات السنين،ولا يخاطب أناس هذا العصر. وفى ذلك ظلم فادح لهم، بل جريمة فى حق هذا الدين الذى أنزل لكل البشر فى كل العصور. فمن يقدمه للناس فى عصرنا الراهن حتى ينقذنا وينقذهم مما نحن فيه؟؟. بل ينقذ البشر جميعا من هلاك محقق، من مفسدين أفسدوا الإنسان، والبر والبحر والهواء والكوكب كله الذى كاد أن ينفطر وينهار بساكنيه.

برنامج الثورة وشعار المرحلة:

تطرح الإنتفاضة (الثورة الشعبية) برنامجها على الناس، فهو بمثابة ميثاق للعمل الوطنى تتحد عليه الأمة لتغيير واقعها السئ إلى واقع أفضل.

فى أثناء فترة الإنتفاضة، تحتل الجماهير الشوارع لمدة طويلة لتبدأ صراعا لإسقاط نظام الحكم. الذى بدوره يحاول إفشال الإنتفاضة بمزيج من الإجراءات الأمنية والإقتصادية والإعلامية والإفتائية.. وأخيرا العسكرية.
فى تلك الفترة تطلق قيادة الإنتفاضة توجيهات عامة، على هيئة شعارات متتالية، ترشد الجماهير إلى الموقف الصحيح والأعمال المطلوبة.
وكلما غير النظام أساليب القمع طرحت قيادة الإنتفاضة شعارا جديدا للمواجهة.
أهم مطالب النظام فى طول فترة الإنتفاضة هو عودة الناس إلى بيوتهم وأعمالهم.
ومن أجل ذلك يقدم كل الوعود والمغريات المشفوعة بالتهديد والقمع فى الشوارع.
وعادة يجرى بعض الإصلاحات السريعة لإمتصاص النقمة وسحب البساط من تحت أرجل الإنتفاضة.
فقد يشكل وزارة جديدة، بها وجوة شريفة ومقبولة. وقد يخفض أسعار بعض السلع، وتمتلئ وسائل الإعلام بمناشدات رجال الدين والمثقفين والفنانين ولاعبى كرة القدم، بوقف "الفوضى" و"أعمال العنف" و "الفتنة التى هى ضد الدين الصحيح والعقيدة السمحة"، الفتنة التى يحرض عليها "متطرفون" و"عملاء العدو" من "الفئة الضالة" و"الظلاميين" " أعداء الديموقراطية والسلام" الرافضين لنعمة " الديموقراطية والسلام والعولمة"،المتنكرين "لحقوق الإنسان والمرأة والطفل"....إلخ.
فى مقابل الحملات بأنواعها تأتى شعارات الإنتفاضة : مختصرة، سهلة الفهم والتداول بين الناس، تحمل الأمل والشجاعة، وتختزل برنامج عمل فى مواجهة الوضع الراهن.

<u>الصدامات المتدرجة قبل الإنتفاضة الشاملة:</u>
قلنا أن قرار الشروع بالإنتفاضة والثورة المفتوحة ونزول الجماهير إلى الشوارع، هو قرار خطير للغاية، حيث لايمكن الرجوع عنه إلا بعد إتمام المهمة الكبرى، أى إسقاط النظام الحكم الفاسد، وإستبداله بنظام حكم صالح يرضى عنه الشعب.
قبل الشروع بالإنتفاضة الشاملة، ينبغى المرور بسلسلة من الصدامات الصغيرة المتفرقة فى أنحاء البلاد على أساس المطالبات الحياتية والحقوقية، والإحتجاجات السياسية على تجاوزات السلطة.
الهدف من ذلك هو تدريب الناس وإكسابهم الجرأة على التصدى لنظام وأجهزته القمعية. والتجرؤ على طرح مشاكلهم والمطالبة بحقوقهم. وإكتساب الخبرات السياسية والحقوقية. وأيضا مهارات الصدام مع المتجبرين من طواغيت أجهزة القمع، وسقوط هيبة هؤلاء من النفوس، وإكتساب الجرأة فى مواجهتهم. والإستهانة بالعقوبات مهما كانت. ثم تصعيد تدريجى لحدة المواجهات وتوسيع رقعة إنتشارها. بحيث إذا حانت ساعة الخروج الحاسم إلى الشوارع، تكون قطاعات من الناس قد إكتسبت الخبرة والجرأة على المواجهة.

فى تلك الفترة التمهيدية وحتى قرب ساعة الإنتصار، وكما قلنا، يحظر إستخدام الأسلحة بأنواعها، وكل عمليات العنف والتخريب أو الإغتيال السياسى أو الإنتقامى، أو أى عمل عنيف يتيح للسلطة إستخدم القوة المفرطة، أوحتى إستخدام الجيش بشكل مباشر، تحت غطاء حجج قانونية وأخلاقية، بدعوى حفظ الأرواح والممتلكات العامة.

* فى الأحول العادية يشعر المواطنون بالرعب من قوات الشرطة المدججين بمعدات القمع، ورجال لخدمة السرية (جواسيس الدولة). ولكن ما أن يتسع نطاق الثورة فى البلد، ومع كثافة المتظاهرين فى الشوارع، تصبح كل أدوات القمع غير كافية لكبح جماح الثورة أو إرعاب الناس، وتسقط هيبتهم من النفوس، لقد بطل السحر القمعى، وفى نهاية المطاف، يطاردهم الناس فى الشوارع ويعتقلونهم، ويحاكمون كبار مجرميهم وصولا إلى رأس النظام، الذى يتدحرج تحت أقدام الثائرين فى الشوارع.

....

إلى أمثال تلك الثورات الشعبية المظفرة يرسل الشاعر "أحمد مطر" هذا الإستنفار:

إنهضوا..
آن لهذا الحاكم المنفوش مثل الديك
أن يشبع نفشا
إنهشوا الحاكم نهشا
واصنعوا من صولجان الحكم رفشا
واحفروا القبر عميقا
واجعلوا الكرسى نعشا

....

{ **فصل:**} **هل إنتهت الحروب بالوكالة؟؟**

{{ **نظرية علماء البنتاجون وبغال التحميل**}}

تحدثنا عن مفهوم الحرب بالوكالة فى مرحلة الحرب الباردة بين الكتلتين.

كانت الشعوب المستضعفة عندما تخوض حربا للتحرر من نفوذ إحدى الكتلتينن، تتلقى الدعم من الكتلة الأخرى، وبالتدريج تجد نفسها تحت نفوذ وسيطرة قوة عظمى جديدة. وتذهب تضحياتهم هباء، ويستولى الصديق الجديد على كل ثمار النصر.

كان تقديم الدعم لحركات لتحرير هو مفتاح السيطرة عليها.

وأحيانا كانت تنتصر حركة التحرير بدون مساعدات أو إرتهان لأحد. ولكن ما أن تصل إلى سدة الحكم حتى تجد نفسها واقعة تحت ضغوط لاترحم من إحدى الكتلتين فتضطر إلى الإرتماء فى أحضان الجانب الآخر. كما حدث للثورة الكوبية التى نجحت بدون مساعدات من أحد، ولكن نتيجة الضغط الأمريكى إنحازت إلى الجانب السوفييتى.

كان هناك حركة التحرر فى فيتنام الجنوبية، التى إستهدفت إعادة توحيد شطرى البلاد فى الشمال والجنوب، بعد تقسيم البلاد وفق إتفاقية غير عادلة نصت على

إنسحاب الجيوش الفرنسية المهزومة. لذا كان ثوار الجنوب يتلقون كافة أشكال الدعم من شعبهم فى الشمال، ولم يكن هناك أى مأخذ فى ذلك.
وفى اليمن عام١٩٩٤ قاتل مسلمو اليمن من أجل إزاحة بقايا الحكم الشيوعى فى الجنوب وجعل اليمن موحدا. ولم يكن فى ذلك إى إرتهان لأحد، حتى الحكومة المركزية فى صنعاء لم تكن موافقة على ما يحدث ولم تقدم أى دعم. وكانت على خوف شديد من ردة فعل عسكرية تدبرها أمريكا بأدوات سعودية. ولكن الشباب السعودى فى سلاح الجو أحبطوا المخطط ورفضوا تنفيذ الأوامر.
وقد يأتى يوم يقاتل فيه العرب من أجل توحيد بلادهم الممزقة وإسقاط طغاتهم الأقزام، فيعتمد العرب على بعضهم البعض، وليس فى ذلك أى إرتهان أو مأخذ. وقد يحدث نفس الشئ لتوحيد الأمة الإسلامية المرتهنة والممزقة. وقد يكون للمسلمين وقتها دولة مركزية، أو قوة مركزية بشكل ما، تدعم وتنسق وتحرك وتقود. ولن يكون هناك أى إرتهان أو أى مأخذ.
بل أن الإنسانية كلها ستزحف يوما لتحطيم أفاعى المرابين التى تحكم العالم وتتحكم فيه وتمتص ثرروانه وتزرعة بالخراب والحروب والأمراض. فتتوحد الإنسانية الممزقة تحت رايات العدل والمساواة، ولن يكون هناك وقتها أى إرتهان.
والآن وقد سقط أحد القطبين الرهيبين، وتبقى قطبا أوحدا: يحكم يذل يتسلط يسرق يكذب يطغى يتكبر يدمر يقتل يهدد يرهب.... فهل تبقى هناك مجال لحروب بالوكالة ؟؟؟.
الإجابة: نعم .. فإذا كانت الحرب ستضر بمصالح أصحابها، وستكون بنفع أعدائهم، فهى بلاشك حربا بالوكالة.
وإذا كانت الحرب يشعلها ويحركها كبير الشياطين، لسرقة غنائم منافسيه، أو لإضعافهم، ثم تحرك طرف ثالث كى يخوض هذه الحرب نيابة عنه، متوهما أنها جهادا فى سبيل ا ، فإنها حربا بالوكالة.
غياب العلماء المجتهدين المجاهدين، جعل الأمة تخوض معاركها بلا قيادات. فإنتشر الإضطراب والفساد فى الحروب والمواجهات التى من المفروض أن تقود إلى الخلاص والتحرير وإعلاء كلمة ا فى الأرض. وإذا بمجاهدينا يقعون فى حبائل الطاغوت ويقاتلون لتحقيق مصالحة.
عندما إكتشفنا الخدعة فى أفغانستان أطلقنا عليها (نظرية بغال التحميل). أى أننا إستخدمنا هناك كالبغال لتحقيق المآرب الأمريكية فى تلك البلاد الوعرة فى حرب دموية شرسة، هزم فيها السوفييت، عدونا الأكبر وقتها، ولكننا لم ننتصر!!.
ذلك أن عدونا الآخر المتربص سرق منا غنائم الحرب وطار بها إلى زعامة العالم، وأبدلنا عنها المشانق والمعتقلات والمطاردات الدولية، وصرنا "مجرمين دوليين" مطلوبين للقتل أينما كنا. لقد أطلق الرحماء المتحضرون النار على رأس البغال

التعيسة بعد أن أنجزت مهمتها ولم تعد تستحق الحياة. فربما لوثت بيئة الأمن والإستقرار والسلام والديموقراطية،التى تعولمت، وتنعم بخيراتها شعوب العالم أجمع.

لم يذهب عشرات الألوف من شباب المسلمين إلى أفغانستان من تلقاء أنفسهم، أو حتى يمارسون هواية "الإرهاب"، أو لأنهم ولدوا إرهابيين، إنما ذهبوا تلبية لدعوات من أعيان "علماء الأمة" للجهاد فى سبيل ا ، كفرض عين على كل قادر.

وبعد الحرب أفتى معظم هؤلاء الأعيان من العلماء بأن هؤلاء الشباب "إرهابيون"!!!

فما حدا مما بدا ؟؟.

تيارات إسلامية أساسية دعت الشباب المسلم إلى الجهاد فى سبيل ا . والعجيب أنها لم ترسل شبابها إلى هناك لأنهم لم يحصلوا على موافقة "ولى الأمر" ذلك حسب قول مرشدهم العام. ولكن سلطات "ولى الأمر" سمحت لباقى شباب البلد بالذهاب إلى أفغانستان وفتحت فى وجوههم أبواب المطارات عند الذهاب وأغلقتها فى وجوههم عندما عادوا منتصرين. وبدلا من أن تسميهم أبطالا، نابذتهم بلقب "الأفغان العرب" وإتهمتهم بالإرهاب وفتحت لهم ملفا جنائيا يدعى ملف " العائدون من أفغانستان". وكأن ذهابهم كان ينبغى أن يكون بلا عودة. وأن الأمر بينهم تلك السلطات "الوطنية" وبين السوفييت كان مجرد توزيع أدوار، فما ماعجز عنه السوفييت الفاشلون، سيقوم به على أكمل وجه أبطال التعذيب فى معتقلات " الأمن!!!".

علماء البنتاجون:

لاتكتمل الدورة الكهربائية إلا بالقطبين الموجب والسالب. ولاتكتمل دائرة الحرب بالوكالة إلا بوجود بغال التحميل إلى جانب علماء البنتاجون.

وهم فئة من المفتين الرسميين الكبار فى السعودية. ولصلتهم الحميمة بولى الأمر، تفتحت بصائرهم على إحتياجات البنتاجون لخدمات بغال التحميل، إلى اليد المجاهدة المجانية، عظيمة الفعالية، و التى لا تنتظر سوى رضى الخالق سبحانه، ثم طلقة فى الرأس بعد الفراغ من المهمة الجهادية المقدسة ، طلقة من اليد الأمريكية، أو من يد أجهزة "الأمن" العربية.

وكم تكسب ميزانية البنتاجون من وراء تلك العمالة القتالية المجانية، إذا ما قورنت بتلك العمالة باهظة التكاليف شحيحة العائد، لشركات المرتزقة الدوليين "المتعاقدين". وهى شركات منتشرة فى أمريكا وبلاد الغرب وتضم عسكريين سابقين وتقدم خدماتها لحكومات كثيرة حول العالم منها السعودية، بهدف مكافحة "الإرهاب الإسلامى" فى البلاد المقدسة.

عدد هؤلاء فى العراق وصل إلى مئة وخمسون ألفا. أحيانا يصل راتب أحدهم فى اليوم الواحد إلى ثلاثة آلاف دولار!! مع حصانة تامة من المساءلة القضائية. قبل وأثناء وبعد الحرب.

أين هؤلاء من المجاهدين المستباحين قضائيا وأمنيا، المسلوبين من كل الحقوق، بما فيها حقهم فى الحياة، إلا بتصريح خاص من البيت الأبيض.على شرط أن يمارسوا

منحة الحياه هذه خلف أسوار سجون بشعة يقضون فيها مددا غير نهائية لايعلم مداها أحد من الخلائق.
وعن التكلفة: فإن المجاهد العربى فى أفغانستان لم يكن يتلقى أى راتب. وكانت تكلفة طعامة فى اليوم هى مئة روبية باكستانية. أى أن كل خمسة من المجاهدين يتكلف إطعامهم دولارا واحدا فى اليوم. والأسلحة للمجاهدين تشتريها المخابرات الأمريكية بأموال سعودية، وتسرق باكستان أكثرها، وتبيعها فى السوق السوداء، ليشتريها من يريد الجهاد، وكانوا فى الغالب هم المجاهدون العرب.
الجدير بالملاحظة هنا أن علماء البنتاجون الذين أرسلوا ألوفا من الشباب إلى أفغانستان، لم يحضر أحدا منهم إلى جبهات القتال ولو لدقائق معدودة، ولم يرسل إلى هناك أحدا من أبنائه أو أقاربه أوحتى أصدقائه.
إن حالة من الإحتقان الغاضب تعم العالم الإسلامى كله. وحالة الثورة لاتعرف كيف تعبر عن نفسها، خاصة بعد أن فشل الجميع. فلم يعد هناك من ثقة، لا فى جماعة ولا فى قيادة. وأكثر ما تخافه أمريكا وشيوخ النفط هو أن يحدث الإنفجار فى عقر دار أبار الذهب الأسود المقدس، فيشتعل العرش وربما العالم أيضا.
وهنا يأتى دور علماء البنتاجون فى توجيه الشحنات الثورية المحتقنة فى العالم العربى عامة وجزيرة العرب بشكل خاص، نحو عمل جهادى فى سبيل ا ، يحمى العرش ويحقق أهداف أمريكا فى العالم.
إن شركات المرتزقة العالميين التى تتعاقد مع الجيش الأمريكى، يمكنها إمداده بقوت بالآلاف، مجهزين ومدربين على أعلى مستوى، ويمكنهم إرتكاب أفضل أنواع المجازر والبشاعات ضد المدنيين الأبرياء. ولكن لا تلك الشركات ولا الشعب الأمريكى "العظيم" يمكنه إمداد الجيش الأمريكى بإستشهادى واحد، ولا مقاتل مجانى واحد، ولا شخص عقائدى واحد. ولكن الخزان الإسلامى الزاخر يبادر بتقديم الدم المجانى للإستشهاديين لخدمة الشيطان الأكبر، الذى ملأ بلاد المسلمين ببحار الدم، وملأ شعوبها رعبا، وحكامة ذلة ومهانة.
علماء البنتاجون، ومنذ تجربتهم الناجحة فى أفغانستان، عملوا على إمدد الجيش الأمريكى بأفضل المحاربين فى العالم، الذين بحق، لانظير لهم.
بعد أفغانستان تكررت التجربة بنجاح فى الشيشان ثم البوسنة، والآن يحققون أبشع النجاحات فى العراق، وقبل ذلك مرت بمحطة الصين الشعبية.
فى الشيشان: كانت أمريكا تريد النفط. لذا لزم إخراج روسيا من هناك. أو على الأقل مواصلة برنامج نزيف دائم يهدف إلى حصارها وإضعافها وتفتيتها إلى دويلات.
فى البوسنة: أرادت أمريكا مطاردة وطرد النفوذ الروسى التقليدى بين صرب يوغوسلافيا(الأرثوذوكس). وكبح جماح أوروبا "الموحدة" والتهديد بتفجيرها من الداخل بشتى الصراعات الدينية والقومية. فقد كانت أوروبا طول تاريخها أكبر معرض إنسانى للحروب المتصلة. ويوغوسلافيا كانت ومازالت وستظل أفضل بؤرة فى

الذاكرة القتالية لأوروبا. فهناك الأعراق المتناحرة والمذاهب الكنسية المتناحرة ثم هناك الغول الإسلامى، كابوس أوروبا المتصارعة المتحدة.
كانت يوغوسلافيا منطلق الحرب العالمية الأولى وكان متوقعا أن تكون منطلقا للحرب العالمية الثالثة بعد إختفاء الرئيس تيتو ، لولا جهاد الشعب الأفغانى الذى إستنفذ الجهد العسكرى السوفييتى، فنجا العالم من ذلك الإحتمال المدمر، ولكن على حساب تدمير الشعب الأفغانى.
نذكر أن المسلمين فى البوسنة كانوا هم الطرف الأضعف. وحتى لا تكون هزيمتهم سريعة. فلا تفعل الأزمة فعلها فى النسيج الأوروبى الهش. فتحت أمريكا أبواب التعبئة والفتاوى لنجدة مسلمى البوسنة. ولم تمانع فى وصول حتى هؤلاء الذين تطاردهم من مجاهدى العرب فى أفغانستان. وعمل هؤلاء بكل إخلاص، ولم يكن لديهم أو لدى مسلمى البوسنة أى قيادة مؤهلة للخروج عن المخطط الأمريكى.
فى العراق: كان جهاد تلاميذ "علماء البنتاجون"، طوق نجاة للقوات الأمريكية التى واجهت مقاومة شعبية كثيفة التسليح. ولم يكن فى اليد الأمريكية قوات محلية مؤهلة للتصدى. فكان لابد من حالة "جهادية" كى تنقذ البنتاجون من ورطته وتحيل المقاومة العراقية ضد قوات أمريكا إلى حرب طائفية داخلية.
ولكى تتزن رافعة الفتنة فإن حلفاء أمريكا من "أبطال الثورة الإسلامية!!" الذين دخلوا بغداد فوق الدبابات الأمريكية، أنزلوا قواتهم "الثورية" لتأجيج نيران الفتنة.
وتوحد رجال البنتاجون من السنة والشيعة فى إشعال الجسد العراقى النازف. ويبدو إلى الآن أن ذلك هو المجال الوحيد المتاح "أو المسموح به أمريكيا" للوحدة بين الفرقتين، مجال خدمة المحتل الأمريكى، فى العراق على الأقل.
فى لبنان: بعد الإنتصار الباهر لحزب ا على الجيش الإسرائيلى. وهو إنتصار عظيم فى حد ذاته، أما دلالاته فهى أكبر وأخطر.
وفى أعقاب هذا الإنتصار، إذ بعلماء البنتاجون يرسلون " أبطال التحميل" لحماية أهل السنة فى لبنان من أخطار الشيعة وحزب ا !!.
فأى خدمة لإسرائيل أفضل من هذا ؟؟.
وهل من مجال لسؤال عن إنتهاء الحروب بالوكالة ؟؟.
· فى الوقت الذى كان "علماء البنتاجون" يهدرون أغلى ثروات الأمة. بل يوظفونها ضد مصالح الأمة، ولتحقيق مصالح أعدائها. كان عشرات بل مئات الناعقين يقفون فوق رؤوس هؤلاء الأبطال وحول جثثهم، مستنكرين ومنددين بالإرهاب والتطرف. وكل منهم يغنى على ليلاه، ويتقرب إلى السيد الأمريكى وتوأمه الإسرائيلى، متوسلا إلى رضاهم بدماء خير شباب الآمة.
من بين هؤلاء المتوسلين، مثقفون وإعلاميون ومشايخ أجهزة الأمن ووعاظ السلاطين. الجميع يرسل إشارات دعم وولاء للشيطان الأكبر. ولا أحد منهم يجهل حقيقة اللعبة، وهى أن هؤلاء الشباب المخلص هم ضحية واقع هو الأسوأ فى تاريخ

بلادهم وأمتهم. الجميع يتاجر بدماء هؤلاء الشباب فى حفل وثنى دولى لذبح الدين لصالح العجل الذهبى لبنى إسرائيل.

الجميع يدين التصرف الخاطئ لهؤلاء الشباب، ولكن لا أحد يريد ولا أحد يجرؤ على أن يقول لهم ما هو التصرف الصحيح. ولا أحد يجرؤ ولا أحد يستطيع أن يقود هؤلاء الشباب فى مجهود إسلامى حقيقى لتغيير الأوضاع الجائرة فى الداخل ومواجهة الزحف العدوانى القادم على المنطقة من جيوش الخارج. ليس هناك ، حتى الآن، قيادة إسلامية مقتدرة تقود وتوجه هذه الطاقات الجبارة، حتى لا يصبح هذا الغضب الإسلامى المحتقن أداة للإنتحار الذاتى للأمة الجريحة.

البعض ينظر إلى الحرب الدائرة على أرضنا وضد شعوبنا، نظرته إلى مشروع إستثمارى لتنمية أرصدتهم البنكية. ويبيعون خدماتهم لمن يدفع أكثر، وليس هناك أكثر إمتلاكا للذهب من اليهود.

....

{{ وهذا هو السبب فى أنه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان الجوييم المبدأ القائل بأن هناك إلها ربا، ودودا، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية. ولكى لانعطى الجوييم وقتا للتفكير والروية، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة. وبهذا نبتلع جميع الأمم وهى مشغولة بالإنسياق وراء الكسب والغنم. فتلهوا بما فى أيديها، ويصرفها ذلك عن الإلتفات إلى من هو فى نظرهم العدو المشترك}}. البروتوكول الرابع

....

{ فصل: }

التقييم السياسى بين الوهم والواقع

يحتاج المطاريد إلى مهارة عالية وفهم سياسى معمق لإدارة ثورتهم، سواء كانت فى شكل حرب طويلة الأمد أو ثورة شعبية.

لامجال فى تلك الممارسات العنيفة لأى خطأ سياسى وإن بدا بسيطا. لأن إصلاح آثار الخطأ السياسى أصعب بكثير من إصلاح الآثار الضارة لخطأ عسكرى.

من الأخطاء الشائعة فى السياسة هو التفكير بالتمنى. أو الإكتفاء بالمقولات الشائعة، إما لأن هذه المقولات تلبى رغبات فى النفس، أو لأنها من كثرة التكرار أصبحت تبدو كحقائق ثابتة لاتقبل النقض.

ربما كانت تلك "الكليشهات" تحمل شيئا من الصحة، ولكنها لاتكون كافية عند التعامل مع طرف هام وفاعل على الساحة السياسية. فالتفاصيل الدقيقة تصبح ضرورية جدا.

يعانى العمل الإسلامى كله من ضياع المركزية. فمنذ ضياع المركزية السياسية بسقوط "الدولة الجامعة" للمسلمين بسقوط الدولة العثمانية، إنفرط العقد إلى حبات وهذه مازالت رهن التقسيم إلى حبيبات وجزيئات، بل وذرات إن أمكن .

ثم ضاعت المركزية الفقهية، كما ضاعت المركزية السياسية، فلم يعد هناك مرجعية لها إعتبار. وسادت فى الفقه فوضى أشد مما ساد فى السياسة. وإنقسم الناس إلى مجرد آحاد، وصار كل فرد "إمام نفسه وفقيهها".

وكما صار العمل السياسى تجارة ، كذلك صار العمل الدينى ، والإفتائى خاصة ، فصار هو الآخر مهنة مربحة ، لها سوقها النشطة وعوائدها المالية المجزية .
وحتى العمل "السياسى/الدينى" للأحزاب الحركية العلنية وشبه العلنية تحول هو الآخر إلى نشاط إقتصادى ، يستثمر جاذبية الدين لجمهور العمل السياسى .
فأصبحت تلك الاحزاب تعبيرا دينيا عن مصالح مموليها الكبار، الذين يرون أن مستقبلهم الإقتصادى هو مع الكتلة الرأسمالية العظمى المتعولمة ، وبالتالى طوعت المفاهيم الإسلامية من أجل تزواج أيديولوجى وتجارى سعيد ، يربح المليارات فى الدنيا، وجنة الخلد والنعيم فى الآخرة، فى توجه دينى ينبذ (التطرف والعنف والإرهاب) ويهتف وينادى بالإعتدال والوسطية والحوار "السلمى طبعا حتى مع جيوش الغزو" .. ويتغزل فى الديموقراطية الليبرالية .. والعولمة كرسالة إنسانية شاملة ذات رسالة خالدة .
قال منظرو الديموقراطية الأمريكية المتوحشة بعد سقوط الإتحاد السوفيتى بضربات المجاهدين الأفغان ، أن الأيديولوجيات قد سقطت فى العالم . وكانوا يريدون القول أن الأديان قد سقطت أيضا. ثم أخذوا يبشرون بنواياهم إستئصال الإسلام ، كمنهج يهدد بوراثة الأرض بعد فشل الإنسان فى إبتكار نظام يدير أموره خارج نزعات التسلط والإستئثار الذى تقود إلى الحروب الاستئصالية، والإضطراب الوحشى فى كافة مناحى الحياة، حتى أضطرب كوكب الأرض نفسه، وبات عاجزا عن الإستمرار فى تحمل طغيانهم ومهازلهم المخزية التى تدور على سطحة.
إن الذى فشل حقيقة هو الإنسان. فشل فى حكم نفسه وإدارة كوكبه العظيم المحتضر. فشلت الأيديولوجيات الوضعية .. نعم ، وفشلت أيضا ، بدرجات متفاوته ، محاولة إقامة دولة إسلامية . فأراد الغرب القول بأن الإسلام هو الآخر قد فشل. يريدون بذلك تبرير سعيهم إلى إستئصال الدين الإسلامى، وفرض ديانتهم الديموقراطية المتوحشة ونظامها الإقتصادى " المعولم " الذى يمتص خيرات الأرض حتى الثمالة لصالح قلة من البشر، ليست العشرين فى المئة المتحضرين من سكان الكوكب ، بل هؤلاء الأقل من واحد فى الألف .
ولن يمضى وقت طويل قبل أن يكتشف العالم أن مصادر الثروة ومفاتيح القوة فى العالم أصبحت فى أيدى قلة جد ضئيلة ، لا نقول شعبا ولا حتى طبقة ، بل أفراد ، لهم نسق أيدولوجى واحد يعرفة كثيرون ويخشاه الجميع .

ثلاث خطوات متعثرة:

من المفارقات العجيبة أنه فى الثلث الأخير من القرن العشرين تمكن المسلمون من إقامة ثلاث حكومات لدول ، على أساس إسلامى كل منها وصل إلى الحكم بطريقة مختلفة، شملت الطرق الثلاث المعروفة لدى الجنس البشرى لتغيير أنظمة الحكم. وهى: الثورة الشعبية، الإنقلاب العسكرى، حرب العصابات طويلة الأمد.

ـ فى إيران ١٩٧٩ وصلوا إلى الحكم **بثورة شعبية** هى الأروع فى القرن كله . وكانت التجربة الثانية عالميا بعد الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧ .

ـ تلاها نجاح الإسلاميين فى السودان، فى الوصول إلى السلطة **بإنقلاب عسكرى** عام ١٩٨٩ كان هو الوحيد فى سلسلة إنقلابات العالم العربى والإسلامى الذى جاء بنظام يعلن هوية إسلامية جدية. " هذا إذا إستثنيا تهريج ضياء الحق فى باكستان" .

ـ فى افغانستان "١٩٩٢" جاء حكم إسلامي فى أعقاب حكم شيوعى مدعوم من السوفييت ، وبعد **حرب عصابات طويلة الأمد** إستغرقت حوالى ١٤ عاما .

ثم أعقبه نظام "الإمارة الإسلامية" الذى جاءت به حركة طالبان إلى أفغانستان بعد **ثورة شعبية مسلحة** أطاحت بنظام عصابات الأحزاب فى كابول عام ١٩٩٦ .

***

والآن .. ماذا تبقى من هذه الأنظمة وأين هى من منطلقاتها الإسلامية الأولى التى أعلنتها ، وكم تحقق من "المركزية" المطلوبة للعمل الإسلامى ؟؟ .

التجربة الإسلامية فى أفغانستان إجتاحتها الغزوة الأمريكية، فأعادت البلد إلى وضعية الإحتلال .

والسودان رجع القهقرى ، إلى ما خلف نقطة الإنطلاق التى بدأ منها الإنقلاب الإسلامى، ومازال التراجع مستمرا.**{{ بفعل النشاط الأمريكى: من إشعال فتن الإقتتال الداخلى فى الجنوب والشرق والغرب، إلى الحصار الإقتصادى، وفرض العزلة الدولية والعزلة عن الأشقاء!!}}**

وإيران هى الوضع الأهم، لأن الثورة الإسلامية الشعبية جاءت من منطلق إسلامى أعلن نفسه مركزية سياسية ومرجعية لجميع المسلمين .

الطاقة المعنوية والبشرية والمادية فى إيران كانت تسمح للثورة أن تلعب ذلك الدور العالمى. ولكن القوى الإستعمارية العظمى عالجت الأمر بلعبة مزدوجة، هى لعبة الحرب ذات الطابع المذهبى والتى تطوع بدور البطوله فيها النظام البعثى فى العراق، وبتمويل خليجى ، ودعم سياسى من الأنظمة العربية المحورية " ماعدا سوريا" .

ومن التحرك الإسلامى الشعبى دخل الإخوان الدوليون الحرب إلى جانب السعودية ودول الخليج ، كما دخلت السلفية إلى نفس المحور ، أى إلى جانب السعودية ، الأم والحاضن التاريخى لها .

نجحت الحرب فى فرض عزلة شعورية وفقهية على الثورة فى إيران ونجحت فى ضرب قاعدتها الإقتصادية التى أصابتها الحرب بعاهات شديدة ومستديمة . وبالطبع أكلت الحرب جزءاً مهما من قدرتها البشرية الشبابية .

مع نهاية الحرب توفى الإمام الخمينى قائد الثورة ومفجرها. وعلى التو تحولت الثورة إلى دولة لها منطقها الخاص كأى دولة أخرى فى التاريخ القديم والحديث. بإستثناء الدول القديمة التى أدارها أنبياء ورسل أو ملوكا عينهم الأنبياء .

الدولة دائما وأبدا تحكم وتتصرف بمنطق "مصلحة الدولة".

قد تتفق أو لا تتفق تلك المصلحة مع المبادئ المعلنة ، دينية كانت أو وضعية. لكن القرار السياسى لا يخضع أبد لتلك المبادئ ، ولكن قد يقابلها فى الطريق مصادفة فيسير معها قليلا ، أو يفترق عنها كثيرا . إنه عنصر المصادفة لا أكثر ، وتبقى "مصلحة الدولة" أو "مصلحة النظام" هى الأساس الذى منه ينطلق القرار.

ينبغى ألا تصدم تلك الحقيقة البديهية أصحاب المثاليات الحالمة. فليس هناك مكان للمثاليات أو الأيدولوجيات فى سياسات الدول ، هناك الحقائق الجافة ولغة المصالح .

ليس هذا بالأمر المزعج بل هو فقط طارد للأوهام والتخيلات وأيضا فهو من الأمور التى تسهل التعامل السياسى. لأنه إذا عرفت مصالح كل دولة فيكون من السهل التنبؤ بمواقفها السياسية .

وكلما كانت الدولة قوية متماسكة ـ مثل إيران حتى تاريخة ـ فإن التنبؤ بمواقفها السياسية يكون سهلا.

ولكن الصعوبة تظهر فى التعامل مع الدول التى فقدت سيادتها ، وبدأت تتصرف وفقا لمصالح الآخرين ، وضد مصالحها الخاصة .

وهذا شأن كل الدول العربية ، والأغلبية الساحقة من الدول الإسلامية ودول العالم الثالث ـ إن لم يكن كلها.

ومشكلة أمريكا الحقيقية مع إيران هو أن تلك الدولة تحاول أن يكون لها شخصيها المستقلة ، ومنطق المصلحة الخاص بها. وتريد من أمريكا بصفتها اللاعب الدولى المحورى/ صاحب المسرح ومخرج المسرحية الدولية/ والذى يوزع الأدوار على اللاعبين الكبار منهم والثانويين، لذا يلزم الحصول على إعترافه بأى دور لأى قوة إقليمية، وتريد إيران أن يعترف لها بهذا الدور .

والمسألة حتى الآن بين شد وجذب فى محاولة للوصول إلى نقطة إتفاق بشكل سلمى وإلا يلزم خوض حرب لتحديد دور إقليمى لإيران توافق عليه أمريكا وأيضا إسرائيل بصفتها القوة الإقليمية الأعظم فى النظام الإقليمى لما يسمونه بالشرق الاوسط الكبير. أى تلك المساحة من اليابسة الممتدة من حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلنطى غربا، ويسكنها معظم المسلمين. أى أن تصبح إسرائيل هى الباب العالى الجديد للأمة الإسلامية، ومرجعيتها السياسية، بل والدينية أيضا.

قد تخوض إيران الحرب ، وقد تتواضع فى مطالبها وتصبح مثل باقى دول المنطقة أى من الذين لا يرون لأنفسهم مصلحة خارج مصلحة أمريكا وإسرائيل .

عندها تكون المشكلة أعقد عند الذين تتشابك أوراقهم، السياسية والنضالية مع الدولة الإيرانية. لأن الهامش الذى كان يوفرة تناقض مصالح إيران مع مصالح أمريكا "وإسرائيل " سوف يختفى فى ذلك الوقت .

إن الذين يقولون أن إيران تمثل الثورة الإسلامية فى العالم هم على خطأ حتما.

والذين يقولون إن إيران تمثل خطرا شيعيا يهدد العرب والمسلمين هم على خطأ مؤكد فإيران ليست هذا ولا ذاك ، وما دامت إيران حتى تاريخه تعمل بمنطق مصلحة

الدولة التى تبحث عن دور "جيوسياسى" متميز فإنها لن تكون هذا ولا ذاك من الطرحين المذكورين .
وهكذا نستطيع أن نفهم ونستوعب بسهولة أكبر موقف إيران المعادى لحركة طالبان ، وتأييدها لغزو أمريكا لأفغانستان والعراق ، وموقفها السلبى أوالمؤيد لبعض أبطال الفتنة الطائفية فى العراق، وتعاونها الأمنى مع المحتل الأمريكى فى العراق. ونفهم كذلك تأييدها القوى لحزب ا لبنان، وتأييدها النسبى للمقاومة الفلسطينية، وعدائها للمقاومة فى العراق وأفغانستان. وفتورها إزاء التجربة الإسلامية فى السودان.
كل ذلك يمكن فهمة وتبريره بمنطق " مصلحة الدولة " أو كما يقولون " تشخيص مصلحة النظام". إنه الشراع الذى أبحرت به تلك الدولة بنعومة وسلاسة نحو نقطة البداية فيما قبل الثورة.
أبحرت من الأيدلوجية إلى الإقتصاد، ومن الثورية إلى البرجماتية، ومن مصلحة الأمة إلى مصلحة النظام.
ومع مرارة ذلك فى نفوس الحالمين ، إلا أنه من حسن الحظ أنه مازال فى إيران دولة ولم تتحول إيران كما تحولت دولنا العربية إلى مجرد مركز إعتقال كبير تحكمه مجموعة من الأحذية العسكرية .
. . . .

{ فصل: }

الضربات فى عمق العدو،
حق مشروع أم عدوان إرهابى ؟

إذا تخلت الحكومة عن أهم واجباتها وهو الدفاع عن سلامة وأمن مواطنيها وعن حدود بلادها ، فإنها لاتفقد الشرعية فقط ، لإنها عديمة الشرعية فى الأساس ، ولكن تلك المسئولية تنتقل تلقائيا إلى المواطنين أنفسهم .

ولكن لماذا لا تدافع الحكومات عن بلادها أو شعوبها ؟؟ :

ـ ذلك لأنها تحولت إلى نوع من الإحتلال الوطنى الداخلى وأصبحت تتصرف كقوة **إحتلال بالنيابة** عن الأمريكى الإسرائيلى، أى المحتل الأصلى .
ـ ولأنها تمارس واجبها الأساسى، وهو قهر المواطن وإذلاله، نيابة عن المحتل الأجنبى، لتمكين العدو من تمرير مشاريعة الإقتصادية ونهب الثروات .
ـ ولأنها هى الأخرى ترى فى السرقة والرشاوى والفساد وسيلة لتأمين مستقبل العصابة الحاكمة ـ **(مقدار الرشاوى فى المنطقة العربية سنويا هو٣٠ مليار دولار حسب إحصاء هيئة دولية. فما هو يا ترى مقدار السرقات والإختلاسات والكسب غير المشروع، وثمن بيع الأوطان وبيع الخدمات الأمنية والثقافية للعدو؟؟) .**
ـ ولأن الجيوش فقدت وظيفتها الأساسية كقوة دفاع عن الوطن والمواطن وتحولت إلى قوة حماية للعرش والنظام الفاسد والمصالح الأمريكية/الإسرائيلية.

إنها خط الدفاع الأخير والضربة القاضية التى يخبئها النظام لأوقات الخطر الماحق على وجوده من أى تحرك شعبى.
تلك الجيوش أصبحت أشد تخلفا من أن تتمكن من مواجهة العدو الحقيقى، بسبب الفجوة التكنولوجية الهائلة، وبسبب غياب الرؤية الصحيحة لمفهوم الدفاع. فمن السهل تمزيق كل هذه الجيوش فرادى أو مجتمعة خلال دقائق أو ساعات إذا حدثت مواجهة مع إسرائيل. ولكنها قادرة على تمزيق شعبها والإنتصار عليه فى لحظات.
فهو الآن، أى الشعب، أصبح هو العدو الحقيقى للأنظمة الحاكمة.
لقد أثبتت الحروب الأخيرة فى المنطقة أن القوى الشعبية المسلحة هى الوحيدة القادرة على معالجة الحروب التكنولوجية التى تشنها القوى الخارجية الفاجرة، والإنتصار عليها.
العلاج الوحيد الممكن هو حروب المطاريد على النمط الدائر حاليا فى أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين. تلك الجيوش"الوطنية" أصبحت إذن عبئا على الشعوب، إقتصاديا ونفسيا وأمنيا. ولا تحفظ سوى **أمن الإحتلال البديل** أى المافيا الحاكمة.
وعندما تستعيد الشعوب زمام أمرها فسوف تشكل جيوشا شعبية جديدة، بفلسفة دفاعية جديدة، على خطى حزب ا .
لقد إستعادت الشعوب جزئيا ، فى بعض المناطق وفى بعض الحالات ، حقها فى الدفاع على نفسها ولكنها لم تتمكن بعد من إستعادة حقها فى حكم نفسها بنظام إنسانى عادل. فمازالت تحكمها الأنظمة الفاسدة الوحشية. وتلك الأنظمة تهدد فى الصميم بالقضاء على إنجازات الشعوب الدفاعية ، فتنقض عليها من الخلف وتقتلها بالخيانة .
ـ فهكذا قتلوا المدافعين عن فلسطين من مجاهدى ١٩٤٨ .
ـ وهكذا قتلوا المدافعين عن أفغانستان من مجاهدى (١٩٨٠ـ ١٩٩٢) .
ـ وأيضا المجاهدين الذين تصدوا للحملة الأمريكية على أفغانستان (٢٠٠١).
ـ وهكذا يقتلون المجاهدين الفلسطينين على يد حكومتهم "الوطنية" المتآمرة مع المحتل
ـ وهكذا تبذل حكومة لبنان "الوطنية " كل جهد متآمر للقضاء على المقاومة الوطنية. وعلى رأسها مقاومة حزب ا الإسلامية .
ـ وهكذا تفعل حكومة بغداد التى أنشأها الإحتلال الأمريكى للبلاد عام ٢٠٠٣ م.
إذ لا وظيفة حقيقية لها سوى محاربة المجاهدين فى العراق، بالدعوى الشهيرة والمبتذلة: "مكافحة الإرهاب".
فى مسارح العمليات والحروب الدائرة من أفغانستان حتى فلسطين، تقوم قوات العدو بقتل المدنيين بكل الأسلحة الحديثة والمتطورة المتوفرة لدى الجيوش الرسمية ، وجيوش المرتزقة من "المتعاقدين" الذين يعملون خارج الأضواء وخارج القانون وتحت حماية المحتل وبيد طليقته فى فعل أى شيئ فلا يطالها قانون أو رقابة .
إن مقاومة الإحتلال تسميها أمريكا وإسرائيل إرهابا حتى إذا حدثت داخل الدولة المعتدى عليها. أما إذا تجرأ أحد على توجيه ضربة إلى عمق الدولة المعتدية فإن

الدنيا كلها تقوم ولا تقعد ، وتهتز أركان العالم من مجلس الأمن إلى فقهاء البنتاجون ومباحث قمع الدولة فى بلادنا "الإسلامية" إلى المثقفين الجدد وصهاينة المارينز فى الإعلام العربى.
فشكل ذلك رادعاً معنويا رهيبا أمام الإنسان العادى ، ومطاريد المقاومة، من أن يفكر أحدهم حتى فى منامه ـ أن يطال الدماء المقدسة والأهداف السامية فى عمق العدو .
وصار ذلك خروجا على قوانين العالم بل وقوانين الدين "المعولم" والإسلام الأمريكى الصهيونى الجديد .
نجحت إلى حد كبير "حرب المصطلحات " التى تشنها الماكينة الأمريكية للحرب النفسية على العرب والمسلمين. فمجرد تحوير فى المصطلحات أضاع تعريفاتنا الثقافية والدينية ، وسادت المفاهيم الوحشية الأمريكية
فالقصف الجوى والبرى والبحرى على الأهداف المدنية الفلسطينية أصبحت تسمى دفاعا مشروعاً عن النفس .
والطيران الأمريكى عندما يدمر القرى والأحياء ويقصف الافراح والأعراس فى أفغانستان والعراق ، يعتبر ذلك نجاحاً في محاربة الإرهاب وتدميراً للإرهابيين من "تنظيم القاعدة" و"حركة طالبان" فى أفغانستان، أو"القاعدة" وأعداء الإستقرار والديموقراطية فى العراق .
وأبواق الصهاينة الجدد من الاعلاميين من بنى جلدتنا يسبحون ليل نهار بالهجوم على الإرهاب والتطرف والجمود فى الخطاب الدينى ويطالبون بتعديل المناهج التعليمية والقرآن الكريم ، وحجرالتعليم الدينى أو وضعة تحت الرقابة المشددة وكأن الرقابة الحالية والتضييق على كل مايمت للإسلام بصلة ، لم يعد كافيا .
إستطاعت ماكينة الحرب النفسية الأمريكية ، تجريم الفقراء وأعمالهم الدفاعية المشروعة وتمجيد الأقوياء وأعمالهم الإجرامية العدوانية. فالمجزرة التى قتلت أطفالا ونساء ومدنين وبيوت سكنية، إذا كانت بسبب صاروخ متطور أطلقته طائرة أمريكية حديثة، صار العمل مشروعا ويستحق الإشادة. أما إذا قام واحد من أبناء الشعب المظلوم بتفجير نفسه فى هدف مدنى معادى، إنقلب عليه العالم والرأى العام، حتى داخل بلاده، لأنه قام بعمل إرهابى.
ربما إذا إستطاع الفقراء إمتلاك وسائل تكنولوجية أفضل، وضربوا بها الأهداف المدنية للعدو، إذن لإختلف الحال. وهذا ما قام به، إلى حد ما، حزب ا فى لبنان. وقد واجهته آلة الحرب الدعائية والنفسية فى أمريكا وإسرائيل بحملة تشويه ، لكنها لم تنجح كثيرا.
ولكن ماذا لو كان المعتدى على لبنان وحزب ا كان هو الجيش الأمريكى، بحيث أن صواريخ المقاومة لا يمكنها أن ترد بضرب البنى التحتية والأهداف المدنية عند العدو؟؟. عندها ستكون المقاومة أمام خيارين، فإما أن تستخدم وسائل "بدائية" فى إيصال ردة الفعل إلى عمق العدو، كأن ترسل إستشهاديين مثلا. الخيار الآخر هو أن

تبتلع المقاومة آلامها وتقف عجزة وهى تشاهد شعبها وبلادها فريسة للدمار، مكتفية بمواجهة العدوان البرى على أرضها.
ولكن ماذا لو أن العدو لم يرسل قواته البرية؟؟ أو أنه ماطل فى ذلك حتى يقوم سلاح الجو بتدمير كل شئ على الأرض، ثم تتقدم القوات البرية وهى آمنة تماما؟؟.
وهذا ما حاولت إسرائيل فعله فى حربها الأخيرة على لبنان. فقام طيرانها بالتمهيد المطلوب وزيادة، ولكن ما أن تقدم جنودها على الأرض حتى وجدوا مجاهدى حزب ا   فى تمام الجهوزية، فكانت المفاجأة المذهلة لقوات الصفوة الإسرائيلية الذين ظنوا أنهم ذاهبون إلى واحدة من نزهاتهم المعتادة أمام الجيوش العربية المدربة جيدا على عدم إزعاج الجندى الإسرائيلى.
٠ إذا ضمن أحد طرفى الحرب أن يده طليقة فى فعل شئ لايتمكن عدوه من فعله، فإن موازين الحرب تختل بشدة. وسيكون الأكثر قدرة على الفعل هو الأقدر على الإنتصار، مالم يتدارك الطرف الآخر الأمر بوسائل مناسبة.
* إذا وجد الطرف الأقوى نفسه مضطرا للأنسحاب بسبب عجزه عن تحقيق النصر أمام شعب ضعيف، فإنه وحتى يحرمه من مزايا الإنتصار، قد يوجه إليه ضربات تدميرية ساحقة للبنية التحتية الإقتصادية والسكانية. وهكذا فعل الأمريكان قبل إنسحابهم من فيتنام، وفعل السوفييت قبل إنسحابهم من أفغانستان، واليهود بعد فشل إحتلالهم لغزة وإضطرارهم للإنسحاب منها بضغط الإنتفاضة الشعبية المدنية ثم الإنتفاضة الشعبية المسلحة .
ومازالت تلك الشعوب المنتصرة فى فيتنام وأفغانستان وغزة تعانى من أثار التدمير الهمجى الذى إرتكبه العدو كونه واثقا من عدم قدرة تلك الشعوب الرد بالمثل.
وقبل سحب قواتها من جنوب لبنان فى عام٢٠٠٦ نثرت إسرائيل على أرض الجنوب، مليون قنبلة عنقودية زودتها بها الولايات المتحدة.
وقبل إنسحابه من أفغانستان دفن الجيش الأحمر فى أراضيهاعشرة ملايين لغم. وتوعد جنرالاتهم بأن الأرض ستظل تحارب الأفغان لمئات السنين.
ونرى ونسمع كل ساعة ما يفعله اليهود فى سكان غزة من بشاعات وإبادة منهجية متدرجة، مادية ومعنوية، بكل الوسائل التى لاتخطر على بال بشر أسوياء.
هكذا يفعل العالم المتحضر إذا أمن من العقاب. فإذ قبلت حكومات عميلة بذلك، فإن الشعوب لا تقبل التفريط فى حياة أبنائها ومصير أجيالها. والحقوق لاتسقط بالتقادم، فلا بد أن يحاكم المجرم، وينال القصاص العادل وتعاد الحقوق إلى أصحابها، مهما طال الزمن، أياما أو حتى قرون.
إن عدونا نجح فى تدويل عدوانه علينا، فجعله تحالفا يضم حكومات وهيئات دولية.
وجعل عدوانة على بلادنا مهمة دينية وإنسانية مقدسة، يجمع لها من الآخرين كل صور الإسناد المالى والعسكرى والقانونى والإعلامى.
٠ فى نفس الوقت حصر العدو تحالفات مقاومتنا فى أضيق نطاق ممكن.

فمن صيغة الأمة الوحدة المترابطة كالجسد الواحد، لها دين واحد ومشاعر واحدة ومصير واحد. إنسلخ العرب براية قومية ساحبين معهم قضية فلسطين التى أبعدوها عنها باقى الأمة الإسلامية. وما لبث أن إستبعدت القومية العربية وحلت محلها "الوطنية الفلسطينية" التى مثلتها منظمة التحرير. وما لبثت أن أزيحت الوطنية لصالح "الشخصية" التاريخية للبطل، الذى مثله عرفات، الذى أزيح هو الآخر لصالح تيار "الإعتدال الفلسطينى" المتحالف مع المحتل ضد شعبه وضد أى إسلام يتحرك على أرض فلسطين. والقضية الفلسطينية تقزمت إلى"مشكلة إسرائيلية فلسطينية"، ثم واصلت الإنكماش إلى مشكلة إسرائيلية مع تنظيم فلسطينى متطرف هو حماس، وإذا سارت الأمر على هذا المنوال فقد تتحول قضية فلسطين إلى مشكلة بين إسرائيل(تساندها قوى الإعتدال الفلسطينية والعربية والدولية) وبين بن لادن فلسطينى منفرد يهدد السلام والديموقراطية فى المنطقة. وربما وضعوا جائزة عدة ملايين من الدولارات لمن يأتى به حيا أو ميتا.

• إن التصدى للعدوان الشامل، الأمريكى الإسرائيلى، على العالم الإسلامى، يستلزم إعادة إكتشاف حقيقة أن جميع المسلمين يشكلون أمة واحدة متحدة سلما وحربا، حتى لو مزقتها أنظمة إحتلالية بالنيابة. وأن من حق كل مسلم، ومن واجبه، أن يساهم فى الدفاع عن أمته وبأقصى ما يمكنه من طاقة، بالنفس والمال والكلمة. وألا ينصاع لأى إرهاب معنوى أوقانونى، من أى طاغوت محلى أو دولى. فالقانون مهمته الدفاع عن النظام القائم. والقانون الدولى لايحمى الضعفاء المستباحين، بل يحمى عصابة اللصوص التى تحكم قبضتها على رقاب العالم وثرواته، وعلى رأس هؤلاء اللصوص تقف الولايات المتحدة. وأنظمة "الإحتلال بالنيابة" التى تحكم الداخل العربى والإسلامى، تضع القوانين التى تبسط يدها فى البطش والإستبداد. وكخطوة أولى يجب عدم الإعتراف بشرعية تلك القوانين الجائرة التى تحمى الظلم والإستبداد.

فالقوانين الدولية والمحلية التى تجعل من مقاومة الإحتلال جريمة، ومن إبادة الشعوب وإحتلال أوطان الآخرين عملا مشروعا ودفاعا عن النفس، كل هذه القوانين لا إعتبار لها، ولا شرعية حقيقية لها، لأن الظلم لايمكن أن يصبح شرعيا مهما كانت صفة المشرعين لقوانينه. بل أن هؤلاء المشرعين هم بذلك العمل قد إرتكبوا أعلى درجات الظلم، ويشاركون فى تحمل مسئولية كل ما يترتب على قوانينهم تلك من جرائم فى حق بنى البشر أجمعين، والمسلمين منهم خاصة.

ورغم أن ذلك الكلام قد يخدش حياء المتحضرين من أبناء جلدتنا، فإن كل مسلم لاينبغى عليه أن يعترف بشرعية أى قانون يخالف شرعيتنا الدينية، حتى لو فرضت تلك القوانين على رقابنا جيوش الطغيان فى العالم أجمع. فليس كل ماهو واقع على الأرض هو شرعى بالضرورة. بل أننا لانكاد نجد شيئا واحدا شرعيا فى كل ما نراه أمامنا من أوضاع وقوانين، وعلى كل المستويات الداخلية والدولية.

إن من واجب كل مسلم، ومن حقه، أن يدافع عن أى شعب مسلم يتعرض للعدوان، وأن يقاتل فوق أى أرض إسلامية تتاح له. وأن ويردع المعتدى بكل السبل الممكنة.
كل ذلك يجب أن يتم بعيدا عن علماء البتاجون وأشباههم من تجار الدماء بالجملة والقطاعى. يجب أن يكون الجهاد والمقاومة تحت قيادة سياسية وعسكرية وشرعية معتبرة، حتى لا يكون الجهاد نيرانا تأكل أصحابها وتخدم أعدائهم، كما سبق وفصلنا فى ذلك مرات عديدة.
* فالمعاملة بالمثل والتصعيد مقابل التصعيد والردع مقابل الردع، هى قوانين بديهية وأزلية أكدتها جميع الشرائع والديانات السماوية.إنها قوانين تنتهجها أى أمة تريد الدفاع عن نفسها، حتى لا تترك نفسها مشاعا مستباحا لأعدائها.
أى أمة تحترم نفسها، تفكر دائما بطريقتها الخاصة، وتتصرف وفق منظومة عقائدها الخاصة، وتتكلم بمفردات ثقافتها الخاصة، ثم تقاتل وفق الطريقة التى تحقق لها النصر على أعدائها.
فكيف يكون قتلهم لنا عملا مشروعا طبقا لقانون وضعوه لأنفسهم، ويصبح دفاعنا عن أنفسنا عملا إرهابيا مدانا رغم أنه مطابق لقانون شرعة ا لنا ؟؟.
فهل أصبحت صلاحيات دجال البيت الأبيض على الأرض، أكبر من صلاحيات ا ؟؟.
هل هذا الكوكب قد أصبح خارجا عن ملكوت ا وأصبح كوكبا "حرا" تحكمة خارج شريعة الخالق، عصابة من المرابين الدوليين وأفاعى البروتوكولات؟؟.
فى هذا الزمان يصبح من الصعب إعتبار أى إنسان مؤمنا قبل أن يعلن أولا كفره بالطاغوت الأمريكى، وكلابه من الطواغيت الأقزام. إنهم الجزء المنفى من شهادة التوحيد العظمى: لا إله إلا ا . إنهم وبكل وضوح(لا إله)، ولن نتخذهم آلهة مهما كان بيدهم من سلاح وتحت إمرتهم من جيوش وحكومات ومشانق ومعتقلات.
هؤلاء الذين يريدون إفهام العرب والمسلمين أن ضرب المدنيين والأهداف المدنية يعتبر عملا إرهابيا مدانا، إنما يريدون بذلك الفرار من إنتقام المظلومين.
ذلك لأنهم كانوا ، وما زالوا، أكثر المقترفين لجرائم إبادة الشعوب وتدمير الأوطان بدون أى مبرر. وهذه بعض الأمثلة:
١ ـ بعدما إستسلمت ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، قام الطيران الأمريكى والبريطانى بضرب البنية التحتية والصناعية والسكان المدنيين الألمان، بضربات جوية متواصلة إستمرت لأسبوعين ليلا ونهارا فقتلوا عشرات الألوف من الأبرياء المستسلمين العزل . ثم إعتبروا ذلك إبتكارا عسكريا يفاخرون به ويعتمدونة منهجا يدرسونه، وأسموة "القصف الإستراتيجى". وكأن هذا الإسم المهيب يمكن أن يحول العمل الخسيس الجبان إلى إنجاز فخم يتباهون به، ويجعل من الجريمة منهجا للتدريس فى الأكاديميات العسكرية. إنه الفجور الشيطانى لجبابرة التكنولوجيا المنهارون نفسيا ومعنويا وأخلاقيا.إنهم الخطر الحقيقى الذى يهدد البشرية جميعها وليس المسلمين فقط.

٢ ـ أيضا فى الحرب العالمية الثانية، بعدما تحطم الجيش اليابانى، وترك كل مستعمراته، وإنكفأ للدفاع عن الجزر اليابانية، إستخدمت أمريكا سلاحها النووى بدون أى مبرر عسكرى، وبعد أن زال عنها أى خطر يمكن أن تشكله اليابان. ولكنها قصفت مدينتين يابانيتين بالقنابل النووية وقتلت ربع مليون يابانى. ومازالت أمريكا هى الوحيدة فى تاريخ البشرية التى إستخدمت ذلك السلاح غير العادى.

والمصيبة أنها حتى لم تقدم ولو إعتذارا باردا. بل تكابر وتفاخر، بل وتهدد الآخرين بنظرية "الرجل المجنون" الحقود المستعد أن يفعل أى شئ إذا هدد أحدهم "مصالحة".

٣ ـ فى فلسطين إستخدمت العصابات الصهيونية، سياسة القتل الجماعى للفلسطين والتمثيل بجثث القتلى، وشق بطون الحوامل بالخناجر. فإضطر الأهالى لمغادرة القرى للفرار بأطفالهم ونسائهم، فأصبحت الأرض خالية لليهود.

٤ ـ قتل الأمريكيين مليونى فيتنامى بالقصف الجوى والمواد الكيماوية السامة.

5 ـ الحصار الإقتصادى الذى فرضته أمريكا وحلفاؤها الغربيين على العراق، لمدة ١٢عاما قبل غزوها عام ٢٠٠٣ تسبب فى قتل حوالى مليونى عراقى أكثر من نصفهم أطفال.وأكثر من ثلث أطفال العراق حاليا مصابون بأمراض مزمنة بسبب سؤ التغذية، والمواد المشعة التى إستخدمت فى القنابل الأمريكية.

٦ ـ هناك الحروب الإهلية والعرقية التى تثيرها الشركات الغربية فى أفريقيا وراح ضحيتها الملايين. واحدة منها فقط راح ضحيتها أكثر من مليونين فى قتال قبلى بين سكان دولتى رواندا وبروندى.

الأمثلة يحتاج سردها إلى كتاب مستقل. فكيف يمكن للشعوب أن تدافع عن وجودها أمام هذا السيل الوحشى من الجرائم الأوروبية والأمريكية؟؟.

وقبل كل شئ: أليس هؤلاء الغيارى على حقوق الإنسان، هم الذين أبادوا الإنسان على إمتداد ثلاث قارات من قارات العالم الخمس المعروفة: فى الأمريكتين الشمالية والجنوبية، وأستراليا ؟؟. أى أن كل ما "إكتشفوه" من أرض أبادوا سكانه الأصليين!!!.

إنها قاعدة: الإكتشاف والإبادة. والمصيبة هى أنهم الآن قد "**إكتشفونا**"...فأين المفر؟؟.

....

تمويل المطاريد

التمويل الشعبى أهم مصادر تمويل حروب وثورات المطاريد.
التمويل هو معضلة أساسية تواجه التحرك الثورى، كونه يتحكم فى وتيرة التحرك إرتفاعا وإنخفاضا حسب الموارد المالية المتوافرة. كما يرتبط بإستقلالية القرار. فالطرف الممول يرى نفسه تلقائيا صاحب حق فى إتخاذ القرار ولا بأس من ذلك إذا كان الشعب هو الممول، لأن ذلك هو دورة، أن يكون الممول وصاحب القرار فى ثورته وحربه. ولكن المشكلة الحقيقية تظهر إذا كان التمويل الأساسى للحركة مصدره خارجى، أى من حلفاء الخارج، وكان هؤلاء فى موضع التحالف المصلحى المؤقت. أى أن هناك إختلافا جوهريا معهم فى المنطلقات المبدئية والمصالح البعيدة.
عندها يأتى الخطر، لأن الممول ستكون له متطلبات قد تتعارض مع مصالح الحركة الثورية. وللمولين الأجانب أساليب كثيرة للسيطرة على قرارات حلفائهم(الصغار) الثائرين أصحاب حركة التحرير.
أهم تلك الأساليب هو الإغراق بالمعونات، حتى تتعود الثورة على نمط تبذيرى فى الإنفاق. ثم يبدأ التضييق فى التمويل، فيشتكى الثوار، ويبدأون فى التبرم فالصراخ...

عندها يبدأ الصديق الممول فى عرض إشتراطاته، وتختفى الإبتسامات ويتجلى العبوس، وتختفى المجاملات وتتوالى الإملاءات. ويصبح الدفع بحساب شديد والمطالب بلا حدود. وهكذا بتوالى الضغط من الممول والإذعان من "الثائرين" حتى يتحولون إلى مجرد وكلاء فى حرب، نيابة عن آخرين يدفعون المال ولا يقاتلون.

هناك أساليب أخرى يسيطر بها الممول على حركة ثورية. وهى أساليب أكثر إنحطاطا، ولكنها موجودة على أية حال. إنه أسلوب رشوة القيادات وشرائها بشكل شخصى بالمال، وربما بالتوريط الأخلاقى، والإبتزاز.
ربما توسع الممول فى إستخدام أسلوبه هذا مع مستويات قيادية أدنى. وهذا يعطى الممول قدرة أكبرعلى التحكم بالحركة، بل والتلاعب بها كيف يشاء. بل يمكنه إذا أراد أن يحدث إنقلابات داخلية بيضاء أو حمراء، حسب المصلحة. وتصبح الحركة بالكامل ورقة فى يد الممول يلعب بها طبقا لمصالحة الخاصة.
تعمل حركات التحررعلى توجيه جزء من أموالها من أجل الإستثمار، بهدف زيادة مدخولاتها المالية، وإحتياطا لأوقات الضيق. جزء من هذا التمويل قد يوجه إلى الداخل فى مشاريع يديرها أصدقاء للحركة. وجزء يتوجه إلى الخارج للإستثمار فى أسواق أكثر إستقرارا. هناك جزء من التمويل يقوم به أبناء الشعب المغتربين فى الخارج. فهناك إستثمار قامت به حركة تحرير عربية مشهورة، بتوظيف أمولها فى الخارج فى صناعة القمار وما شابه.

فى كتابه عن "حرب العصابات" ذكر القائد العسكرى الأندونيسى "عبد الحارث ناستيون" أن حركة التحرير الأندونيسية كى تمول نفسها، باعت كميات من الأفيون الذى يزرع فى الجزر الأندونيسية.

وهناك حركات متمردة فى شرق وجنوب شرق آسيا، لديها فرع خاص "للعمل البحرى" بهدف التمويل. وتغطى نشاطات ذلك الفرع عمليات تهريب البضائع و"القرصنة" أى السطو البحرى.

أما فى أمريكا الجنوبية فإن زراعة وتهريب المخدرات هى النشاط الأكبر للحصول على الأموال. وفيها إختلطت العديد من الأوراق، لحركات تمرد وسياسيون فاسدون وحكومات.

وتعتبر الولايات المتحدة المستفيد الأول من زراعة وتهريب المخدرات فى أمريكا الجنوبية. ولها قوات عسكرية هناك تحت ستار مضلل كالعادة، بدعوى مكافحة التهريب، والذى هو فى الواقع يهدف الإستحواز على حصة الأسد من سوق المخدرات هناك. وهو السبب الأساس الذى لأجله أرسلت قواتها إلى أفغانستان، بل وإفتعلت أحداث سبتمبر واستدرجت إليها البعض. وكانت حركة طالبان قد إرتكبت الخطأ الذى أودى بها، وليس هو إيواء بن لادن والقاعدة، بل كان وقف زراعة الأفيون بشكل كامل. الأمر الذى وجه ضربة رهيبة لكارتل المخدرات والنظام المالى والبنكى فى الولايات المتحدة الذى يعتبر دخل تجارة المخدرات قوامة الأساس.

- القانون الدولى ما هو إلا فزاعة تخيف الطيور الضعيفة منكسرة الجناح، أوتلك الغبية أكثر من اللازم بحيث لم تعد تستحق الحياة.

أى قيمة
للقوانين العظيمة
وهى قفاز حريرى
لذى الكف الأثيمة
وأداة للجريمة ؟؟

" **أحمد مطر** "

فكثير جدا من الحكومات تزيد من دخل أفرادها، وليس شعوبها، بواسطة التجارات غير المشروعة بكافة أنواعها، من الأسلحة إلى المخدرات إلى الأدوية المغشوشة والأطعمة الفاسدة إلى الأسلحة غير التقليدية والتكنولوجيا النووية، أوحتى قطع الغيار البشرية وتجارة الرقيق بكافة ألوانه: الأبيض والأسمر والأسود.. كل حسب قدرته.

- وفى باكستان فى بداية التسعينات، عندما بدأت أمريكا تقطع المعونات عنها، كون أن دورها فى أفغانستان قد إنتهى بعد أن إنسحب منها السوفييت. هدد باكستانيون شبه رسميين بأن بلادهم قد تلجا إلى بيع التكنولوجيا النووية المتوفرة لديها وتبيع مفاعلات نووية من صناعتها، سواء فى السوق العلنية أو السوق السوداء. كما هددوا بالأسوأ، وهو ما أسموه "القنبلة البيضاء" أى الهيروين. وقال هؤلاء أن مناطق القبائل لديهم، على الحدود مع أفغانستان، تزرع الأفيون منذ مئات السنين. وأن أمريكا أدخلت إليها صناعة الهيروين الذى لم تكن تعرفه باكستان قبلا. وكانت مخابرات أمريكا تسرح وتمرح فى تلك المناطق تحت ستار مشروع مخادع تسميه "مشروع السيطرة على

المخدرات" الذى أدى واقعيا ليس فقط إلى توسع كبير فى زراعة الأفيون، بل إلى ظهور مسحوق الهيروين وإنتشار تعاطيه بين شباب البلاد.
وبالفعل دخلت باكستان سرا سوق التجارة النووية. ويقال أن برنامج إيران النووى مصدره من هناك.
أما فى سوق المخدرات فقد إقتحمه بكل شجاعة الرئيس ضياء الحق، برفقة صديقة الثقة الموثوق الجنرال فضل الحق، محافظ الإقليم الحدودى المشهور. وكانت عاقبة الرجلين هو الإغتيال!!!. الأول فجر الأمريكان طائرته فى الجو، والثانى فجره مجهولون فى بيشاور. ومع ذلك من المستبعد أن تكون باكستان الحكومية قد خرجت من ذلك السوق حتى الآن.
وقد أغتيل فى بيشاور أيضا القائد الميدانى الأفغانى الشهير "نسيم أخوندزادة" الذى هدد بإستخدام عائدات الأفيون لمتويل جهادة ضد الشيوعيين. وذلك بعد أن فرضت أمريكا حظرا على إمداد المجاهدين الأفغان. وكان القائد المذكور يسيطر على إقليم هلمند الذى يزرع نصف أفيون البلاد. وكان مفهوما وقتها أن أمريكا تقف خلف عملية الإغتيال.
وفى عهد الإحتلال الأمريكى أغتيل فى كابول عبد القدير محافظ جلال آباد وكان يسيطر على تجارة أفيون الإقليم الذى يشكل ربع الإنتاج الأفغانى، الذى بدوره يشكل تسعة أعشار إنتاج العالم.
<u>وحاليا تفرغ أمريكا وحلف الأطلنطى معظم قواتهم من أجل القتال والسيطرة على إقليم هلمند الذى ينتج نصف أفيون البلاد ـ فشعارهم فى حرب أفغانستان هو الدماء مقابل الأفيون ،أما فى العراق فهو الدماء مقابل النفط.</u>
· يعتبر المهاجرون واللآجئون السياسيون والتجار عبر القارات كلهم ممولون محتملون لحركات التمرد فى بلادهم.
والعديد من السياسيين والتجار الكبار يفضلون وضع قدم فى كل قارب، والمراهنة على كل رقم يحتمل أن يربح. ويرون أن المساهمة فى تمويل حركة تمرد ناشطة هو نوع من الإستثمار المستقبلى، وحجزا لمقاعد متقدمة فى عصر قادم. والحركة التى تبرهن على حيوية ونجاح، يتهافت عليها الستثمرون من الداخل والخارج.
· من الأخطاء القاتلة أن تحاول حركة تمرد جباية الأموال من الناس بالإكراة.
فهذا مدخل كبير للفشل، وإنقلاب الناس على الحركة وتعاونهم مع النظام ضدها. فتتحول إلى حركة إجرام لاغير. بل أن الأنظمة تقوم بإفتعال هذه التعديات وإلصاقها بالمتمرين حتى تؤلب الناس عليهم. ليس فقط أحداث سطو بل أيضا قتل وإغتصاب وإحراق قرى بمن فيها. وقد حدث الكثير من ذلك فى الجزائر على يد المسلحين الحكوميين.
لأجل ذلك تحظر الحركات الثورية الجادة على أفرادها أخذ أى شئ من الناس إلا بالثمن. وأحيانا بأكثر من الثمن المعتاد من أجل تشجيع الناس على البقاء فى الأرض

المحرة، وتقوية ترابطهم بالثوار. كما يعمل الثوار على تطهير مناطقهم من اللصوص والعصابات المسلحة، ويقاتلونها بكل قوة لأن نشاطهم يروع المواطنين ويدفعهم إلى الهجرة وتفريغ المناطق المحررة. وفى ذلك ضرر بالغ بالحركة.
وبشكل خاص يتجنب المطاريد الإساءة إلى الأقليات، بكافة أنواعهم، بل يميزونها بمعاملة تفضيلية، مع حفظ كرامتهم وأموالهم وأعراضهم، ومساندة الفقراء منهم إقتصاديا. وذلك لتفادى الإنشقاق الداخلى وقطع طريق الأعداء فى إحداث الفتنه الداخلية. وبالتالى فإن العبث بأمن الأقليات يكون عبثا بأمن البلاد وسلامة ثورتها. ويتعامل معة الثوار على هذا الأساس.
· لابد لحركة المطاريد من ضبط عمليات التبرعات والدعم المالى حتى لايكون وسيلة إلى الفساد والإفساد المتعمد، أو حرف المسار السياسى أو العسكرى للحركة، او فرض سياسات خارجية على الحركة. فالتبرعات الخارجية ينبغى أن تكون عن طريق القنوات المحددة التى تحددها القيادة المركزية للحركة. أى لاتصل بشكل مباشر إلى أى مستوى تنظيمى للحركة.
وفى حال وقوع تجاوز للقنوات التمويلية، ينبغى إبلاغ الجهة المختصة فى الحركة عن ذلك وكيفية حدوثه.
اما التبرعات الداخلية فينبغى إخطار قيادة المنطقة بها، وهذه بدورها ترفع تقريرا عنها لقياداتها.
وكذلك التبرعات التسليحية، وأيضا الغنائم، ينبغى أن تبليغ القيادة العامة عن النوعية والكمية ومصدر التوريد. وإذا كانت الأسلحة متقدمة فلا تدخل فى الخدمة إلا بقرار القيادة العسكرية وطبقا للمخطط العسكرى العام. الهدف من ذلك هو ألا يتدخل طرف خارجى، أو داخلى، لفرض مسار عسكرى على المقاومة يكون متعارضا من مخططها الإستراتيجى.
· تلجأ حركات متمردة فى أحيان كثيرة إلى تمويل نفسها بوسائل كثيرة ومبتكرة. كأن ترغم عدوها على دفع فدية لقاء إنقاذ رهائن، أو لقاء سلامة إمداداتة بمواد إستراتيجية، أو سلامة إستثماراته، أو عبر عمليات قرصنة متنوعة منها القرصنة الألكترونية عبر شبكة الإنترنت.أوعبر التهديد بخطر جسيم، حقيقى أو وهمى. أو عبر هجمات مسلحة على ثروات مكدسة اومنقولة. (كان المجاهدون الأفغان فى بداية نشاطهم يهاجمون السيارات العسكرية التى تحمل رواتب الوحدات العسكرية، وكانت تلك القوافل مسلحة. ولكن الغنيمة كانت أثمن من أن تقاوم. مع الوقت توقفت تلك العمليات بعد تدفق الإفساد المتعمد للبترودولار).

. . . .

{ فصل: }

الجواسيس

{{ قال السيد المسيح: ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟؟ }}

ليس من المبالغة القول بأننا نعيش فى عصر التجسس، الذى أصبح محورا رئيسيا فى حكم الدول والتحكم فى المجتمعات. وليس موجها فقط ضد الأعداء، أومقتصرا على وقت الحروب. بل أن التجسس أصبح نشاطا إنسانيا حيويا لايتوقف أبدا فى أى وقت. فلا تتوقف الحكومات عن مراقبة مواطنيها لضمان سلوكهم السياسى.

ولأجل دورة الحيوى فى حياة الإنسان المعاصر، تطورت أدوات التجسس بشكل لم يسبق له مثيل، وبحيث صار لايخفى شئ على التكنولوجيا الحديثة: على سطح الأرض أوتحتها أو فى أجواء الفضاء، فى الشوارع كما فى البيوت والمكاتب. بإختصار إنهم يقولون لمواطنيهم ولأعدائهم فى الخارج: أينما تكونوا فيمكننا أن ندرككم وأن نعلم عنكم كل شئ.

ويقولون أن هناك معامل أبحاث سرية مهمتها التوصل إلى قراءة ما يدور من أفكار داخل الدماغ البشرى!!.

(فلن يكون غريبا إذن أن نرى فى المستقبل ماكينات لفحص أفكار المسافرين فى المطارات أوالمتقدمين بطلبات توظيف فى الحكومة أو شركات النفط الأجنبية. وبالطبع ستوضع تلك الماكينات على أبواب المساجد لكشف أصحاب الأفكار المتطرفة الذين يتسللون خفية إلى المساجد أو المشاعر المقدسة التى ستخصص يومها للمسلمين الطيبين فقط ، أى الذين ستكون نتائج فحصهم الفكرى سلبية. وستكون هناك شهادة إضافية توضوع فى ملف كل مواطن داخل أجهزة كمبيوتر الدولة، هى شهادة فحص الأفكار، تثبت خلو المواطن الشريف من أى إصابة فكرية ضارة، خاصة المرض الخبيث: معاداة السامية. وكل مواطن ستكون له "بصمة فكرية" توضح نوع العاهة الفكرية التى يحملها..إن وجدت).

هذا حاليا يعتبر نوعا من الخيال العلمى لكنه متوافق مع السياق السياسى والعلمى والثقافى الذى يتحكم فى مسيرة البشر، لذا يوشك أن يكون ذلك التخيل حقيقيا.

{{ **إن القدرة الحقيقية لا تساوم حقا من الحقوق، حتى لو كان حق ا . ولا يستطيع أحد أن يدنوا منها بسؤ ولو مقدار شعرة** }}. البرتوكول**٢٢**

{{ ...**فإننا سنسعى بعد ذلك بمكافحة أى شئ من حياكة المؤامرات علينا، وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح بأيديهم ليقاوموا الإنضواء إلى مملكتنا**}}. البروتوكول ٢٢

{{ **وتقضى برامجنا أن يعمل ثلث الشعب فى التجسس على الثلثين الآخرين، ويكون التجسس منبعثا من الشعور بالواجب على قاعدة التطوع بالخدمة فى سبيل الدولة. وقتئذ لايكون عارا أن تكون جاسوسا ومخبرا، بل يكون ميزة وفضل. فإذا إنطلقت الألسنة بالتعيير والقذف، نالت جزاءها، وحفظ للتجسس كرامته** }}. البروتوكول١٧

· ما نريد الحديث عنه هنا هو التجسس فى مجال الحروب. فمع كل هذا التوحش التجسسى ونموه السرطانى غير المسبوق، يبقى الإنسان هو سيد كل تلك المعدات الحديثة. وتبقى المعلومة التى يحصل عليها الإنسان تقف على رأس كل المعلومات

التى تجمعها المعدات الحديثة، من الأرض كانت أو من السماء. لهذا لم يطو الزمن أهمية تلك الوريقات القليلة التى سطرها الحكيم الجنرال " صن تزو" عن الجواسيس فى كتابه المرجعى المسمى " فن الحرب"، الذى لاغنى عنه للمحاربين والساسة.
والتجسس فى الميدان العسكرى يحقق الجزء الأهم من نصيحة "صن تزو" الذهبية والتى يقول فيها:

{{ إذا كنت تعرف نفسك وتعرف عدوك، فلا تخاف من نتيجة مئة معركة معة.
وإذا عرفت نفسك ولم تعرف عدوك، فكل نصر تحرزة ستقابله هزيمة تحيق بك.
وإذا كنت تجهل نفسك وتجهل عدوك فسوف تنهزم فى كل معركة }}.

نورد فيما يلى نص الفصل الأخير من كتاب "فن الحرب" ، وهو تحت عنوان:
" إستخدام الجواسيس". وفيه يقول:

** تحمل مصاريف حركة جيش من مئة ألف رجل ، والسير بهم مسافات شاسعة، يكلف الشعب خسائر كبيرة ، ويستنزف موارد الدولة .
التكلفة اليومية لذلك تصل إلى ألف أونصه من الفضة، وستكون هناك مصاريف لإيوائهم داخل وخارج الوطن . وسوف يسقط رجال من الإعياء على الطرقات الطويلة ، وستظل سبعمئة ألف عائلة مسخرين لخدمتهم .
والجيوش المتصارعة سيقابل بعضها بعضا ، مستميتين لأجل نصر يتحقق فى يوم واحد. ذلك يكون بسبب الجهل بحالة العدو، ببساطة لأن أحدهم يكره أن يدفع عدة مئات من أونصات الفضة كأجور وإكراميات. إن ذلك يعادل إنعدام "الحس الانسانى".
إن ما يساعد القائد الأعلى الحكيم ، والجنرال الجيد على أن يضرب ويهزم عدوه ، ويحقق أشياء خارج قدرة الرجال العاديين هو المعلومات المسبقة . هذه المعلومات المسبقة لا يمكن إستقائها من الأرواح ، ولا إستنتاجاً من الخبرات العملية السابقة ، ولا بالحسابات الرياضية .
معرفة سلوكيات العدو يمكن معرفتها فقط من خلال آخرين . المعرفة بعالم الروح يمكن البحث عنها فى علوم الحكمة . وقوانين الكون يمكن التحقق منها بعلم الحساب . ولكن تصرفات العدو يتم التأكد منها عبر الجواسيس ، والجواسيس فقط .

*****

المدرسة الأثمن للسلطة الحاكمة هى تفعيل منظومة تشمل خمسة أصناف من الجواسيس هم :

١ ـ جواسيس محليون . ٢ ـ جواسيس داخليون .
٣ ـ جواسيس متحولون . ٤ ـ جواسيس هالكون .
٥ ـ جواسيس أحياء .

*****

١ ـ **أمتلاك جواسيس محليين يعنى :** توظيف سكان فى أرض العدو نكسبهم بالمعاملة الحسنة ، ثم نستخدمهم كجواسيس .
٢ ـ **إمتلاك جواسيس داخليين يعنى :** إستخدام الرجال الرسميين لدى العدو الذين حقرتهم الإدارة ـ والمجرمين الذين تمت معاقبتهم ـ والعشيقات المحظيات النهمات للذهب ـ والرجال المتظلمين لكونهم فى مراتب وظيفية متدنية ـ أو هؤلاء المتشوقون لأن ينهزم معسكرهم حتى يستعرضوا قدراتهم ومواهبهم ـ والمتقلبون من ذوى الوجهين الراغبين دوما فى وضع قدم داخل كل قارب .
الرسميون من هذه الأصناف المتنوعة يجب الإقتراب منهم سرا وإخضاعهم لأهدافنا بواسطة الهدايا القيمة . وبهذه الطريقة ستكون قادرا على معرفة أوضاع دولة العدو ، ومعرفة الخطط التى يجهزها لك ، وأكثر من ذلك أن تبعث الإضطراب فى توافقه الداخلى ، وتخلق حالة من عدم الثقة بين الوزراء والقائد الأعلى .
ولكن لابد من بذل عناية كبيرة وحرص شديد فى التعامل مع هذا النوع من الجواسيس الداخليين .
٣ ـ **إمتلاك جواسيس متحولين يعنى :** ان تمسك جواسيس العدو وتحولهم إلى العمل لمصلحتك بعد دفع رشاوى كبيرة ووعود براقة ، فتسحبهم من خدمة عدوك ثم تبعثهم إليه محملين بمعلومات مضللة ويتجسسون على مواطينهم .
٤ ـ **إمتلاك جواسيس هالكين يعنى :** أن تعمل أشياء فى العلن بهدف الخداع . وتدع جواسيسك يعرفونها ، وبعدها تخونهم وتبلغ عنهم العدو . نحن فعلنا أشياء محسوبة لنخدع بها جواسيسنا ، بطريقة تجعلهم يعتقدون أنهم كشفوها على حين غفلة منا. وعندما يعتقل العدو هؤلاء الجواسيس على أرضه فإنهم سيقدون له تقريرا مزيفا تماما وسيتخذ العدو إجراءات بناء على ذلك . فقط حين يعلم العدو أننا فعلنا شيئا آخر مختلفا فانه سيقتل هؤلاء الجواسيس .
٥ ـ **الجواسيس الأحياء :** هم هؤلاء الجواسيس الذين يحضرون المعلومات من داخل معسكر العدو. وهذه هى الطبقة العادية من الجواسيس ، والذين ينبغى أن يكونوا جزء منتظما من الجيش .
الجاسوس الحى ينبغى أن يكون مثقفا ماهراً ، منظره يوحى بالغباء ومظهره الخارجى رث ، ولكنه ذو عزيمة حديدية . ينبغى أن يكون نشطاً قوياً شجاعاً، متعوداً وبعمق على كل الأعمال القذرة . قادراً على تحمل الجوع والبرد ، وأن يتعرض لمواقف الخجل والعار .

يجب ألا تكون هناك فى كل الجيش علاقات أكثر حميمية من تلك التى مع الجواسيس . ولا يجب أن تكون هناك علاقة أخرى أكثر تحرراً فى منح المكافآت، ولا أى علاقة أخرى أكثر سرية منها .

لا يمكن توظيف الجواسيس توظيفا مجديا بدون حدس سليم وحكمة.

إن الوجه الوقح ، والتصنع الماهر، لهى أخطر من الجبال والأنهار، وتحتاج إلى رجل عبقرى لإختراقها. ولا يمكن معالجتهم بغير السخاء الكريم والإستقامة. وبغير العبقرية الغامضة لا يمكن التأكد من صحة تقاريرهم .

كن غامضا .. كن غامضا واستخدم جواسيسك فى جميع أنواع العمل .

ولو أن قطعة صغيرة من الأخبار سربها جاسوس قبل أن يحين الوقت فيجب إعدامه هو والذى سمع منه السر .

سواء كان الأمر هو تحطيم جيش أو إكتساح مدينة أو إغتيال شخص . فدائما هناك ضروره لمعرفة أسماء الحاضرين ، والمرافقين العسكريين ، وحرس البوابات ، وحراسات القائد الميدانى . ويجب مكافأة جواسيسنا حتى يتأكدوا من ذلك .

يجب البحث عن جواسيس العدو الذين جاءوا للتجسس علينا. ونغويهم بالرشاوى والبيوت المريحة ، وبهذا يصبحون جواسيس متحولين ويعملون لصالحنا.

بهذه المعلومات التى نحصل عليها من الجواسيس المتحولين يمكننا إصطياد وتوظيف الجواسيس الداخليين المحليين . يجب إغراء الجاسوس المتحول أن يعمل فى خدمتنا ، لأنه هو الذى يعلم أى من السكان المحليين يطمح إلى المكاسب ، وأى من الموظفين الرسميين قابل للفساد . ونتيجة لمعلوماته يمكننا جعل جواسيسنا الهالكون يحملون الأخبار الزائفة إلى العدو .

وأخيرا فإنه بواسطة معلوماته يمكننا إستخدام الجاسوس الحى فى اللحظات المناسبة .

الهدف والغاية من التجسس بإستخدم تلك الأصناف الخمسة هو معرفة العدو. وهذه المعرفة يمكن إستخدمها للوهلة الأولى من الجاسوس المتحول. إنه لا يحضر المعلومات بنفسه فقط ، ولكنه يجعل من الممكن إستخدام الأنواع الأخرى من الجواسيس بفعالية . لذا يجب التعامل مع الجاسوس المتحول بأقصى قدر من التحرر.

إن الحاكم المستنير ، والجنرال الحكيم ، هو الذى يستخدم أقصى قدرات الذكاء فى جيشه لأغراض التجسس ، وبهذا يحققون نتائج عظيمة .

فالجواسيس هم أهم العناصر فى الحرب لأن عليهم تتشكل قابلية الجيش على الحركة.

- إنتهى -

إضافات:

****

الجزء التالى يحتوى على موجز لموضوع حرب العصابات طويلة الأمد.
أولا على صورة ثلاث جداول يلخص كل منها مرحلة من مراحل الحرب.
ثم يليها نفس الموجز تقريبا لكن ليس على صورة جداول.
وفى الأخير جزء يحتوى على ثلاث قصائد شعرية لا علاقة لها بموضوع الكتاب. ولكنها تعبر عن فحواه بطريقة أقل جفافا، وأكثر شاعرية.

****



حرب العصابات طويلة الأمد: أولا ـ مرحلة الدفاع الإستراتيجى

الإسـتراتيـجـيـة:

المجاهدون:

المجاهدون فى وضعية إستراتيجية دفاعية. ولهم هدفان هما:

١ ـ تفادى الإبادة وكسب الوقت اللازم لبناء قواهم الذاتية.

فلا يدافع المجاهدون هنا عن الأرض ولايحتفظون بها. أى أن المبدا هنا هو التضحية بالأرض فى مقابل كسب الزمن.

٢ ـ إنهاك الطاقة الهجومية للعدو، إلى أن يضطر إلى الدفاع الثابت ويقل نشاطه الهجومى.

ويتخلى عن المناطق الوعرة والجبال، فيبسطون عليها سيطرتهم.

******

إستراتيجية العدو:

العدو فى حالة إستراتيجية هجومية على المجاهدين بهدف إبادتهم فى أقصر وقت ممكن قبل أن يتفاقم شأنهم، ويتضرر النظام ساسيا وإقتصاديا.

الـتـكـتـيـك:

المجاهدون:

تكتيكات المجاهدين تقوم على:

ـ الهجمات المتواصلة تحت الشعار الشهير: إضرب وإهرب.

ـ الإنتشار الجغرافى على أوسع مساحة ممكنة لدفع العدو إلى نشر قواته.

ـ يركز المجاهدون قواتهم فى هجمات سريعة على أضعف نقاط العدو، وحيث لايتوقع فى الزمان أوالمكان.

ـ الدفاع عن الأرض غير وارد.

ـ ولا تخرج عمليات المجاهدين عن صورتين هما: الغارة والكمين.

ـ للمجاهدين مناطق تواجد ومناطق نفوذ ولكن ليس لهم أى مواقع ثابته.

ـ تراعى بشدة أساليب الوقاية السلبية من الطيران وأهمها التمويه والإنتشار وتبديل المواقع بإستمرار.

******

تكتيكات العدو:

ـ يشن العدو حملات كبيرة شعارها البحث والإبادة. مستخدما القدر الأكبر من طاقته العسكرية.

ـ يتبع أسلوب الأرض المحروقة والعقوبات الجماعية لحرمان المجاهدين من الدعم الشعبى.

الـسـيـاسـة:

المجاهدون:

يحظر قطعا فى هذه المرحلة إجراء أى مفاوضات سياسية مع العدو.

ويمكن إجراء مفاوضات ميدانية بشأن القتلى والأسرى، وأمور معاشية للسكان.

ـ تنشيط العمل السياسى والدعائى فى الداخل لتوسيع قاعدة الأنصار والمتعاطفين.

ـ توسيع العمل السياسى الخارجى للبحث عن أنصار وحلفاء ، وعرقلة سياسات الخصم.

ـ الإستفادة من عمليات المجاهدين العسكرية فى مجال الدعاية السياسية. فيما يسمى بالدعاية المسلحة.

******

سياسة العدو:

فى العلن يرفض التعاون مع المجاهدين. ويحرقونهم إعلاميا، فيصفهم بالإرهاب والخروج عن الدين والقانون والإضرار بالوطن.

فى السر يغرى العدو من إستطاع من المجاهدين حتى يترك المقاومة لقاء مكاسب شخصية.

ـ مع تطور قوة المجاهدين تصبح عروض الرشاوى من أجل الإستسلام أوالتوقف عن المقاومة أكثر سخاء.

ـ فى الخارج يحاول النظام تهدئة الحلفاء والعالم، واصفا ما يحدث بأنه أزمة عابرة سوف تزول سريعا. وأن أعداء النظام لايهددونه فقط بل يهددون أمن المنطقة والعالم.

ـ يهدئ النظام من روع المستثمرين والمقرضين. ويتعهد بضمان إلتزامته المالية.



حرب العصابات طويلة الأمد: ثانيا ـ مرحلة التوازن الإستراتيجى

الإستراتيجية:

المجاهدون:

التوازن المقصود هنا هو التوازن فى الفعالية لا التوازن فى قوة النيران.

ـ شعار العمل الإستراتيجى فى هذه المرحلة هو: الزحف من الجبال إلى الريف.

فى هذه المرحلة يستكمل المجاهدون بسط سيطرتهم على الجبال. وينزلون منها إلى الأرياف المجاورة.

من أهم الملامح العسكرية للمجاهدين:

ـ ظهور مفهوم الدفاع. ويشمل الدفاع عن قرى مناطقهم المحررة، وقواعدهم الثابتة، مع مناطق أخرى يرونها حيوية لعملهم.

ـ القواعد الجبلية الثابته: وتقوم بمهام عسكرية وسياسية وإدارية للمناطق المحررة

ـ شبكة الطرق فى الجبال تعتبر معلما هاما له قيمة كبيرة، عسكرية وسياسية.

ـ الحفريات من مغارات وخنادق. تنتشر حول القاعدة وفى المناطق المحررة. وتقوم الحفريات بمهام كبيرة فى الدفاع السلبى ضد غارات الطيران، وفى الدفاع عن القواعد الثابتة، وفى مهام تخزين الأسلحة ومعدات العمل العسكرى، ومقار متقدمة للعمليات الهجومية.

ـ الإذاعة المتنقلة: هى العلامة الدعائية الأهم التى تميز

ـ القوة المركزية الضاربة: هى قوة الصفوة والأفضل تدريبا وتسليحا. وتتحرك بإمرة القيادة المركزية مباشرة نحو المناطق والعمليات ذات الأهمية الخاصة.

******

إستراتيجية العدو:

ـ إخلاء الجبال غير الداخلة ضمن إجراءات الدفاع عن المدن.

ـ إنخفاض كثافة الهجمات الأرضية لصالح ضربات الطيران والصواريخ.

ـ الإهتمام أكثر بالدفاع الثابت عن الأهداف الحيوية.

ـ يستهدف العدو بشكل خاص القواعد الثابتة للمجاهدين، فيوجه لها حملات برية عنيفة، وضربات روتينية بالطائرات والصواريخ.

ـ خطوط إمداد المجاهدين هدف دائم لضربات العدو.

التكتيك:

المجاهدون:

المجموعات المقاتلة:

تصبح كبيرة العدد، وقد يشارك المئات فى معركة واحدة. وتظهر فى أيديهم الأسلحة الثقيلة التى يزداد دورها فى المعارك.

مسرح العمليات:

تصبح المناطق الزراعية هى الساحة الأهم للمعارك. ومنها يستكمل حصار وإسقاط المناطق الجبلية. والتقرب التدريجى صوب المدن وتهديدها.

التكتيك:

تظهر لدى المجاهدين ملامح تكتيكات الحرب النظامية، ممزوجة بطابع مقاتلى العصابات.

يظهر الأسلوب الدفاعى لدى المجاهدين، خاصة فى الدفاع عن قواعدهم الثابته، ولكن خارج مفهوم الدفاع لآخر رجل.

المواصلات والإتصالات:

يزداد إستخدام الآليات فى نقل الأفراد والمعدات.

يظهر الدور الحيوى لأجهزة الإتصال فى إدارة العمليات والسيطرة على القوات.

من كل ما سبق يتضح الدور الحيوى للتدريب المتقدم.

******

تكتيكات العدو:

الضغط الجوى الشديد على قواعد المجاهدين الثابتة وخطوط الإمداد.

إستخدام القوات المحمولة جوا للإغارة على قوافل الإمداد والمراكز المنعزلة.

التوسع فى سياسة الأرض المحروقة نتيجة زيادة عدد السكان الذين حررهم المجاهدين.

السياسة:

المجاهدون:

التفاوض والهدنة:

من أهم المعالم السياسية لتلك المرحلة هو فترات هدنة متفق عليها تتخللها مفاوضات.

وحتى يحسن كل طرف مركزه التفاوضى، يكون القتال شديدا جدا قبل وبعد جولات التفاوض.

ـ فى جولات التفاوض تطالب حركة التحرير بالسلطة السياسية كاملة، وجلاء القوات الأجنبية عن البلاد ، مقابل عفو عام عن أعدائها الداخليين.

تتزايد جهود الوساطة الخارجية "لإنهاء الأزمة".

ـ تتدخل الأمم المتحدة بمشروعات "دولية" الهدف منها قطع طريق الإنتصار على المجاهدين، ووضعهم فى موقف المتمرد على "الشرعية" الدولية" و "المجتمع الدولى".

ـ حكومة المجاهدين تصبح أمرا واقعا فى المناطق المحررة، وتعكس للناس ملامح النظام القادم.

******

سياسة العدو:

يعرض العدو إشراك قيادات من المجاهدين فى الحكومة.

مع إجراء عدد من الإصلاحات الجزئية تسترضى الناس.

كما يعرض العفو العام عن المقاتلين فى مقابل تسليم أسلحتهم، مجانا أو بالثمن، مع وعود بتوظيفهم فى أجهزة الدولة.



حرب العصابات طويلة الأمد: ثالثا - مرحلة الهجوم الإستراتيجى

الإستراتيجية

المجاهدون:

الهدف الإستراتيجى للمجاهدين فى هذه المرحلة هو إقتحام المدن وتحريرها بالقوة.

يبدأ العمل بتقطيع سبل الإتصال البرى بين المدن وقطع أوتهديد الإتصال الجوى.

يبدأ المجاهدون بإقتحام المدن الأضعف.

لأول مرة يصبح إختزال الوقت مهما لدى المجاهدين، لأن تكلفة تلك المرحلة إقتصاديا كبيرة جدا، والإحتياج إلى الأسلحة والذخائر الثقيلة تزداد بشدة.

من مظاهر تطور الموقف الإستراتيجى للمجاهدين:

زيادة عدد القواعد الجبلية الثابتة فى مختلف الأقاليم.

التوسع الكبير فى شبكة الطرق التى أنشأها المجاهدون فى الجبال والريف لخدمة نشاطهم العسكرى والإدارى.

زيادة حجم القوات، والتسليح الثقيل المتاح لديها.

******

إستراتيجية العدو:

الدفاع المستميت عن المدن ، والإبقاء على طرق الإتصال بينها مفتوحة.

يصير كسب الوقت هدفا إستراتيجيا عند العدو من إجل إنهاك المجاهدين ، وإعطاء فرصة لمجهودات إنقاذ النظام بتسوية سياسية يسعى إليها أصدقاؤه فى العالم.

التكتيك

المجاهدون:

العمليات مستمرة لإستكمال تحرير المناطق الريفية والتوسع عبرها صوب المدن المحتلة وحصارها بريا وجويا.

يزحف المجاهدون فى الأرياف عبر القضمات المتتالية، والتغلب التدريجى على إستحكامات العدو الدفاعية.

يصبح دور الأسلحة الثقيلة محوريا لتفكيك إستحكامات العدو. ويحشد المجاهدون قوات كبيرة فى المواضع المحددة. ويندر أن يحققوا تفوقا كميا على العدو ولكنهم يحاولون ذلك، وينجحون أحيانا فى التعادل معه أو حتى التفوق ولكن فى موضع صغير ومحدد. ويظل التفوق الأساسى والحاسم هو تفوقهم المعنوى.

من مظاهر تطور العمل التكتيكى:

زيادة حجم القوات وتزويدها بالأسلحة الثقيلة.

تزايد التسليح الصاروخى، وظهور أجيال متطورة منه.

تزايد حجم ودور الإتصالات اللآسلكية.

تزايد دور وحجم وحدات المهنسين.

تزايد حجم شبكة الطرق ، والمغارات والخنادق، والخدمات الطبية.

******

تكتيكات العدو:

القوات البرية تلجأ بشكل أساسى إلى الأعمال الدفاعية الثابتة الممزوجة أحيانا بضربات إجهاضية.

يصبح مجهود الطيران هو العمل الأساسى.يساند الضرب الصاروخى عمل الطيران فى ضرب تحشدات المجاهدين ومناطقهم الإدارية.

يصبح مستحيلا على الجيش دخول الكثير من مناطق البلاد.

الروح المعنوية لجنود العدو تكون فى أضعف حالاتها.

السياسة

المجاهدون:

إستراتيجية المجاهدين هى تحقيق إنتصار سياسى كامل، وإقامة نظام جديد على أنقاض النظام القائم، يكون متفقا مع رؤاهم الأيدلوجية والسياسية.

التفاوض والهدنة: يصبح المجاهدون أقل ميلا وإستجابة لفترات الهدنة وجولات التفاوض لأن موازين القوى تميل بقوة إلى جانبهم. بينما يكون النظام الحاكم أكثر لهفة فى الوصول إلى حل تفاوضى ينقذ النظام فى إطار إبقائه ضمن صيغة مشاركة وحكومة واسعة القاعدة تشمل كل الأطراف.

عروض المجاهدين تصبح أكثر تشددا مثل: تنازل النظام عن السلطة مقابل العفو عن الفئات غير الخطرة، ومحاكمة عادلة للباقين أو رحيلهم عن البلاد. مع إنسحاب غير مشروط لقوات الإحتلال.

- يدرس المجاهدون عروضا يتقدم بها حلفاء النظام فى الداخل والخارج، بالتخلى عنه مقابل أثمان معينة، ويدخل المجاهدون فى مساومات معهم حول ذلك.

إعلاميا يتحدث المجاهدون مع شعبهم عن النصر الأكيد ولكن ليس عن السلام القريب، بل عن السلام الذى يحتاج إلى التضحيات من أجل تحقيقه، وذلك حفاظا على تحفز الروح القتالية.

******

سياسة العدو:

إستراتيجية العدو وحلفائه هى قطع الطريق على أى إنتصار سياسى كامل للمجاهدين.

يستنجد العدو بالتدخلات والوساطات الخارجية من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من النظام القائم.

إعلام العدو يكثف حملة نفسية تتحدث عن:

السلام، التسوية، الوطن الواحد، التسامح الدينى، الإتفاق الذى بات وشيكا، موافقة المجاهدين على عروض تسوية حكومية وخارجية، إتفاقات ومفاوضات سرية ناجحة، خلافات داخل قيادات المجاهدين بين معتدلين هم الأغلبية ومتطرفين هم الأقلية.

- يدخل العدو إصلاحات شكلية على النظام بهدف سحب البساط من تحت أرجل المجاهدين.

حرب العصابات طويلة الأمد: أولا ـ **مرحلة الدفاع الإستراتيجى**

الإسـتراتيـجـيـة:

المجاهدون:

المجاهدون فى وضعية إستراتيجية دفاعية. ولهم هدفان هما:
١ ـ تفادى الإبادة، وكسب الوقت اللازم لبناء قواهم الذاتية.
فلا يدافع المجاهدون هنا عن الأرض ولايحتفظون بها.
أى أن المبدا هنا هو التضحية بالأرض فى مقابل كسب الزمن.
٢ ـ إنهاك الطاقة الهجومية للعدو، إلى أن يضطر إلى الدفاع الثابت ويقل نشاطه الهجومى. ويتخلى عن المناطق الوعرة والجبال، فيبسطون عليها سيطرتهم.

إستراتيجية العدو:

العدو في حالة إستراتيجية هجومية على المجاهدين. بهدف إبادتهم فى أقصر وقت ممكن قبل أن يتفاقم شأنهم، ويتضرر النظام سياسيا وإقتصاديا.

******

الـتـكـتـيـك:

المجاهدون:

تكتيكات المجاهدين تقوم على:
ـ الهجمات المتواصلة تحت الشعار الشهير: إضرب وإهرب.
ـ الإنتشار الجغرافى على أوسع مساحة ممكنة لدفع العدو إلى نشر قواته.
ـ يركز المجاهدون قواتهم فى هجمات سريعة على أضعف نقاط العدو، وحيث لايتوقع فى الزمان أوالمكان.
ـ الدفاع عن الأرض غير وارد.
ـ ولا تخرج عمليات المجاهدين عن صورتين هما: الغارة والكمين.
ـ للمجاهدين مناطق تواجد ومناطق نفوذ ولكن ليس لهم أى مواقع ثابته.
ـ تراعى بشدة أساليب الوقاية السلبية من الطيران وأهمها التمويه والإنتشار وتبديل المواقع بإستمرار.

تكتيكات العدو:

ـ يشن العدو حملات كبيرة شعارها البحث والإبادة. مستخدما القدر الأكبر من طاقته العسكرية.
ـ يتبع أسلوب الأرض المحروقة والعقوبات الجماعية لحرمان المجاهدين من الدعم الشعبى.

*****

الـسـيـاسـة:

المجاهدون:

يحظر قطعا فى هذه المرحلة إجراء أى مفاوضات سياسية مع العدو.
ويمكن إجراء مفاوضات ميدانية بشأن القتلى والأسرى، وأمور معاشية للسكان.
ـ تنشيط العمل السياسى والدعائى فى الداخل لتوسيع قاعدة الأنصار والمتعاطفين.
ـ توسيع العمل السياسى الخارجى للبحث عن أنصار وحلفاء ، وعرقلة سياسات الخصم.
ـ الإستفادة من عمليات المجاهدين العسكرية فى مجال الدعاية السياسية. فيما يسمى بالدعاية المسلحة.

سياسة العدو:

فى العلن يرفض التعاون مع المجاهدين. ويحرقونهم إعلاميا، فيصفهم بالإرهاب والخروج عن الدين والقانون والإضرار بالوطن.
فى السر يغرى العدو من إستطاع من المجاهدين حتى يترك المقاومة لقاء مكاسب شخصية.
ـ مع تطور قوة المجاهدين تصبح عروض الرشاوى من أجل الإستسلام أوالتوقف عن المقاومة أكثر سخاء.
ـ فى الخارج يحاول النظام تهدئة الحلفاء والعالم، واصفا ما يحدث بأنه أزمة عابرة سوف تزول سريعا. وأن أعداء النظام لايهددونه فقط بل يهددون أمن المنطقة والعالم.
ـ يهدئ النظام من روع المستثمرين والمقرضين. ويتعهد بضمان إلتزامته المالية.

****

ـ ٢ ـ

حرب العصابات طويلة الأمد: ثانيا ـ مرحلة التوازن الإستراتيجى

الإسـتـراتـيـجـيـة:

المجاهدون:

التوازن المقصود هنا هو التوازن فى الفعالية لا التوازن فى قوة النيران.
ـ شعار العمل الإستراتيجى فى هذه المرحلة هو: الزحف من الجبال إلى الريف.
فى هذه المرحلة يستكمل المجاهدون بسط سيطرتهم على الجبال. وينزلون منها إلى الأرياف المجاورة.
من أهم الملامح العسكرية للمجاهدين:
ـ ظهور مفهوم الدفاع. ويشمل الدفاع عن قرى مناطقهم المحررة، وقواعدهم الثابتة، مع مناطق أخرى يرونها حيوية لعملهم.
ـ القواعد الجبلية الثابته: وتقوم بمهام عسكرية وسياسية وإدارية للمناطق المحررة. و تكون مركزا للعمل الإعلامى.
ـ شبكة الطرق فى الجبال تعتبر معلما هاما له قيمة كبيرة، عسكرية وسياسية.

ـ الحفريات من مغارات وخنادق. تنتشر حول القاعدة وفى المناطق المحررة. وتقوم الحفريات بمهام كبيرة فى الدفاع السلبى ضد غارات الطيران، وفى الدفاع عن القواعد الثابتة، وفى مهام تخزين الأسلحة ومعدات العمل العسكرى، ومقار متقدمة للعمليات الهجومية.
ـ الإذاعة المتنقلة: هى العلامة الدعائية الأهم التى تميز تلك المرحلة.
ـ القوة المركزية الضاربة: هى قوة الصفوة والأفضل تدريبا وتسليحا. وتتحرك بإمرة القيادة المركزية مباشرة نحو المناطق والعمليات ذات الأهمية الخاصة.
* * *

إستراتيجية العدو:

ـ إخلاء الجبال غير الداخلة ضمن إجراءات الدفاع عن المدن.
ـ إنخفاض كثافة الهجمات الأرضية لصالح ضربات الطيران والصواريخ.
ـ الإهتمام أكثر بالدفاع الثابت عن الأهداف الحيوية.
ـ يستهدف العدو بشكل خاص القواعد الثابتة للمجاهدين، فيوجه لها حملات برية عنيفة، وضربات روتينية بالطائرات والصواريخ.
ـ خطوط إمداد المجاهدين هدف دائم لضربات العدو. وتعتبر المعارك حول خطوط الإمداد من علامات نجاح أو فشل كلا الطرفين. يهدف المجاهدين إلى إبقائها مفتوحة أو إستحداث طرق جديدة بدل المغلق منها أو المهددة بشدة، ويهدف العدو إلى إغلاقها بشكل نهائى.
* * *

الـتـكـتـيـك:

المجاهدون:

المجموعات المقاتلة:
تصبح كبيرة العدد، وقد يشارك المئات فى معركة واحدة. وتظهر فى أيديهم الأسلحة الثقيلة التى يزداد دورها فى المعارك.
مسرح العمليات:
تصبح المناطق الزراعية هى الساحة الأهم للمعارك. ومنها يستكمل حصار وإسقاط المناطق الجبلية. والتقرب التدريجى صوب المدن وتهديدها.
التكتيك:
تظهر لدى المجاهدين ملامح تكتيكات الحرب النظامية، ممزوجة بطابع مقاتلى العصابات.
يظهر الأسلوب الدفاعى لدى المجاهدين، خاصة فى الدفاع عن قواعدهم الثابته، ولكن خارج مفهوم الدفاع لآخر رجل.
المواصلات والإتصالات:
يزداد إستخدام الآليات فى نقل الأفراد والمعدات.
يظهر الدور الحيوى لأجهزة الإتصال فى إدارة العمليات والسيطرة على القوات.
من كل ما سبق يتضح الدور الحيوى للتدريب المتقدم.

تكتيكات العدو:
الضغط الجوى الشديد على قواعد المجاهدين الثابتة وخطوط الإمداد.
إستخدام القوات المحمولة جوا للإغارة على قوافل الإمداد والمراكز المنعزلة.
التوسع فى سياسة الأرض المحروقة نتيجة زيادة عدد السكان الذين حررهم المجاهدين.

الـسـيا سـة:

المجاهدون:
التفاوض والهدنة:
من أهم المعالم السياسية لتلك المرحلة هو فترات هدنة متفق عليها تتخللها مفاوضات.
وحتى يحسن كل طرف مركزه التفاوضى، يكون القتال شديدا جدا قبل وبعد جولات التفاوض.
ـ فى جولات التفاوض تطالب حركة التحرير بالسلطة السياسية كاملة، وجلاء القوات الأجنبية عن البلاد ، مقابل عفو عام عن أعدائها الداخليين.
تتزايد جهود الوساطة الخارجية "لإنهاء الأزمة".
ـ تتدخل الأمم المتحدة بمشروعات "دولية" الهدف منها قطع طريق الإنتصار على المجاهدين، ووضعهم فى موقف المتمرد على "الشرعية" الدولية" و "المجتمع الدولى".
ـ حكومة المجاهدين تصبح أمرا واقعا فى المناطق المحررة، وتعكس للناس ملامح النظام القادم.

سياسة العدو:
يعرض العدو إشراك قيادات من المجاهدين فى الحكومة. مع إجراء عدد من الإصلاحات الجزئية تسترضى الناس.
كما يعرض العفو العام عن المقاتلين فى مقابل تسليم أسلحتهم، مجانا أو بالثمن، مع وعود بتوظيفهم فى أجهزة الدولة.

****

ـ ٣ ـ

حرب العصابات طويلة الأمد: ثالثا ـ **مرحلة الهجوم الإستراتيجى**

الإسـتراتـيـجـيـة

المجاهدون:
الهدف الإستراتيجى للمجاهدين فى هذه المرحلة هو إقتحام المدن وتحريرها بالقوة.
يبدأ العمل بتقطيع سبل الإتصال البرى بين المدن وقطع أوتهديد الإتصال الجوى.

يبدأ المجاهدون بإقتحام المدن الأضعف.
لأول مرة يصبح إختزال الوقت مهما لدى المجاهدين، لأن تكلفة تلك المرحلة إقتصاديا كبيرة جدا، والإحتياج إلى الأسلحة والذخائر الثقيلة تزداد بشدة.
من مظاهر تطور الموقف الإستراتيجى للمجاهدين:
زيادة عدد القواعد الجبلية الثابتة فى مختلف الأقاليم.
التوسع الكبير فى شبكة الطرق التى أنشأها المجاهدون فى الجبال والريف لخدمة نشاطهم العسكرى والإدارى.
زيادة حجم القوات، والتسليح الثقيل المتاح لديها.

إستراتيجية العدو:

الدفاع المستميت عن المدن ، والإبقاء على طرق الإتصال بينها مفتوحة.
يصير كسب الوقت هدفا إستراتيجيا عند العدو من إجل إنهاك المجاهدين ، وإعطاء فرصة لمجهودات إنقاذ النظام بتسوية سياسية يسعى إليها أصدقاؤه فى العالم.
* * *

الـتـكـتـيـك

المجاهدون:

العمليات مستمرة لإستكمال تحرير المناطق الريفية والتوسع عبرها صوب المدن المحتلة وحصارها بريا وجويا.
يزحف المجاهدون فى الأرياف عبر القضمات المتتالية، والتغلب التدريجى على إستحكامات العدو الدفاعية.
يصبح دور الأسلحة الثقيلة محوريا لتفكيك إستحكامات العدو. ويحشد المجاهدون قوات كبيرة فى المواضع المحددة. ويندر أن يحققوا تفوقا كميا على العدو ولكنهم يحاولون ذلك، وينجحون أحيانا فى التعادل معه أو حتى التفوق ولكن فى موضع صغير ومحدد. ويظل التفوق الأساسى والحاسم هو تفوقهم المعنوى.
من مظاهر تطور العمل التكتيكى:
زيادة حجم القوات وتزويدها بالأسلحة الثقيلة.
تزايد التسليح الصاروخى، وظهور أجيال متطورة منه.
تزايد حجم ودور الإتصالات اللآسلكية.
تزايد دور وحجم وحدات المهنسين.
تزايد حجم شبكة الطرق ، والمغارات والخنادق، والخدمات الطبية.

تكتيكات العدو:

القوات البرية تلجأ بشكل أساسى إلى الأعمال الدفاعية الثابتة الممزوجة أحيانا بضربات إجهاضية.
يصبح مجهود الطيران هو العمل الأساسى. يساند الضرب الصاروخى عمل الطيران فى ضرب تحشدات المجاهدين ومناطقهم الإدارية.
يصبح مستحيلا على الجيش دخول الكثير من مناطق البلاد.

الروح المعنوية لجنود العدو تكون فى أضعف حالاتها.
***

الـسـيـاسـة

المجاهدون:

إستراتيجية المجاهدين هى تحقيق إنتصار سياسى كامل، وإقامة نظام جديد على أنقاض النظام القائم، يكون متفقا مع رؤاهم الأيدلوجية والسياسية.

التفاوض والهدنة: يصبح المجاهدون أقل ميلا وإستجابة لفترات الهدنة وجولات التفاوض لأن موازين القوى تميل بقوة إلى جانبهم. بينما يكون النظام الحاكم أكثر لهفة فى الوصول إلى حل تفاوضى ينقذ النظام فى إطار إبقائه ضمن صيغة مشاركة وحكومة واسعة القاعدة تشمل كل الأطراف.

عروض المجاهدين تصبح أكثر تشددا مثل: تنازل النظام عن السلطة مقابل العفو عن الفئات غير الخطرة، ومحاكمة عادلة للباقين أو رحيلهم عن البلاد. مع إنسحاب غير مشروط لقوات الإحتلال.

ـ يدرس المجاهدون عروضا يتقدم بها حلفاء النظام فى الداخل والخارج، بالتخلى عنه مقابل أثمان معينة، ويدخل المجاهدون فى مساومات معهم حول ذلك.

إعلاميا يتحدث المجاهدون مع شعبهم عن النصر الأكيد ولكن ليس عن السلام القريب، بل عن السلام الذى يحتاج إلى التضحيات من أجل تحقيقه، وذلك حفاظا على تحفز الروح القتالية.

سياسة العدو:

إستراتيجية العدو وحلفائه هى قطع الطريق على أى إنتصار سياسى كامل للمجاهدين.

يستنجد العدو بالتدخلات والوساطات الخارجية من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من النظام القائم.

إعلام العدو يكثف حملة نفسية تتحدث عن:

السلام، التسوية، الوطن الواحد، التسامح الدينى، الإتفاق الذى بات وشيكا، موافقة المجاهدين على عروض تسوية حكومية وخارجية، إتفاقات ومفاوضات سرية ناجحة، خلافات داخل قيادات المجاهدين بين معتدلين هم الأغلبية ومتطرفين هم الأقلية.

ـ يدخل العدو إصلاحات شكلية على النظام بهدف سحب البساط من تحت أرجل المجاهدين، مثل إشراك أحزاب من المعارضة فى الحكومة، وإدخال المزيد من الإصلاحات الإقتصادية، وإصدار قوانين جديدة تستجيب لبعض مطالب الشعب وتعطيه حريات كان يفتقدها، الإعلان عن رحيل جزئى للقوات الأجنبية فى إطار إتفاق زمنى للجلاء الكامل.

****

(للشعراء كلمة..) (

****

للشعرطريقته المميزة فى التعبير. وهو أقرب للتأثير على النفس البشرية حتى لو تناول موضوعات سياسية جافة. كما أنه، إن لم يكن مستباعا للسلطان، أقدر على التعبير عن رأى الناس العاديين من أى وسيلة تعبير أخرى. وفيما يلى يعبر الشاعر "فاروق جويدة" عن رؤيته للحرب التى شنتها إسرائيل على لبنان وحزب ا عام ٢٠٠٦، ورؤيته كذلك للموقف العربى من تلك الحرب رسميا وشعبيا. ومن الواضح أن الشاعر كتب القصيدة أثناء إحتدام المعارك.

*****

<u>أواه يانسل حمزة والحسين</u>

فاوم..
وإن كان لديك الآن
آخر طلقة فى البندقية
قاوم عصور البربرية
قاوم
فأولاد الزناة يفاوضون
ويرقصون الآن "سامبا"
فوق أشلاء الضحية
قالوا عليك مغامر متهور
عن لحظة الوطنية
حكامنا من ألف عام يخطبون..
والملابس عسكرية
فإذا أطلوا بيننا كى يشجبوأ

تجد الملابس داخلية
وضعوا نياشينا على أكتافهم
مع أنهم..
هم لم يخوضوا أى حرب مطلقا
كل المعارك عندنا وهمية
وجع الرؤوس أصابنا فى مقتل
فى كل يوم نشرة دورية..
عن أنه بطل السلام، وقائد..
صنع إنتصار وحده
فى الطلعة الجوية
***
قاوم لآخر طلقة
بقيت لديك
قاوم وحاذر أن تمد لهم يديك
فسيغدرون ،
وسيفقئون إن إستطاعوا ناظريك
فغدرهم أقسى عليك
إحذر طراطير العرب
لن يتركوك..
حتى ينالوا قامتك
لن يتركوك..
حتى تقوم قيامتك
قاوم لأن جنودنا
فوق المقاهى يجلسون
قاوم لأن سلاحنا ملء المخازن
للذين على النظام يحافظون
قاوم لآخر قطرة
خذنا معك
خذنا وعلمنا الصمود لمرة
نستحلفك
حزبان نحن..
حزب معك
وهناك حزب يستحل لنا دمك
***
إضرب: فما شئ هناك لكى نقوله
قاوم طغاة يقتلون ويحرقون..
هنا براءات الطفولة
قاوم فقتل صغارنا حل لهم
قد جاء فى توراتهم ،

ويعد فى دستورهم..
أسمى بطولة
قاوم أزيز الطائرات ألا ترى..
طفلا يحدث طفلة مقتولة ،
ويدين ضارعتين من أم هنا
كانت تحدق فى الردى مذهولة ؟
كل القذائف تستبيح بيوتنا
كم جثة من أهلنا مجهولة !
قاوم معاول هدمهم
الأرض حبلى
والجنين بطولة
قاوم سماسرة الحروب
فكل كلب منهمو
له عند اليهود عمولة
وكبار حكام العرب
عند المواقف دائما "دلدولة"
***
قاوم..
فما عادت لدينا الآن أى مقاومة
قاوم لأننا أمة
مستسلمة
قاوم وحاذر أن تصدق قولهم
قاوم: فكل الحاكمين "مسيلمة"
قاوم ودس لى بالحذاء..
على جميع الأنظمة
قاوم نواطير البلاد المفلسة
قاوم قوانين التجبر والتحيز
قاوم جنود الغطرسة
إنا شعوب يائسة
قاوم فأنت الآن حق
فى زمان كله زيف وباطل
قاوم بأرواح الرجال
الطالعين من الحقول
مثل حبات السنابل
قاوم وعلمنا القتال
فقد نسيناه طويلا
أرجوك علمنا نقاتل
دس لى الطراطير التى
فوق الكراسى..

كل إبن عاهرة، وقواد، وجاهل
كلب يسلمنا لكلب مذ متى..
كانت كلاب الصيد تحكم ،
أو تناضل؟
***
قاوم:
فبعدك لن يقاومهم أحد
قاوم: فإن ركبوا علينا مرة
فسيركبون إلى الأبد
قاوم فإنا كالغثاء ،
أو الزبد
قاوم فهاهم يحشدون
ونحن لم نحشد أحد
لاتنتظر كلبا ولا هرا ،
ولا فهدا، ولاحتى"الأسد"
قاوم لأن جيوشنا مخصية
وتخاف تخرج فى الهواء
فقد يصيب عيونهم..
بعض الرمد
قاوم لأن جيوشنا
صارت تجيد الطبخ
عند زعيمنا "شيخ البلد"
قاوم لأنى لم يعد عندى كلام
قاوم لعلى أن أثور ،
أو أفكر فى إقتحام
قاوم:
لعلك أن تثير لمرة
فى العمر غيظى
أو أن تثير حمية الحكام
قاوم لأن رجولتى غابت
وعندى بعدها
للآن ألف علامة إستفهام
***
قاوم..
فهاهم يصنعمن الآن شرقا أوسطيا
شرقا جديدا منطقيا
سيكون منزوع السلاح
ويكون منزوع الرجال
ويكون منزوع اللباس

ويكون منزوع الدسم
قاوم ودس لى فى عيونى
بالأصابع والقدم
قاوم فبعدك لن يكون هناك شئ
فى البلاد
فلا البلاد، ولا العباد، ولا العلم
قاوم: فأولاد الزناة
يهود خيبر قادمون
وسيدخلون إلى المدينة والحرم
قاوم..
أراهنكم جميعا
فى بضع أعوام ويصبح
نصف إسرائيل يسكن فى الهرم
قاوم..
فلو صنعوا لنا شرقا جددا محترم
ستصير حيفا بين تونس واليمن
أما الجزائر سوف تصبح فى عدن
وتصير بغداد هولندا
وتصير ليبيا فى رواندا
وتصير طنطا فى البقاع
وتصير غزة فى الضياع
وتصير أمى بنت أختى
ويصير "محسن"
إسمه " ليفى حسن"
قل لى ومن قبض الثمن..
غير " الشراميط" التى فوق الكراسى
يركبونك فى العلن ؟
عشرون تيسا يحكمون..
ومن زمن
أواه يازمن العفن
***
قاوم..
فلا أحد يقاوم
هذى بلاد لم يعد فيها رجل
قاوم
فإنا لم يعد فينا أمل
قاوم وقاوم
فغدا سيأتينا "جمال"
من بعده يأتى "كمال"

من بعده يأتى "هلال"
جيل يسلم بعده أجيال
ويكون جدهم "المبارك"
لا يزال
هذا إحتلال بالعيال
عندى سؤال
هل حق توريث الشعوب..
فى الدين يا ولدى حرام أو حلال؟
***
قاوم
فقد أفسدت ألف مخطط للهيمنة
قاوم لأنك قد خلقت لكى تقاوم
يا شامخا فينا كأروع مئذنة
قاوم حكومات العمالة والنخاسة
والأباطيل التى بقيت عصورا مزمنة
قاوم هواة الأمركة
والصهينة
قاوم فكل سيوفنا
للرقص وقت السلطنة
قاوم لأن خيولنا نفقت
وهبت ريحها متعفنة
قاوم لأنك إن هزمت
أو إنتصرت..
ستظل فى عينى بطل
قاوم لأنك أنت آمال الشعوب
وقد غفا فيها الأمل
قاوم لأنا لم نقاوم
خمسين عاما نحن نسأل ما العمل؟
خمسين عاما نزرع الوردات
نحصد فى البصل
قاوم فما عادت لدينا عزة فى الوجه
أو حتى خجل
قاوم لأنك سوف تصبح قصة
تحكى لكل الطامحين
يا أيها الكحل الذى فى كل عين تكتحل
***
قاوم..
لأنك قد صنعت الآن ألف معادلة
ونزلت مثل الزلزلة

رأس اليهود الآن تحت المقصلة
بيد تقاوم ويد تفاوض
هكذا دوما تدار المسألة
عشنا سنينا فى كهوف الخوف
من ذا نواجه فى السنين المقبلة
واجهت فى شمم عدوك
لقنته درسا لن يتحمله
قاومت وحدك
ماذا صنعنا نحن غير الولولة
للمجد أنت
وكل حكام العروبة
هنا فى المزبلة
***
قاوم فأصوات المدافع
مزقت كبد الصغار
قاوم أزيز الطائرات
تدك فى حقد شديد كل دار
قاوم لأن الموت أصبح
يسكن الآن الشوارع
والمقاهى والديار
هذى بقايا صغار غادروا
من أجل أن يبقى الكبار
هذى وصاياهم إلينا
قبل لحظة قتلهم
دم وأشلاء وعار
وأنين شعب تحت الدمار
***
قاوم فلبنان الجميلة تحترق
وجنودنا حول القصور
ليحرسوا الأسوار
قاوم فلبنان التى كنا نشم عبيرها
كزجاجة العطر المعتق
أحرقت فى النار
قاوم فهذى هجمة إستعمار
قاوم فأذيال العروبة
يبحثون لكلبهم عن مخرج
يبقى له إستكبار
قاوم لأنك أهنت حليفهم
وأهنتهم، وفضحتهم

وكشفت أننا قد خرجنا
من فترة إستعمار
حتى دخلنا..
فترة إستحمار
***
قاوم..
لأن الشارع العربى تاه
قاوم ألاعيب الحواة
قاوم كلاب الصيد
قاوم كل كلب فوق كرسى إله
قاوم فأنت إمامنا
والكل خلفك للصلاة
قاوم وقاوم.. ثم قاوم
فالموت أصبح كالحياة
قاوم لأن الشارع العربى
يغلى معلنا عصانه..
كثر العصاة
***
قاوم و قاوم
كلنا صرنا وقود
قاوم لأن الشعب يرفض حاكمية
فقد كفرنا بالقيود
قاوم لأن خلاصنا فى الأفق يشرق
والمهانة مستحيل أن تعود
قاوم سلاطين التنطع والتسكع
والتردد والفتاوى والبرود
قاوم ودعنى كى أقبل
كل أقدام الجنود
الرابضين على الحدود
دعنى أقبل فى أياديهم
أشد الآن من أزر الأسود
دعنى لأرفعهم كتاج من الفخار
فوق رأسى
إنهم فخر الوجود
أواه يانسل الحسين وحمزة
نسل النبى محمد
طوبى لكل سواعد
عنا تزود
" **عبد العزيز جويدة** "

** كما قلنا فإن عباس الذى يصوره الشاعر "أحمد مطر" هو حالة وليس شخصية بعينها. حالة تنتشر فى الشعوب المهزومة، خاصة فى الأوساط العليا من المجتمع: سياسيين ، مثقفين من المارينز الجدد، وحوش الإقتصاد الطفيلى المتعولم.
مع نذالة تلك "الشخصية/الحالة" ، إلا أنة يدعى البطولة ومقارعة اللصوص المعتدين ، وأنه صاحب "مدرسة" نضالية بعيدة النظر تنجز الإنتصارات المدهشة، مثل أن يتخطى الدائرة التى رسمها حولة اللص الذى إقتحم دارة وتعدى على حريمة، كما ذكر الشاعر مطر.
ولكن فات الشاعر أن تطورات كبيرة حدثت لتلك "الشخصية/ الحالة" ، لعله أن يستدركها فى قصائد تالية (هذا إن لم يكن قد قتله بعد أحد معجبيه من الحكام) .
إن البطل الجديد أصبح لايتخطى الدائرة فقط، بل يتجاوزها لأداء مهمة عظيمة تليق به. وهى مساعدة اللص فى سرقة الدار وجمع ما بها من أثاث. ذلك بالطبع بعد أن يساعده فى تكبل البقرة المتخلفة التى تغتاب الناس ولا تقوم بواجب ضيافة الزوار من اللصوص المحترمين.

****

ـ ١ ـ

حكاية عباس

عباس وراء المتراس
يقظ.. منتبه.. حساس
منذ سنين الفتح يلمع سيفه
ويلمع شاربه أيضا..
منتظرا.. محتضنا دفه

***

بلع السارق ضفة

قلب عباس القرطاس
ضرب الأخماس لأسداس:
بقيت ضفة..
لملم عباس ذخيرته والمتراس
ومضى يصقل سيفه
***
عبر اللص إليه.. وحل ببيته
أصبح ضيفه
قدم عباس له القهوة
ومضى يصقل سيفه
***
صرخت زوجته: عباس
أبناؤك قتلى.. عباس
ضيفك راودنى عن نفسى
قم أنقذنى يا عباس
***
عباس وراء المتراس
منتبه .. لم يسمع شيئا
زوجته تغتاب الناس
***
صرخت زوجته: عباس
الضيف سيسرق نعجتنا
عباس اليقظ الحساس
قلب أوراق القرطاس
أرسل برقية تهديد
***
- فلمن تصقل سيفك يا عباس ؟؟
- لوقت الشدة
- إصقل سيفك يل عباس !!
- - - - - - - - - - - - - - -

- ٢ -

عباس يستخدم تكتيكا جديدا

بعد إنتهاء الجولة المظفرة
عباس شد المخصرة
ودس فيها خنجره
وأعلن إستعداده للجولة المنتظرة
***
اللص دق بابه..
عباس لم يفتح له.
اللص أبدى ضجره..
اللص هد بابه
وعابه
واقتحم الباب بغير رخصة
وانتهره:
· ياثور أين البقرة ؟؟
عباس دس كفه فى المخصرة
واستل منها خنجره
وصاح فى شجاعة:
ـ فى الغرفة المجاورة
***
اللص خط حوله دائرة
وأنذره:
· إياك أن تجتاز هذه الدائرة

***
علا خوار البقرة
خف خوار البقرة
خار خوار البقرة
واللص قام بعدما
قضى لديها وطرة
ثم مضى
وصوت عباس يدوى خلفه
فلتسقط المؤامرة
فلتسقط المؤامرة
فلتسقط المؤامرة
· عباس.. والخنجر ما حاجته ؟؟
ـ للمعضلات القاهرة.
· وغارة اللصوص ؟؟
ـ قطعت دابره
جعلت منه مسخرة
إنظر..

لقد غافلته
واجتزت خط الدائرة!!
- - - - - - - - - - - - - - - - - -

الكاتب فى سطور

ـ مصطفى حامد .
ـ من مواليد مصر ١٩٤٥ محافظة الشرقية ـ مدينة بلبيس .
ـ تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام ١٩٦٩ .
ـ عمل فى الصحافة خلال فترة السبعينات، فى عدد من الصحف الأهلية فى أبوظبى .
ـ كتب عن الجهاد الأفغانى وشارك فيه منذ عام ١٩٧٩ قبل التدخل السوفيتى .
ـ فى ١٩٨٥ أقام مع أسرته فى باكستان . وعمل هناك مديرا لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتى عام ١٩٨٦ .
ـ أقام فى أفغانستان منذ عام ١٩٩٣ وحتى الحملة الأمريكية عام ٢٠٠١ م.
ـ تعرف عن قرب على عدد من الشخصيات العربية الهامة التى عملت فى القضية الأفغانية مثل الدكتور عبد ا عزام وتميم العدنانى وأسامة بن لادن، الذى يعتبرة صديقا شخصياً له .
ـ له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعا . وتدور حول تجربة العرب فى الجهاد الأفغانى ، الذى عاصره منذ بدايته وحتى نهايته .
ـ تعرف عن قرب على حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
ـ من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلى ما قبل الحرب الأمريكية على أفغانستان .
****

سلسلة كتب من أدب المطاريد:

١ ـ ١٥ طلقة فى سبيل ا
٢ ـ معارك البوابة الصخرية
٣ ـ خيانة على الطريق
٤ ـ الحماقة الكبرى أو حرب المعيز
٥ ـ المطار ٩٠

٦ ـ صليب فى سماء قندهار.
٧ ـ حرب المطاريد غير التقليدية.
٨ ـ فتح خوست : حفل تتويج لحرب العصابات الأفغانية.
٩ ـ جرديز : تساقط المدن وسقوط النظام.
١٠ ـ **مشرع طاجيكستان**: الجهاد ينتقل من نهر شمل إلى نهر جيحون.
الضربة الأمريكية للمعسكرات العربية : أحداث الليلة الأخيرة